رَحمَةً لِلعَالَمِين

الرسالة و الرسول

محاضرات وخطابات
المولد النبوي الشريف

ألقاها السيد
عبدالملك بن بدر الدين الحوثي

١٤٣٩هـ - ١٤٤٠هـ - ١٤٤١هـ - ١٤٤٢هـ

الطبعة الثانية
١٤٤٣هـ

كل الحقوق محفوظة

تم الصف والإخراج في
الوحدة الفنية
بمكتب السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي

بسم الله الرحمن الرحيم

رحمة للعالمين

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الأولى ٧ ربيع الأول

دور الذكرى في تعزيز حضور مبادئ الأنبياء في واقعنا

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألَّا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجَبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَةُ اللهِ وَبَرَكَاته؛؛؛

نحن في هذا الشهر الهجري (شهر ربيعٍ الأول)، تَقدُم علينا بعد أيامٍ الذكرى العظيمة والمناسبة المجيدة: ذكرى مولد خاتم أنبياء الله ورسله محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، تأتي هذه الذكرى العظيمة والمهمة؛ **وأمتنا** الإسلامية- سيما في المنطقة العربية- في مرحلة من أكثر المراحل حساسيةً وخطورةً، وتشهد مخاضاً كبيراً وعسيراً في خضم

كثيرٍ من الأحداث، والحروب، والفتن، والصراعات، والمشاكل، **إضافةً إلى ما تعيشه الأمة من أزمات:** ثقافية، وفكرية، وأخلاقية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وأمنية... إلخ. في شتى مناحي الحياة، يضاف إلى ذلك الواقع العالمي المأزوم -فعلاً- بفعل هيمنة قوى الطاغوت والاستكبار التي خرجت عن نهج الأنبياء وعن قيم الأنبياء وعن مبادئ الأنبياء، وتحركت في الساحة العالمية في واقع الناس، في واقع البشر في الأرض، تحركت بمشاريعها وأجندتها الاستكبارية الشيطانية، الشيطانية بما تعنية الكلمة، فكان حضورها الطاغي في الواقع البشري حضوراً للظلم وتحركاً بالإفساد في كل مناحي الحياة، فإذا البشرية اليوم تعاني ولم تستفد مما وصلت إليه في مرحلة وفي عصر -لربما- هو من أزهى عصور الدنيا، لم تنعم البشرية بما وصلت إليه من تقدمٍ حضاريٍ فيما يتعلق بالإمكانات المادية، فهذا التقدم المادي الذي لم تحتضنه مبادئ الأنبياء، وقيم الأنبياء، وتعاليم الله في رسالته إلى عباده، واستحوذت عليه قوى الطاغوت والاستكبار التي تتحرك وفق الأجندة الشيطانية، تحول إلى مصدر شرٍ على البشرية ولم تنعم به، تقدمٌ ماديٌ وُظِّف للظلم والجبروت والطغيان والفتك بالمستضعفين قتلاً وسفكاً لدمائهم، وكذلك للسعي بالإفساد في الأرض في كل مناحي الحياة، وصولاً إلى الإفساد حتى للبيئة، حتى للمناخ.

فأصبحت البشرية تئن وترزح تحت هذا الظلم، وتحت وطأة هذا الجبروت، وتعاني من تفاقم مشاكلها يوماً إثر يوم، وهذا أمرٌ معترفٌ به حالياً، معترفٌ به، من الواضح اليوم أن العالم والواقع البشري تحت السيطرة الأمريكية وتحت سيطرة قوى الاستكبار في الساحة العالمية اليوم إنما يئن ويصرخ من أزماته ومعاناته، وإنما يصيح من حجم مشاكله المتفاقمة في كل مناحي الحياة وفي كل الجوانب والمجالات، نجد أنفسنا بحاجةٍ ملحة كمسلمين

في المقدمة، ونحن في مقدمة المعانين من أبناء البشر، وللأسف الشديد أننا لا ننعم بإسلامنا هذا في مبادئه، في قيمه، في أخلاقه، في تعاليمه الإلهية العظيمة، لا ننعم به ونستفيد منه بالحجم المطلوب، والشكل المطلوب، **والمستوى المطلوب:** لا في واقعنا، ولا في أن نفيد البشرية من حولنا؛ **لأن** كثيراً من أبناء الأمة، من القوى البارزة في ساحة الأمة، بعض الأنظمة وبعض الكيانات أصبحت جزءاً لا يتجزأ؛ **مرتبطاً** بقوى الطاغوت والاستكبار الشيطانية الشاذة عن منهج الأنبياء، وعن قيم الأنبياء، وعن تعاليم الأنبياء التي أتوا بها من الله ﷻ، فإذا بها تلعب من داخل ساحة الأمة، من داخل واقع الأمة، الدور السلبي الشيطاني، وتشتغل لتنفيذ الأجندة الاستكبارية، وتضرب الأمة من داخل الأمة، وتعبث، وتسعى للإضلال للأمة حتى تحت العناوين الإسلامية والعناوين الرسالية؛ **فزادت** على المصيبة مصيبة، وزادت على المشكلة مشكلة؛ **فكانت** مشكلةً إضافية في الواقع الإسلامي والساحة الإسلامية في أوساط المسلمين؛ **وعلى** المستوى العالمي الذي لم يعد يستفيد كما ينبغي من الإسلام والمسلمين، بقدر ما يرى فيهم الكثير مشكلةً إضافية مرتبطةً بنفس المشكل الأمريكي والمشكل الإسرائيلي، وهذه كارثة ومصيبة كبيرة **جدًّا**.

حاجة الأمة لاستحضار سيرة الأنبياء(ع)

نجد أنفسنا اليوم في أمسِّ الحاجة إلى الاستفادة من هذه الذكرى العظيمة كمحطة نتزود منها نور الله وهدايته، نتزود منها كل ما يمكن أن تعطينا من طاقةٍ معنويةٍ وإيمانية، نعود إلى أنبياء الله، **وحلقة الوصل فيما بيننا وبين كل أنبياء الله هو:** خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، والوثيقة الإلهية المضمونة المأمونة الموثوقة التي وثقت لنا أهم ما نحتاج إليه ونستفيده عن أنبياء

الله **هي:** القرآن الكريم، كتاب الله الذي هو- أيضاً- الخلاصة الكاملة لكل كتب الله وهديه في تعاليمها المهمة، وهدايتها التي تحتاج إليها البشرية.

نحتاج اليوم إلى أن نعود إلى الأنبياء؛ لأنه كلما غاب الأنبياء في تعاليمهم، في قيمهم، في رمزيتهم، عن ساحتنا البشرية كان البديل عن ذلك هو الحضور الطاغي لقوى الاستكبار، لقوى الطاغوت، لقوى الكفر والضلال والإفساد والإجرام، التي كلما حضرت في ساحتنا البشرية كلما ملأتها ظلماً وكلما أعتمت فيها بالظلمات، وكلما مارست الإجرام، فعذبت البشرية، وأصبحت البشرية تعاني الويلات والآفات والمصائب والنكبات من هذا الحضور الطاغي لقوى الاستكبار.

اليوم يجب أن نزيح عنا هذا الحضور في كل امتداداته: امتداداته السياسية، امتداداته الفكرية، امتداداته الثقافية، امتداداته الاقتصادية... كل امتدادات هذا الطاغوت الذي هو بلاءٌ كبيرٌ علينا وعلى أمتنا، على البشرية جمعاء، نسعى لإزاحة هذا الحضور، ونسعى لتعزيز حضور الأنبياء في ساحتنا، حضور رمزيتهم، حضورهم في موقع القدوة والأسوة، حضور تعاليمهم، حضور روحيتهم، حضور أخلاقهم، حضور مبادئهم؛ **كي** نتمسك بها، نستهدي بها، نسترشد بها، ننتفع بها، نتخلق بها، نتهذب ونتزكى بها، نتحرك على أساسها وبنورها في كل مناحي الحياة؛ **حتى** ننعم بتلك التعاليم، وحتى نسموا بتلك القيم والأخلاق، وحتى نكرم بتلك المبادئ التي تعزز من كرامتنا الإنسانية، وتستعيد لنا كرامتنا الإنسانية وشرفنا الإنساني الذي أفقَدَنَاه أولئك الطواغيت، أولئك الضالون، أولئك المجرمون، أولئك الظلاميون، أولئك المستكبرون، أولئك الشيطانيون.

نحتاج اليوم إلى أن يكون مسعانا في استحضار الأنبياء، استحضار سيرهم، استحضار رمزيتهم، وتعزيز الارتباط الوثيق القوي بهم؛ **لأنهم** صلة ما بيننا وبين الله ﷻ أن يكون مسعىً حثيثاً؛ **لأنه** لا نجاة لنا، ولا فلاح لنا، ولا فوز لنا، ولا خلاص لنا إلا بهذا. كانت طريقة الله ﷻ في خلاص عباده على مرّ التاريخ بكله بالأنبياء، وبما يأتي مع الأنبياء من هديٍ، من نورٍ، من تعاليم تصلح واقع البشرية، تنقذ البشرية من جهالتها وجاهليتها، وتنقذ البشرية من غفلتها، وتخلص البشرية من طاغوتها، وتأخذ بيد البشرية في الصراط المستقيم؛ **كي** يكون وجودها في هذه الحياة وجوداً هادفاً، وجوداً مقدساً، ومسار حياتها مساراً مسؤولاً ومصوناً وأخلاقياً وقيمياً وعادلاً، فتتخلص البشرية من كل ما يحدث نتيجة هذا الابتعاد من ظلمٍ وظلام، من جهلٍ وطغيانٍ وإجرام، من كوارث تطال كل شؤون حياتها، وتطغى على كل واقع حياتها.

فالمسألة اليوم مرتبطة بالواقع، وهذه النقطة التي أتمنى أن نستوعبها جيداً، حينما نتحدث اليوم، وحينما نطلب من الجميع التركيز الكبير على هذا الجانب، إنما من واقع حاجتنا إلى هذا؛ **لأن** فيه الإنقاذ اليوم الإنقاذ الحقيقي للبشرية، لينقذكم، ﴿وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ٣٠١]، الإنقاذ اليوم من النار، الإنقاذ اليوم من الهوان، الإنقاذ اليوم من مآسي ونكبات البشرية، الإنقاذ هو بالعودة إلى الأنبياء وإلى خاتم الأنبياء، وحلقة الوصل بكل أنبياء الله خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

تميز الشعب اليمني بالاحتفاء الكبير بذكرى المولد النبوي

ونحن أيضاً في واقعنا في البلد، في شعبنا اليمني، نرتاح كثيراً؛ لأنه عادةً الاحتفال عندنا بهذه الذكرى والتفاعل مع هذه الذكرى هو على نحوٍ مميز، من حيث الأنشطة الثقافية، من حيث إظهار السرور والابتهاج، وكذلك القيام بعددٍ من الأنشطة العملية المعبرة عن هذا السرور، عن هذا الاعتداد بالنعمة الإلهية، من حيث تكثيف الأنشطة التثقيفية والمحاضرات، من حيث الفعالية الكبيرة التي تأتي في الثاني عشر من الشهر الذي عند كثيرٍ من المؤرخين وأصحاب السِّيَر أنه اليوم الذي ولد فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، يتفق معظم المؤرخون ومعظم أصحاب السَّيَر أن رسول الله ﷺ ولد في شهر ربيعٍ الأول، وإن كان هناك بعض الاختلاف في أي يومٍ أو في أيٍ منه ولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، يذهب الكثير منهم إلى اعتماد الثاني عشر من الشهر.

فإذاً، شعبنا يتفاعل مع هذه الذكرى، يحتفي بها على نحوٍ متميز، يبتهج بها، يجتمع اجتماعاً حاشداً وكبيراً **جدًّا** في يوم الثاني عشر، وحتى في ظل هذا العدوان، على ما مضى في الفعالية في العام الماضي وما قبل العام الماضي، والأمل- أيضاً- في هذا العام، بالرغم من كل المعاناة الكبيرة إثر العدوان الأمريكي السعودي الغاشم الظالم، ولكن مع كل ما هناك من معاناة؛ **تمسك** شعبنا بتفاعله مع هذه الذكرى، بالرغم- أيضاً- من انزعاج القوى التكفيرية والظلامية التي يجن جنونها من الاحتفال بذكرى مولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله؛ **لأنه** ليس من آل سعود ولا من آل نهيان، وليس من تلك الأطراف التي لها ارتباطها بها ويحل لها كل شيء، ما في حقها أي بدعة، أما رسول الله فكل شيء يتعلق به بدعة!.

اليمانيون والارتباط الوجداني بالرسول الكريم

على كُل، شعبنا العزيز غير غريبٍ عليه هذا الارتباط، هذا التفاعل، هذه المحبة، هذا التعلق الحميمي والوجداني والشعوري، غير غريب على أحفاد الأنصار، أنتم يا شعبنا العزيز، أنتم أحفاد الأنصار، أنتم الذين أعطاكم الله شرفاً عظيماً في تاريخ هذا الإسلام وفي سيرة هذا النبي ﷺ أن جعلكم ذخراً لنصرته في أول التاريخ وفي آخر التاريخ، في أول التاريخ؛ **كان** الأوس والخزرج (القبيلتان اليمانيتان) ذخراً لنصرة النبي ﷺ، والمؤرخون يذكرون في التاريخ أنه حينما ذهب تبّع (تُبّع اليماني) ذهب ووصل إلى تلك المنطقة التي وردت آثارٌ- في آثار الأنبياء السابقين- أنها مهاجَر خاتم الأنبياء، ما بين عِيْر وأُحُد (جبلان)، تلك البقعة ما بين هذين الجبلين أنها مهاجر خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، تحكي الآثار ويحكي التاريخ أن (تُبّع) حينما وصل إلى هذه المنطقة خلّف فيها هاتين القبيلتين، ليبقيا في ذلك المكان، ويسكنا فيه، ويستقرا فيه، ويرابطا فيه، ويبقيا حتى يأتي هذا النبي ويهاجر إلى هذا المهاجَر، إلى تلك البقعة؛ **فيكونان** نُصرةً له، يكونان أنصاراً له، وفعلاً بقيا الأوس والخزرج، واستوطن الأوس والخزرج تلك البقعة وعمروها، وسكنوا فيها، واستقروا فيها جيلاً بعد جيل، حتى أتى الوعد الإلهي، وحتى أتى خاتم الأنبياء رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله؛ **فكانوا** هم الأنصار الذين استجابوا بكل رغبة، وكان انتماؤهم للإسلام؛ **انتماءَ** الإيمان، وانتماء النصرة والجهاد، ورفع راية الإسلام، والإيواء لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، فكانوا كما قال الله عنهم في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: من الآية٩] كانوا هم

الذين تبوؤوا الدار: سكنوا تلك البقعة، وسبقوا إليها منذ القدم، منذ زمن بعيد، منذ أجيال بعيدة، سبقوا إليها وتواجدوا هناك ليكونوا ذخراً للنصرة، وحين أتى الموعد كانوا هم الأوفياء مع الوعد الإلهي والمستجيبين بشكلٍ مسارع ﴿ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ وما أعظم هذه العبارة، استوطنوا الإيمان كما استوطنوا الدار، إيمان راسخ، إيمان ثابت، إيمان عظيم، ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل المهاجرين الآخرين، قال عنهم أيضاً في عبارةٍ مهمة وعظيمة في كتاب الله الكريم وهو يحكي عن ما قبل هجرة النبي إليهم، يحكي عن تعنت الكافرين في مكة، عن تعنت قريش، حينما قال: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾[الأنعام: من الآية٨٩]، فمن هم هؤلاء الموكَّلون؟ من هم هؤلاء الذين كانوا ذخراً إلهياً جعلهم الله ﷻ مُعَدِّين لهذه المسؤولية ولهذا الدور، وللاضطلاع بهذه المسؤولية، وللتحمل لهذه المسؤولية العظيمة، ولنيل هذا الشرف الكبير؟ **الأنصار:** الأوس والخزرج (القبيلتان اليمانيتان).

فهنيئاً لك يا شعبنا العزيز هنيئاً لك هذا الشرف، وهنيئاً لك أن تستمر وتحذو حذو هؤلاء الأنصار في نصرتهم للإسلام، في تمسكك بمبادئ هذا الإسلام، بقيم هذا الإسلام، بأخلاق هذا الإسلام، في ارتباطك الحميمي والوجداني، ومحبتك العظيمة لنبي الإسلام، وتمسكك بعزة هذا الإسلام وحرية هذا الإسلام الذي يجعل منك شعباً مستقلاً لا تقبل أبداً بالتبعية للمنافقين، بالتبعية لمن عبّدوا أنفسهم لأمريكا ولإسرائيل، لأعداء البشرية وأعداء الإنسانية وأعداء الإسلام وأعداء المسلمين، هنيئاً لك هذا الاستمرار على النهج وإن كان فيه تضحية، وإن كان فيه عناء، وإن كان له ثمن، ولكنه شرف، والذي لو حِدْتَ عنه خسرتَ الدنيا وخسرت الآخرة.

شعبنا العزيز- إن شاء الله- سيستفيد من هذه الذكرى في هذا العام، ليجعل منها محطةً يتزود منها الكثير والكثير بعطائها العظيم، عطائها المعنوي، عطائها التربوي، عطائها الأخلاقي، عطائها الكبير الذي يُستفاد منه في مواجهة هذه التحديات الكبيرة والصعوبات العظيمة، ويستفيد منه- أيضاً- لتعزيز قيمه وأخلاقه ومبادئه، وترسيخ هويته الإيمانية، حتى يكون فعلاً وعلى الدوام: ((**الإيمان يمان والحكمة يمانية**)).

شعبنا العزيز الذي له هذا الانتماء، له هذا الارتباط، له هذه العلاقة، والذي كان في طلائع التاريخ برز منه رجالٌ عظماء في تاريخ هذا الإسلام، أمثال عمار بن ياسر، عمار بن ياسر الذي مُلئ إيماناً من رأسه إلى أخمص قدميه، وغير عمار من عظماء الإسلام الذين كان لهم دور تاريخي وعظيم مع رسول الله ﷺ، وكذلك مع الإمام علي عليه السلام، هذا الدور الذي هو مستمرٌ، ونحن نأمل- في هذه الفترة أيضاً- للتذكير بأهمية هذه المناسبة، بتعزيز ما يتعلق بهذا المجال على نحوٍ واسع.

ضرورة تعزيز الارتباط بالأنبياء على كل المستويات

نحن بحاجة إلى أن نملأ حالة الفراغ القائمة فيما يتعلق بهذا الجانب: جانب السيرة النبوية الصحيحة، باستذكار الأنبياء، بتعزيز الارتباط بهم، وبخاتم الأنبياء محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، نحن بحاجة إلى تعزيز هذا الحضور- كما قلنا- **في كل الجوانب:** ثقافياً، وتعليمياً. على مستوى المناهج المدرسية، المناهج الرسمية في المدارس والجامعات، أو المناهج التعليمية في المدارس الدينية لا يزال فيها نقص كبير **جدًّا** في الاهتمام بهذا الجانب بالشكل الصحيح، بالشكل المفيد، بالشكل الذي يُلامس الواقع الذي نعيشه، ويفيد الأمة بطبيعة ما تواجهه من تحديات ومن ظروف ومن واقع. لابد أن

يتعزز هذا الحضور، والالتفات إليه على المستوى الإعلامي- أيضاً- من خلال البرامج الدينية في القنوات، ومن خلال- كذلك- النشاط الواسع في الخطاب الديني في المساجد... وهكذا، كيف نتفاعل مع هذا الموضوع من كل الجوانب بما يفيدنا ليكون منطلقاً لنا ولأمتنا لإصلاح الواقع، لتعزيز وترسيخ الهوية، لمواجهة الحرب الناعمة من جانب أعدائنا؛ **الهادفة** إلى طمس هويتنا وإلى مسخ هويتنا، أيضاً مما يساعد على إحياء الروح النهضوية في الأمة وإحياء الشعور بالمسؤولية، ويساعد على تعزيز القيم والأخلاق التي تحّل الكثير من المشاكل التي نعاني منها في واقعنا وتعاني منها الأمة وتعاني منها البشرية.

أيضاً لتعزيز العلاقة مع رسول الله ﷺ، والعلاقة مع الأنبياء، التي هي علاقة إيمانية، نعبّر عنها بإيماننا، ويعبّر عنها إيماننا، ومستواها هو مستوى ما نحن عليه من الإيمان، كلما كانت أقوى كلما كان إيماننا أعظم وأوثق وأقوى وأكبر، وهذه العلاقة مع الرسول **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**، هذا الإيمان، هذا الارتباط الإيماني يحتاج إلى تعزيز، هو حالة إجمالية قائمة، كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفي كل مسجدٍ يردَّد فيه الأذان (أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله) كل يوم خمس مرات، وإضافةً إلى ذلك في صلاتنا، في كل صلاة، نقول في تشهدنا الأوسط وفي تشهدنا الأخير: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)، في كافة مناسباتنا، في كلماتنا، في أوقات كثيرة، في حال ذكرنا لله، وتمجيدنا لله، والنطق بالشهادتين، حتى عند الوفاة الإنسان يحرص على أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، **كل مسلم يقول:** [أنا أؤمن برسول الله محمد خاتم أنبياء الله ورسله، أؤمن بكل الأنبياء كلهم]؛

لأن أمتنا الإسلامية هي الأمة التي آمنت بكل الأنبياء، وحلقة وصلها مع الأنبياء هي الحلقة الأوثق، الصحيحة، السليمة، العظيمة، التي لا ارتباط بالأنبياء إلا من خلالها، وإلا أي ارتباط آخر هو ارتباط غير سليم وغير صحيح، ويشوبه الخلل والخطأ، وتشوبه العلل الكثيرة، والضلال الكثير، لكن الحلقة التي تربطكَ بكل الأنبياء، الحلقة التي تصلك بكل الأنبياء هو إيمانك برسول الله صلى الله عليه وآله، من خلاله ومن خلال القرآن ترتبط بجميع أنبياء الله وكتبه.

فهذا الإيمان الإجمالي غير كافٍ، أنت تواجه في حياتك الكثير من المؤثرات التي تبعدك عن هذا الإيمان كمنطلَق تبني عليه كل تصرفاتك، كل أعمالك، كل مواقفك، مشوارك في هذه الحياة، فقد تنطلق في كثيرٍ من الأعمال، أو في كثيرٍ من المواقف، أو في بعضٍ من التصرفات بعيداً عن هذا المنطلق؛ **فتخطئ**، وتغلط، وتنحرف؛ **فيضرك** ذلك، فيزيدك ذلك ابتعاداً عن الأنبياء وعن نهجهم، وإن كنت تؤمن إيماناً إجمالياً، إيمان الإقرار، إيمان الاعتراف، لابد أن يرسَّخ هذا الإيمان، أن يقوى، أن يتعزز هذا الارتباط حتى يمتد إلى كل شؤون حياتك، هذا هو المطلوب، حتى تكون ذلك الإنسان الذي يلتفت من أي موقعٍ من مواقع الحياة من أي مجال من مجالات الحياة إلى الأنبياء ليكونوا هم قدوته وأسوته، إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله** ليكون هو القدوة والمعلّم والأسوة؛ **فيحذو** حذوه، ويسير في طريقه، ويقتدي به، ويتأثر به تأثراً يُثمرْ في المشاعر، في الوجدان، في الأخلاق، في القيم، في المواقف، في الأعمال، في التصرفات، في كل مناحي الحياة، هذا هو المطلوب.

يحتاج هذا إلى ما يعززه، إلى ما يفيده، إلى معرفة أولاً، معرفة عن هذه العلاقة كيف تكون، وما المستوى الذي ينبغي أن تكون عليه، **وكل ما فيها:** من إيمان، من تعظيم، من محبة، من اتباع، من اقتداء، من تأسٍ...الخ. تحتاج

إلى معرفةٍ بعظيم منزلته عند الله وقدره عند الله، معرفة بكماله، بشمائله، بسيرته الصحيحة، بقدر ما تعرف من ذلك بقدر ما تزداد ارتباطاً، ومحبةً، واقتداءً، واتباعاً، وتفاعلاً... وهكذا، معرفة بطبيعة هذه العلاقة أنها تصلنا بالله، تربطنا بالله، تشدنا نحو الله؛ **لأن** هذه الوظيفة الرئيسية للأنبياء، فبقدر ما نرتبط بهم إنما نرتبط بالله، يعظم إيماننا بالله، صلةٌ ما بيننا وبين الله ﷻ.

كيف تكون علاقتنا برسول اللّه؟

ولعلمكم، النقص في هذا الجانب يؤثر، فعلاً يؤثر على الإنسان في مدى تفاعله مع الأنبياء في هديهم، في تعاليمهم، فيما أتوا به عن الله، لابد من الانتباه لهذا الجانب، الغفلة عنه تؤثر على الإنسان؛ **لأننا** عندما نعود مثلاً إلى عصر النبي ﷺ، إلى الذين عايشوه، أسلموا، وكانوا معايشين للرسول، يعيشون بقربه، يصلون معه في مسجده، يحضرون عنده، يشاهدونه، يرونه، ويبصرونه، ويسمعونه، والمعايشة هي من أهم ما يمكن أن يؤثر في الإنسان، أن تعيش مع رسول الله في منطقة واحدة، تصلي خلفه، تسمعه والوحي نزل عليه طرياً، تراه في حياته، في تصرفاته، في أخلاقه العظيمة المؤثرة والمعبرة، البعض لم يكن يتنبه إلى أهمية هذه العلاقة، هذا الارتباط، كيف يكون؛ **فكانت** تصدر منهم تصرفات غريبة **جدًّا**، لا تنِم عن المستوى المطلوب من المحبة، من التعظيم، من التوقير، من التأثر، من التفاعل، بل تدل على حالة ضعيفة في مستوى التفاعل والارتباط، هذا القرآن الكريم يؤدبهم، ينبههم، يلفت نظرهم إلى هذه المسائل، ينتقد عليهم، ثم يؤدبهم ويرشدهم إلى كيف **يجب** أن يكونوا، حينما يقول -جلّ شأنه-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[الجمعة:الآية١١].

البعض كانوا وهم يحضرون عند رسول الله، يشاهدونه، يسمعونه، وهو حتى في أثناء خطبة الجمعة المهمة **جدًّا،** وما يقدمه إليهم؛ **هم في** أمسِّ الحاجة إليه، يقدم إليهم هدى الله، تعليمات الله، توجيهات الله، ما فيه تزكية لهم، ما فيه هداية لهم، ما فيه ارتقاءٌ بواقعهم الإيماني والأخلاقي، ما فيه تربية، ما فيه هداية، ما فيه تبصرة، ما هم في أمسِّ الحاجة إليه، وما يسمون به، ويَشرُفون به، ويزدادون إيماناً وصلاحاً به، ما فيه فلاحهم ونجاتهم وفوزهم وعزهم والخير لهم في الدنيا والآخرة، مع ذلك كان البعض منهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ وصلت قافلة تجارية، ﴿أَوْ لَهْوًا﴾ أو غير التجارة وأقل أهمية من التجارة، بل ما لا ينبغي أن يكون له أي أهمية؛ **(لَهْوًا)** ضربة على الطبل أو الدف: (برع) ﴿انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ **يعني:** خرجوا بشكل غير مؤدب، وليس مثلاً قيام بطريقة هادئة ومتأنية ثم خروج، بل خروج بشكل مسارع، حالة انفضاض ﴿انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ يعبّر هذا عن القيام في حالةٍ من الاستعجال، ومسارعة بغير أي التفاتة، وبغير أي تأن، وبدون أي أدب، ومسارعة وخروج إليها، ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يتركون مَنْ؟! تَرَكُوكَ مَنْ؟ رسول الله، سيد المرسلين، خير وسيد ولد! آدم، خير عباد الله أجمعين، ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ يتركونك تتحدث، لا يبقى عندك إلا البعض، والبعض قد انفضوا وخرجوا ليتحلقوا حول ضربةٍ على طبل أو نحو من ذلك.

حينما لا يكون هناك تركيز على كيف تكون علاقتنا مع رسول الله يمكن أن يكون الإنسان على هذا النحو من ضعف الارتباط، ضعف الانشداد، ضعف العلاقة الإيمانية بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، يقول عنهم كذلك يؤدبهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ

أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾[الحجرات].

لاحظوا، البعض كانوا على هذا النحو أيضاً، لا يعون ولا يتنبهون كيف ينبغي أن يكون الأدب مع رسول الله، والتعظيم والتوقير لرسول الله كحالة إيمانية، كحالة نابعة من التقوى، من قلوب امتحنها الله بالتقوى، وملأها بالإيمان. فيرفعون أصواتهم عند رسول الله، في مظهر من مظاهر ضعف الاحترام، ضعف التوقير، ضعف التعظيم لرسول الله ﷺ، ضعف في إدراك عظمة هذا الرجل ومكانته الكبيرة **جدًّا** عند الله كأعظم منزلة وصل إليها بشر؛ **فيكون** جهرهم في أصواتهم فيما يتحدثون به مع بعضهم البعض أو يتخاطبون به مع رسول الله نفسه ﷺ، **فيجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض:** وكأنه يتحدث مع أي إنسان آخر، وليس كأنه يتحدث مع مَنْ؟ يتخاطب مع مَنْ؟ يتكلم مع مَنْ؟ مع رسول الله، مع خاتم أنبياء الله، مع أعلى الخلق منزلة عند الله، مع عظيم الشأن والقدر، فيجهر لرسول الله ويتخاطب بشكل طبيعي **جدًّا**، كأنه يتحدث مع أي إنسان ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، هذه قضية خطيرة، خطورتها حتى على الإيمان، لدرجة أنها تهدد عملك بكله ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ يحبط عملك، **الذي هو:** جهاد، وصلاة، وصيام، وصدقات، ووو... إلخ. يحبط خلاص [يقرح جو، ينتهي، ما لا يُحسَب] قضية خطيرة.

كيف ينبغي أن نكون مع رسول الله، مع تعليماته، كيف ينبغي أن تكون محبتنا له فوق كل محبة، كيف ندرك، كيف نؤمن، كيف نعي، كيف نستوعب أن حقه علينا أكبر حقٍ بعد حق الله ﷻ، وأن حبه ومستوى محبتنا له **يجب** أن تكون فوق مستوى كل محبة بعد محبتنا

للـه ﷻ...إلـخ. هـذا مـا سـنتحدث عنـه- إن شـاء اللـه- في كلـماتٍ قادمـة.

واقعنا في العلاقة برسول اللّه.. العوامل والمؤثرات

نحـن مثـلاً في هـذا الزمـن، وقـد مـرّ زمـن طويـل، كيـف يمكـن أن نكـون في قلـة أدبنـا، في قلـة وعينـا، في ضعف محبتنـا، في ضعف علاقتنا، في مسـتوى ارتباطنا الإيماني برسـول اللـه ﷺ، حتـى في نظرتنـا للرسـول ﷺ في السـاحة الإسـلامية، مـع هـذا الزمـن الطويـل الـذي امتـد بنـا. إذا كان هـذا حـال بعـض الذيـن عايشـوه، وعرفـوه، وسـمعوه، وأبـصروه، وصلّـوا خلفـه، وجاهـدوا تحـت رايتـه، وعاشـوا معـه، كيـف بنا وقـد تعرضنـا لكثـير مـن المؤثرات، **هـذا البعـد الزمني الذي شـابَهُ كثير مـن العوامل:**

أولهـا: التحريـف للسـيرة النبويـة بمرويـات وأخبـار لا صحـة لهـا: كثـير مـن المرويات والأخبـار التـي دُسَّـت في كتـب التاريـخ وفي كتـب السـير مـما تسـيئ أبلـغ الإسـاءة إلى رسـول اللـه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أمـا جانـب النقـص فهـو ذاك، كيـف غُيبـت أشـياء مهمـة، كيـف أهملـت قضايـا رئيسـية، كيـف لم يركّـز الكُتَّـاب وأصحـاب السِّـيَر والمؤرخـون عـلى مسـائل مهمـة **جـدًّا** للأمـة، تحتـاج إليهـا الأمـة في كل زمـن، تقـدّم الصـورة العظيمة عـن حياة رسـول الله ﷺ.

النقـص جانـب كبـير، ولكـن أيضـاً فيـما ورد، فيـما أثـر، فيـما كُتِـب، فيـما نُقِـل، شـابَهُ الكثـير مـن التحريـف، والكثـير مـن الافـتراءات، والكثـير مـن المنقـولات والروايـات والأخبـار التـي يجمـع كل المؤرخـين وكل الدارسـين والباحثـين أن فيهـا مـا فيهـا: مـن الخلـل، مـن التحريـف، مـن التشـويه، مـن الأكاذيـب، مـما يـسيء **جـدًّا** إلى رسـول اللـه صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله لدرجـة أن البعـض مـن الكتـاب المرتديـن عـن الإسـلام، كـ(سـلمان رشـدي مثـلاً)، أو المسـتشرقين الغربيـين (بعـض الأوروبيـين وبعـض الغربيـين) ممـن كتبـوا عـن الرسـول أو عـن الإسـلام اسـتفادوا

منهـا في التشـويه لرسـول اللـه، وفي الاستشـهاد بهـا والاعتـماد عليهـا في الإسـاءة إلى رسـول اللـه صلوات الله وسلامه عليه وعلى اله، بـل لدرجـة أن بعـض الأفـلام المسـيئة للرسـول التـي أُنتِجَـت بهـدف الإسـاءة إلى رسـول اللـه ﷺ استفادت مـن بعـض تلـك المرويـات، ثـم تُعتَمَـد تلـك المرويـات في مناهـج رسـمية في العـالم العربي وتصبـح مصـدراً معتمـداً في معرفـة السـيرة النبويـة، وفي الرجـوع إليهـا والاعتـماد عليهـا، وبعـض الروايـات في بعـض الكتـب، أخبـار فظيعـة، منتقصـة، اسـتفاد منهـا أعـداء الإسـلام مـن المسـتشرقين بعضهـم، وأيضـاً اسـتفاد منهـا واعتمـد عليهـا التكفيريـون؛ **ليجعلـوا** منهـا الوجـه المعـبر عـن الإسـلام وعـن الرسـالة والرسـول؛ فقدمـوا صـورةً سـوداويةً فظيعـةً مشـوهة وقاتمـة عـن الرسـول وعـن الإسـلام.

ثانيـاً: النمـط المعتـاد في تقديـم السـيرة: مثـلاً عـادةً يركّـز الكتـاب في السـيرة والمؤرخـون عـلى أشـياء معينـة اعتـادوا عـلى التركيـز عليهـا والإيـراد لهـا، ثـم لا يهتمـون بقضايـا مهمـة وقضايـا رئيسـية؛ **كان** المفـترض أن يسـلطوا الضـوء عليهـا، وهـي في غايـة الأهميـة، وفائدتهـا كبـيرة **جـدًّا**، ثـم أسـلوبهم في التقديـم ليـس أسـلوباً جذابـاً ومؤثـراً، يـترك أثـره الكبـير في الوجـدان والمشـاعر والأحاسـيس، ويـترك أثـره العظيـم في الواقـع العمـلي... إلا. تقديـم جـاف، وسرد غـير مؤثـر، غـير منظـم، لا يركّـز عـلى شـخصية الرسـول ﷺ بقـدر مـا يتأثـر مثـلاً: بالظـروف المذهبيـة، بالجـدل المذهبـي، بالرمـوز المذهبيين...إلـخ.

ثالثـاً: التراجـع في الاهتـمام بهـذه المسـألة، وانكـماش مسـاحتها وحضورهـا في التثقيـف والتعليـم: كلـما طـال الزمـن وكلـما امتـد الوقـت وكلـما كـثرت المؤثـرات في واقعنـا في الحيـاة، كلـما قـلّ الاهتـمام بهـذا الجانـب، وكلـما غـاب هـذا مـن الذهنيـة، وبالتـالي مـن الوجـدان والواقـع العمـلي.

رابعـاً: الحـرب الناعمـة، الحاميـة الوطيـس، المسـتهدفة للمجتمـع، لشـبابنا، لنسـائنا، لأطفالنـا، الحـرب الناعمـة: هـي مـن أخطـر مـا يواجهـه مجتمعنـا المسـلم، حـرب خطـيرة **جـدًّا**، حـرب تـأتي إلينـا من خـلال وسـائل التثقيـف والتعليـم والإعلام، تُسـتغل فيهـا المناهـج، **يسـتغل فيهـا الإعـلام بـكل وسـائله:** مـن مواقـع التواصـل، إلى المواقـع عـلى الانترنـت والشـبكة العنكبوتيـة، إلى القنـوات الفضائيـة، إلى إلى إلى... حـرب وزخـم هائـل **جـدًّا** يتوجـه نحـو التأثـير علينـا في سـاحتنا الإسـلامية، في ثقافتنـا، في آرائنـا، في سـلوكياتنا، في تصرفاتنـا، في عاداتنـا، في تقاليدنـا، في اهتماماتنـا، ويسـتهدفون زكاء أنفسـنا، **ويسـتهدفونا- أيضـاً- بالتضليـل:** التضليـل الثقـافي، والتضليـل الفكـري، يسـعون لاحتـلال قلوبنـا، واحتـلال مشـاعرنا، واحتـلال أفكارنـا، واحتـلال ثقافتنـا، والتحكـم بآرائنـا وتوجيهنـا... هـذه مـن أخطـر الحـروب عـلى الإطـلاق، هـم أطلقـوا عليهـا هـم (الحـرب الناعمـة) التـي تجعـل خصمـك يفكـر كـما تريـد لـه أن يفكـر، وبالتـالي سـيفعل مـا تريـده أن يفعـل، ويتـصرف كـما تريـد لـه أن يتـصرف، وفـق الوجهـة التـي حددتهـا لـه. الحـرب الناعمـة هـذه تسـعى إلى فصـل مجتمعنـا عـن مبادئـه، عـن قيمـه، عـن رمـوزه وعـن مقدسـاته.

الحملة الوهابية ضد رسول الله ورموز الإسلام

أيضـاً، الحملـة الوهابيـة التكفيريـة التـي سـعت إلى تقطيـع أوصـال الإسـلام، والفصـل مـا بـين منهجـه ورمـوزه ومقدسـاته، وجعلـت التعظيـم لرمـوز الإسـلام، وفي المقدمـة رسـول اللـه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ثـم مـن بعـده أهـل بيتـه عليهم السلام جعلـت مـن هـذه المسـألة شركاً وكفـراً وخروجـاً عـن الملـة، وجعلـت منهـا مسـألة كافيـة لاسـتباحة الدمـاء وقتـل المسـلمين واسـتباحة الحرمـات، حتـى عبـارة ولفـظ ومفـردة (تعظيـم) جعلتهـا ممنوعـة في حـق رسـول اللـه صلى الله عليه وآله، وأنـه لا يجـوز إطلاقهـا أبـداً، **أن تقـول:** [نعظـم رسـول اللـه]، [شرك شرك، هـذا شرك]

هكذا يقولون، وللأسف أوردوا هذا حتى في المناهج الدراسية الرسمية في بلدنا، منعوا التعظيم للرسول -صلوات الله عليه وعلى اله-، بينما الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: من الآية٣٢]، لاحظوا معي ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ يورد المفردة نفسها، ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، شعائر الله مطلوب منا أن نعظمها، وأن هذا يعبر عن تقوانا لله؛ **لأن** القلب الذي يعظم شعائر الله هو عظمها لله ومن أجل الله، فكان ذلك نابعاً من حالة التقوى، حالة التقوى التي تملكت قلبك وحضرت في مشاعرك، فعبر عنها شعورك في حالة التعظيم التي انطلقت من داخل القلب والوجدان إلى حالة السلوك والعمل والتفاعل والتصرف والتعبير، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾، هذه حالة **(وَمَن يُعَظِّمْ)**، عبارة **(وَمَن يُعَظِّمْ)**، مفردة **(وَمَن يُعَظِّمْ) قالوا:** [ممنوع أن تستخدمها تجاه رسول الله، شرك شرك، تذبح بالسكين، أو تعدم بالرصاص، هل تعظم رسول الله]!! هذا عندهم أكبر مشكلة، وأنت معناه جعلت منه وثناً، وصنماً... إلخ.

هم سعوا إلى إبعاد الأمة عن الرسول وعن تعظيمه، عن الارتباط الوجداني ومحبته الكبيرة التي ثمرتها: التمسك به، التأثر به، الاهتداء به، الاقتداء به، وجعلوا العلاقة مع الرسول علاقة جافة، جافة **جدًّا**، تنظر إليه كمجرد شخص وصّل رسالة، كأي رسول عادي معه مكتوب من شخص وصّله، [وإلا من طرف أوصله وراح له مع السلامة] **يقولون:** [رسول معه رسالة وصلها وراح له، مع السلامة، مع السلامة- خلاص]، جهل كبير بطبيعة الدور العظيم الموكل إلى الأنبياء، وبعظمة الأنبياء وأهمية الأنبياء ودور الأنبياء، ثم طمسوا كل آثاره، كل آثاره في المدينة وفي مكة وحاربوها محاربة

شديدة **جدًّا**، ويجعلون من أي احترام؛ **بأي** مستوى من الاحترام والتقدير والتعظيم لآثار الرسول، للآثار الإسلامية شركاً فظيعاً، أمر رهيب يعني، كان لهم -أيضاً- بسبب نفوذهم في كثيرٍ من المناطق، في كثيرٍ من البلدان، والمظلة السياسية التي حضوا بها من خلال النظام السعودي والأنظمة المرتبطة به- تأثير كبير في أن تنشأ علاقة جافة **جدًّا** بين الأمة وبين نبيها؛ **لأن** طغيان طرحهم وثقافتهم وتوجههم امتد إلى المناهج التعليمية، إلى الخطاب الديني، إلى المنابر الإعلامية، ففصلوا الأمة وجعلوا علاقتها علاقة بالمنهج دون الرموز ودون المقدسات؛ **ليكونوا** هم من يحلُّ في هذا المنهج حاكمين عليه، مقدمين له، أسوةً فيه؛ **فكانوا** سوء الأسوة، وسوء القدوة، وأفظع وأوحش- والعياذ بالله- ما يمكن أن يقتدى به؛ **لأنهم** كانوا المحرفين والمنحرفين عن هذا المنهج.

أيضاً من العوامل: الضعف في المواكبة العصرية في وسائل التقديم للسيرة، وللتثقيف المؤثر في الوسائل المبتكرة والمعاصرة، والتقنية المعاصرة في وسائل الإعلام...إلخ.

نحن- إن شاء الله- في هذه الأيام إلى الثاني عشر من شهر ربيع، إلى أن تحلَّ بنا الذكرى، إن شاء الله بتوفيق الله وإذنه سنتحدث في عددٍ من الكلمات، وننحوا في طريقتنا على التركيز على جوانب رئيسية؛ **لأنه** حديث واسع **جدًّا وجدًّا**، نرى الحاجة إلى الحديث عنها والاستفادة منها لأهميتها ولطبيعة الظروف التي نعيشها والتحديات التي نواجهها، ستكون محطتنا- إن شاء الله- في الغد أن نَعرِض بشكلٍ عام ومختصر عرضاً موجزاً عن الرسالة الإلهية والأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى رسول الله محمد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

مع بعض المستجدات.. نقاط مهمة

في آخر كلمتنا هذه نستعرض بعض النقاط المواكبة تجاه بعض المستجدات:

أولاً: ندين ونستنكر بأشد الاستنكار ما أقدم عليه النظام السعودي المجرم المنحرف في سياق تعزيز ولائه لإسرائيل من تدنيس للمسجد النبوي الشريف (ثاني الحرمين الشريفين)، وإدخاله لأحد الصهاينة إلى المسجد، هذه جريمة كبيرة، جريمة كبيرة بحق الإسلام، وإساءة كبيرة وفظيعة إلى رسول الله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**، بينما نحن نتألم ونأسف حينما يدخل الصهاينة إلى باحة المسجد الأقصى والى صرحه الخارجي، إذا بهؤلاء يأتون بالصهاينة إلى ثاني الحرمين، إلى المسجد النبوي، ويدخلوه لالتقاط الصور داخل هذا المسجد، كل هذا تودداً إلى الصهاينة، تودداً بالإساءة إلى رسول الله، ما أقبحهم! ما أشنعهم! ما أخزاهم! ما أعيبهم! هذا عار عليهم يتقلدونه الى الأبد، التودد إلى الصهاينة بقتل أبناء الإسلام، والتودد الى الصهاينة بنشر الفتن بين المسلمين، التودد الى الصهاينة بمعاداة الشعوب الإسلامية، التودد إلى الصهاينة بالإساءة إلى رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه- بالتدنيس لمسجده، للمسجد النبوي الشريف، إساءة إلى رسول الله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**، هذه جريمة **يجب** أن يكون للأمة صوتها المسموع في الانتقاد، في الاحتجاج تجاه هذه الجريمة والإساءة، لم يكتفوا أن يقدموا في ضيافتهم لهذا الصهيوني بنات مسلمات، ويلتقط معهن الصور وينشرها، لم يكتفوا في انتهاك أعراض المسلمات وتقديمهن ضيافة لهذا الصهيوني، حتى أضافوا إلى ذلك ما هو أفظع، فذهبوا به إلى مسجد رسول الله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**، هذه كارثة، إضافة إلى النشاط المتصاعد المكشوف لتطبيع علاقتهم مع العدو الإسرائيلي، وصل إلى حد إصدار الفتاوى

الباطلة بحرمة قتال الإسرائيليين! هذه كارثة، هذه مصيبة، هذا افتراء كبير، هذا ظلم، وإلى تجويز العلاقة معه، إلى تجويز الزيارات لكيانه.

ثانياً: ندين ونستنكر العدوان الإجرامي التكفيري الصهيوني على المصلين في أحد مساجد سيناء المصرية، ونقدم تعازينا إلى أسر الضحايا، ونتمنى الشفاء للجرحى، ونقدم تعازينا- أيضاً- إلى الشعب المصري، ونعبر عن تضامننا معه، وندعو الجميع في المنطقة إلى التحرك الجاد لمواجهة الخطر التكفيري والصهيوني المزدوج، الذي كلٌ منه وجهٌ لعملةٍ واحدة، والتصدي لمن يقف خلفه؛ **لأنه** عدوان وإجرام مدعوم، والجميع يعرف من يدعمه.

ثالثاً: أدعو شعبنا العزيز إلى المزيد من الصمود والثبات في مواجهة العدوان الأمريكي السعودي الإجرامي، الذي أقدم مؤخراً على خطوةٍ إجراميةٍ خارجةٍ كلياً عن الإنسانية من خلال إغلاق المنافذ وسعيه إلى خنق شعبنا العزيز بتواطؤٍ غربيٍ وعربيٍ من بعض الأنظمة العربية، كما أدعو القوى الحرة إلى تحركٍ جاد تجاه هذه الخطوة الهمجية الظالمة، والتي هي- أيضاً- شاهدٌ إضافي إلى طبيعة هذا العدوان، هذا عدوان صهيوني، هذا عدوان يتودد فيه النظام السعودي إلى إسرائيل وأمريكا، وتجرد من كل القيم الإنسانية والأخلاقية والإسلامية، عدوان همجي، متوحش، إجرامي، شيطاني، لا يرعى إلاً ولا ذمة، لا يأخذ بعين الاعتبار لا أخلاق، ولا قيم، ولا مبادئ، ولا شرائع، ولا قرآن، ولا إسلام، ولا حلال، ولا حرام... يفعل كل المحرمات، وينتهك كل الحرمات، ما عنده أبداً لا قوانين إنسانية، ولا أعراف إنسانية، ولا شيء، خطوة لا يمكن أن يبررها بشرع ولا شرعية، ولا تعليم سماوي، ولا قانون أرضي، منتهكة للقوانين الدولية، وخطوة لا يبررها شيء أبداً؛ **ظالمة**، مؤذية، عقاب جماعي

لشعب بأكمله، استهداف حتى للأطفال والنساء، لكل أبناء هذا الشعب، ومع ذلك تشكّل هذه فضيحة مدوية لكل الذين جعلوا من أنفسهم مظلة لهذا العدوان، على رأسهم أمريكا، لا بقي حقوق إنسان ولا بقي أي شيء، تواطؤ ومظلة وحماية لهذه الخطوة الإجرامية الظالمة.

شعبنا معنيٌ بأن لا يراهن على أحد في هذا العالم إلا على الله، وأن يعي أي عدو هذا الذي يعتدي عليه، عدو هو على هذا النحو، لا يمتلك ذرة من القيم ولا من الإنسانية، ما الذي ينفع مع عدوٍ كهذا مع معتدٍ كهذا؟! [ما به شيء عنده حرام، ولا به شيء عنده يتحرى أو يتحاشى من فعله] يفعل أي شيء، يُقدم على أي جريمة، ينتهك كل المحرمات والحرمات، عدوٌ كهذا **يجب** التحرك الجاد لمواجهته، آمل أن تنعكس هذه الخطوة الإجرامية صموداً وإصراراً وعزماً وإقبالاً إلى الجبهات للتصدي لهذا العدو، بدلاً من أن ينتظر البعض ليموتوا جوعاً، عليهم أن ينالوا شرف الشهادة في الجبهات، وأن يُذيقوا هذا المعتدي الظالم غِبَّ جرائمه، ومغبة أفعاله وتصرفاته الإجرامية والوحشية.

رابعاً: فيما يتعلق بالأداء الحكومي القاصر والمقصر الذي ليس في مستوى هذه التحديات، ولا في مستوى حجم المعاناة التي يعاني منها الشعب، هناك مراجعة داخل المكونين الرئيسين على أعلى المستويات بهدف العمل على معالجة الوضع الحكومي بأيٍ من الخيارات المتاحة، وسيكون له نتيجة- إن شاء الله- في الأيام القادمة.

خامساً: نبارك لمحور المقاومة، ولشعوب الأمة، بالانتصار الإلهي التاريخي في سوريا والعراق على داعش التكفير والعمالة، والذي هو انتصار لمصلحة كل شعوب المنطقة، وحمى شعوب المنطقة من شرٍ كبير وبلاءٍ مستطير، كان مدعوماً ومحمياً من أمريكا ومن عملاء أمريكا في المنطقة، وعلى رأسهم النظام السعودي الذي يرى في هذه الهزيمة هزيمةً له وهزيمةً للمشروع الأمريكي، ويهدف إلى الانتقام عندنا في اليمن، لذلك نحن معنيون بالاستعداد بشكلٍ أفضل في الأيام القادمة لمواجهة التصعيد الذي تحرك به نتيجة فشله وهزيمته المدوية والرهيبة والكبيرة **جدًّا** في تلك الساحات؛ **فتحوّل** بتصعيدٍ أكثر في ساحتنا اليمنية.

نسأل الله ﷻ أن ينصر شعبنا، وأن يشفي جرحانا، وأن يرحم شهداءنا، وأن يعيننا في مواجهة هذه التحديات، وأن يوفقنا لنكون أعظم اقتداءً وارتباطاً وتأسياً برسولنا ونبينا محمد -صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين-.

وإن شاء الله نواصل هذه الأيام هذه الكلمات..

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الثانية ٨ ربيع أول

حتمية العودة للرسالة الإلهية لإنقاذ البشرية

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألَّا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

حديثنا اليوم مستمرٌ في سياق الموضوع الرئيسي الذي بدأناه بالأمس، وهو حديثنا بشأن الأنبياء والرسل والنبوة والرسالة، وحديثنا اليوم هو عرضٌ عامٌ عن مسألة الرسالة والنبوة، ونحن نحرص - دائمًا- على أن نربط حديثنا هذا بالواقع الذي نعيشه، وتعيشه الأمة من حولنا، وتعيشه البشرية جمعاء، باعتبار هذا الموضوع في غاية الأهمية؛ **ليكون**

منطلقًا لصلاح واقعنا، ولمواجهة التحديات التي نعاني منها في هذا الزمن.

نحن عندما نأتي لنتأمل في الساحة من حولنا ونلحظ ما ألحقته قوى الطاغوت والاستكبار، وفي مقدمتها أمريكا وإسرائيل، من عناءٍ وشقاءٍ بالبشرية وفي ساحتنا العربية والإسلامية، **يجب** أن نتطلع إلى الرسالة الإلهية باعتبارها الملاذ الآمن والمنقذ الحقيقي، بما فيها من هداية، بما فيها من نور، بما فيها من تعليمات، بما فيها من توجيهات، هي أتت أساسًا لإنقاذ المجتمع الإنساني، ولربطه بالله ﷻ حتى يكون على صلةٍ بالله جلّ شأنه يرعاه ويعينه ويهديه وينصره ويوفقه ويأخذ بيده لاستنقاذه مما هو فيه من عناءٍ وشقاء، **ويجب** أن نعي جيدًا أنه ما من مخرجٍ وما من ملاذٍ لا لأمتنا الإسلامية ولا للبشرية من حولنا يخرجها من المأزق الكبير الذي أوقعتها فيها قوى الطاغوت والاستكبار الشيطانية إلا الرسالة الإلهية، وإلا العودة من جديد إلى اتباع الرسل والأنبياء، والتمسك بنهجهم، ومن خلال حلقة الوصل بهم المتمثلة في خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، والتمسك بالوثيقة الإلهية الربانية التي هي خلاصةٌ لكل كتب الله السابقة.

فعندما ننظر من هذه الزاوية إلى الرسالة الإلهية بما فيها من تعليمات وتوجيهات، ونرى فيها الحل الجذري لكل مشاكلنا، ما كان منها مشاكل اجتماعية، ما كان منها مشاكل اقتصادية، ما كان منها أزمات سياسية... كل أنواع المشاكل التي يعاني منها البشر في كل أقطار الأرض، هذا هو السبيل للخروج منها والحل لها بشكلٍ صحيح.

والبشرية كلما تجاهلت هذا الأمر، وكلما بحثت هنا وهناك هل من مناص؟ لا تصل إلى حلولٍ صحيحة ولا إلى حلولٍ سليمة. لابد لها من

الالتفات إلى دعوة الله ﷻ، كما أنه لا مبرر للتهرب من رسالة الله، ولا مبرر أبدًا لهذا الجفاء الكبير ما بين البشر وبين رسل الله وأنبيائه ولهذه الفجوة الهائلة القائمة في واقع البشرية، باستثناء حالات محدودة وفي نطاقٍ محدود للبعض من البشر، فهذه المسألة مهمة، حديثنا ليس حديثًا ترفيًا أبدًا، بل هو حديثٌ هادف على صلةٍ بهذا الواقع الذي نعيشه.

الرسالة الإلهية وصلتها الأساسية بالوجود الإنساني

وإذا عدنا إلى الموضوع من أساسه (موضوع الرسالة والنبوة)، فهو موضوعٌ أساسيٌ في ديننا الإسلامي، في دين الله ﷻ، في رسالته لكل أنبيائه، مرتبطٌ بالله ﷻ، وذو صلةٍ أساسيةٍ بوجود الإنسان، الوجود الهادف والمسؤول، **هذا أول دلالة للرسالة الإلهية:** أن وجود الإنسان في هذه الحياة وجودٌ هادفٌ ومسؤول وليس عبثيًا، وهنا تختلف النظرة بالنسبة للأقوام والأمم والفئات التي كفرت برسل الله وأنكرت الرسالة الإلهية، أو لم تنظر إليها من حيث قدمت نفسها كما هي فيما قدمت نفسها عليه، البعض يرون في الوجود الإنساني في هذه الحياة وجودًا عبثيًا وحيوانيًا، وأن الدور لهذا الإنسان في هذه الحياة لا يختلف عن دور أي حيوان غريزي يعمل، **أو كما يقال:** [يأكل ليعيش، ويعيش ليأكل]، وخلاص، ليس هناك اعتبارات أخرى، وليس هناك أهداف مهمة لهذا الوجود، ولا أي شيء، وهذه النظرة الضالة هي تقلل من كرامة هذا الإنسان، وهي نظرة استهتار إلى هذا الوجود بكله، إلى هذا الكون بكله، بكل ما فيه؛ **لأن** هذا العالم العجيب، هذا الكون العظيم والكبير بكل ما فيه من دلائل على حكمة الله وقدرة الله **جلّ شأنه** لم يأتِ عبثًا، والوجود الإنساني في ظل هذا الكون بما ارتبط بهذا الإنسان فيه، وما هيأ له فيه، وما مكّن له فيه، وما سخّر له فيه، وهذا الدور البارز للإنسان في هذا

الكون وفي هذه الحياة لم يكن عبثيًا أبدًا، لو كان عبثيًا لكان في هذا انتقاصٌ لحكمة الله ﷻ، ولذلك قال جلّ شأنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[المؤمنون: ١١٥-١١٦]، يقول جلّ شأنه أيضًا في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٧-٢٨].

تسخير الحياة للإنسان بقدر المسؤولية المنوطة به

الله ﷻ حين خلق هذا الكون، وخلق الإنسان مستخلفًا في هذه الأرض، وليكون له دورٌ بارزٌ ومسؤولية كبيرة، سخّر له فيها ما في السموات وما في الأرض، فالإنسان كائن في هذه الحياة وموجودٌ في هذه الحياة على أساسٍ من المسؤولية، ارتبطت به مسؤوليات كبيرة، ومسؤول عن تصرفاته وعن أعماله، وهذه المسؤولية حددها الله ﷻ ورسم معالمها لهذا الإنسان، الإنسان مسؤولٌ بقدر ما حمله الله من مسؤولية، ومسؤولٌ على أساسٍ من التعليمات التي قدمها الله ﷻ إليه، ومسؤولٌ على أساس البرنامج الإلهي الذي يحدد لهذا الإنسان في هذه الحياة ما له وما عليه، هذه هي المسؤولية بالنسبة للإنسان، والله جلّ شأنه قال في كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: الآية-٣١]؛ **لأن** الإنسان في إطار مسؤولياته هذه إما أن يكون محسنًا وإما أن يكون مسيئًا، ويترتب على هذا جزاؤه، كلما نجحت قوى الطاغوت والاستكبار (القوى الظلامية) لإبعاد الإنسان عن هذه العقيدة تجاه وجوده، وتجاه دوره، وتجاه مسؤولياته في هذه الحياة، وتجاه علاقته بالله ﷻ، وفي إطار هذه المسؤولية؛ **كلما** جعلوا الإنسان مستهتراً في هذه الحياة، وعبثيًا، وضائعًا،

وتائهًا، ومنفلتًا لا تضبطه ضوابط ولا تحده قيمٌ وحدود في تصرفاته وأعماله؛ فتعظم وتكثر جناياته على نفسه وعلى البشر من حوله، وكلما تمكّن أكثر مع هذه الحالة من الانفلات، كلما كانت سلبياته في هذه الحياة أكثر، وكلما كان دوره السيء والسلبي أفظع وأكثر، ولهذا لرسالة الله جدوائية كبيرة في صلاح حياة الناس، في صلاح حياة البشر؛ **لأن** الإنسان كلما أحسَّ بأنه مسؤول وآمن بأنه مسؤول، كلما انضبط أكثر في تصرفاته، كلما كان ميزان تصرفاته التعليمات الإلهية والتوجيهات الإلهية الحكيمة والصالحة والنافعة، التي هي من الله ﷻ الملك، القدوس، العزيز، الحكيم، العظيم، الرحيم، الكريم، العليم... وبالتالي يتحرك على نحوٍ مسؤول في واقع هذه الحياة، ويتحرك بهدايةٍ إلهية.

الرسالة الإلهية امتداد لملك الله وتجلٍّ لرحمته

أيضًا، الرسالة الإلهية من أهم ما يجب علينا أن نعيه تجاهها أنها امتداد لملك الله، امتدادٌ لملك الله ﷻ ولربوبيته وألوهيته وهي- أيضًا- تجلٍ لحكمته ولرحمته، فالله ﷻ وقد خلق هذا الكون العظيم والعجيب والواسع بسمائه وأرضه، بما فيه على نحوٍ واسع، ثم خلق هذا الإنسان في هذا الوجود، ما كان ليترك هذا الإنسان في هذا الوجود يعبث على كيف ما يشاء ويريد، ويترك البشر فيما بينهم للتظالم والطغيان على بعضهم البعض، والتحرك في هذه الحياة بدون هدف ولا مسؤولية، وفي حالة من الضياع، وحالة رهيبة من التظالم، وحالة رهيبة من الفساد، وحالة رهيبة من سفك الدماء، ثم تنتهي المسألة هكذا بدون أي شيء. إلا، الله ﷻ هو الملك لهذا الوجود، وهو الرب للبشر، والرب للسموات والأرض، والرب للعالمين، وملك السموات والأرض، وملك الناس، وملك هذا العالم بكله، وهو يدير شؤون هذا العالم، هو جلّ شأنه لم يتنصل عن دوره عن مسؤولياته في هذا

العالم فيترك خلقه ويترك مُلكه ويترك عالمه هذا بعد أن خلقه ونظمه وأدار شئونه على المستوى التكويني، فيتركه في بقية الأمور هكذا عبثًا. إلا، مُلكه، رُبوبيته، أُلوهيته لهذا العالم وللبشر وللناس تقتضي أن يرعاهم- أيضًا- في كل شئونهم، وألَّا يتركهم عبثًا ومُهمَلين بدون هدف ولا نظام ولا مسؤوليات ولا ضوابط ولا التزامات... وهكذا؛ في حالة من الفوضى، هو منزهٌ عن ذلك ﷻ.

ولذلك- منذ أول وجود الإنسان في هذه الحياة- هو رعى هذا الوجود بهدايته وتعليماته، وجعل هذا الإنسان مسؤولًا أمام أمره ونهيه فيما يأمره الله وفيما ينهاه، على أساس مدى التزامه تجاه أمر الله وتجاه نهيه ﷻ، بدءًا مع أبينا آدم عليه السلام عندما خلقه الله ﷻ وعلَّمه مسؤولياته في هذه الحياة وكيف عمل معه في أول مخالفة، ثم بعد ذلك اجتباه ربه وتاب عليه وهدى، بعد ذلك وجَّه الله نداءَهُ فقال جلّ شأنه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف]، ومسؤولية الإنسان هي مسؤولية كبيرة، وبالرغم من محدودية الوجود للإنسان كفرد، كإنسان، كشخص -مثلاً- في مدة العمر التي يعيشها كل إنسانٍ منا في هذه الحياة، إلا أن مدة الجزاء على هذه الفترة القصيرة التي يمضيها كلٌ منا على الأرض فترة أبدية، الجزاء أبدي وعظيم وكبير **جدًّا**، وسواءً في جانب الخير الذي هو الجنة، مع ما يقدمه الله في الدنيا على مستوى رحمته وعطائه لكل عباده، وما يرعى به عباده المتقين والصالحين في هذه الحياة، وما يُنزل من عقوبات عاجلة للمنحرفين عن نهجه وهديه، ولكن الجزاء الرئيسي، الجزاء الوافي، الجزاء الكبير هو في الآخرة، وهو جزاءٌ أبديٌ، وهو عظيم وكبير، على مستوى الجنة للذين أحسنوا، وعلى مستوى النار للذين أساءوا الجحيم-

والعياذ بالله- وللأبد بلا انقطاع ولا نهاية، هذا يدل على أهمية مسؤولية هذا الإنسان؛ **لأن** هذه الفترة المحدودة التي يمضيها الإنسان في هذا الوجود ومنذ مرحلة التكليف التي يبلغ فيها الرشد والنضج النفسي والعقلي التي بها يصير مسؤولًا أمام الله ﷻ في توجيهات الله وفي تعليماته إلى أن يتوفاه الله ﷻ من هذه الحياة، مدة تتفاوت بالنسبة للبشر، أعمارهم تتفاوت، ولكن يقابلها حياةٌ أبدية هي جزاءٌ على هذا الوجود المؤقت والمحدود. مسؤولية الإنسان إذاً مسؤولية كبيرة عبّر عنها القرآن الكريم وصورها لنا في تصويرٍ عظيم حينما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

فمسؤولية هذا الإنسان مسؤولية كبيرة، وعليه أن يلتفت إلى حكمة وجوده وعلة وجوده في هذه الحياة، وأن هذه الحياة ميدان مسؤولية واختبار الله جلّ شأنه قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[الكهف]، ما خُوِلَ فيه هذا الإنسان، وما مُكنت فيه البشرية في هذا العالم وفي هذه الأرض؛ **إنما** هو بناءً على مسؤولية وليس عبثًا، بناءً على هذه المسؤولية، إذا أخل الإنسان بهذه المسؤولية يُجازى.

دور الرسل في توجيه وهداية البشرية

فكان لابد له من رسل، لابد له من هذا الاتصال ما بينه وبين الله ﷻ، وهذه الهداية الإلهية من خلال هؤلاء الرسل والأنبياء، وما ينزل الله ﷻ معهم من تعليمات وكتب لهداية هؤلاء البشر، ولإقامة الحجة عليهم فيما إذا أخلوا بمسئولياتهم في هذه الحياة، فيما إذا انحرفوا عن نهج الله ﷻ، فقال جلّ شأنه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: من الآية ١٦٥]، الله جلّ شأنه أقام الحجة على عباده من خلال رسله وأنبيائه، ولذلك كانت- حتى- مسألة العذاب متوقفة على ذلك، فقال جلّ شأنه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[الإسراء: من الآية ١٥]، فمع إرسال الرسل أتم الله حجته على عباده، بالرغم من أن الله ﷻ ألهم النفس البشرية فجورها وتقواها، قال جلّ شأنه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[الشمس]، ولكن يحتاج الإنسان مع وجود الكثير من المؤثرات عليه في هذه الحياة التي تجعله يغفل إلى حدٍ كبير، وتؤثر على فطرته، على الانتباه لما أودع الله في فطرته، يحتاج بشكلٍ رئيسي إلى هذا الدور للرسل والأنبياء لتذكيره، ولهذا- أيضًا- توصف مهمة الرسل والأنبياء في كثيرٍ من الآيات بالتذكير، ويأتي التوجيه لهم بالتذكير لهذا الإنسان ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات: الآية ٥٥]، ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾[إبراهيم: من الآية ٥]، وتأتي عبارة ومفردة التذكير كثيرًا كثيرًا في حركة الأنبياء وفي حركة الرسل وفي كتب الله ﷻ؛ **لأنها** تذكيرٌ للإنسان بما قد غفل عنه مما أودعه الله ﷻ في فطرته التي فطره عليها، فيتذكر من جديد إذا ذكر، البعض من الناس لا ينفع فيه ذلك، وتتعاظم عنده حالة الغفلة.

والله ﷻ منذ بداية الوجود البشري رعى هذا الوجود: بهدايته، بتعليماته، بإقامة الحجة عليه، لم يترك هذا الإنسان عبثاً في هذه الحياة ومهملًا وضائعًا، بل واصل مع البشرية وواكب معهم وجودهم هذا بشكلٍ مستمر بهدايته وبإرسال رسله، كما قال جلّ شأنه في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾[النحل: من الآية ٣٦]، وقال جلّ شأنه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[المؤمنون: من الآية ٤٤]، **يعني:** بشكلٍ متتابع، ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾.

الإعداد الإلهي للرسل والأنبياء

وفي عملية إرسال الرسل، وفي عملية اختيار الأنبياء؛ كانت المسألة على نحوٍ عظيم، وبعناية إلهية خاصة، مسألة الرسالة والنبوة لم تكن على نحوٍ عبثي أبدًا (أن من أراد أن يكون نبيًا أو أراد أن يكون رسولًا فليأت). إلا، ولم تُترك -أصلًا- إلى الواقع البشري، لتكون وفق أمزجة بشرية، وفق المزاج البشري، وفق الرغبة البشرية... أبداً، مسألة مرتبطة بالله ﷻ، وتحظى بعناية إلهية خاصة، ولم تكن المسألة- مثلاً- أن تأتي انتخابات ينتخب لهم الناس نبيًا، أو ينتخبوا لهم رسولًا. إلا، أو برنامجًا معينًا من طبقةِ أمكن له أن يكون نبيًا، أو -مثلًا- مستوى دراسي معين مَن وصل إليه أمكن له أن يكون من الأنبياء وفي عداد الرسل. إلا، لم تكن المسألة على هذا النحو أبدًا، مسألة تخضع لعناية إلهية خاصة، وباصطفاءٍ إلهي، كما قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: من الآية ٧٥]، ومعنى يصطفي أنه ﷻ يختار ويعد إعدادًا خاصًا لذلك، فأنبياؤه عليهم السلام منذ خلْقِهم وتكوينهم يُعَدُّون بإعدادٍ إلهي وبعنايةٍ إلهيةٍ خاصة لهذه المهمة العظيمة والكبيرة؛ **لأن** الله ﷻ هو القدوس العظيم، وهذه المسؤولية هي مسؤولية عظيمة، ومسؤولية مقدسة، وتحتاج إلى مؤهلات كبيرة، ومؤهلات خاصة، والله ﷻ كرَّم عباده بذلك، لم تكن المسألة مسألة عادية، فيكتفي بأي إنسان فيها ليرسله إلى الناس، **ويقول:** [خلاص أي واحد، أي واحد يجي، المسألة مسألة كلام يوصله وانتهى الموضوع]. إلا، طبيعة هذه المسؤولية كمسؤولية عظيمة ومسؤولية مقدسة ومسؤولية كبيرة تحتاج إلى مؤهلات كبيرة؛ **لأن** الرسل والأنبياء في أنفسهم **يجب أن يكونوا هم: أولًا لائقين وجديرين بهذه المسؤولية بكل ما فيها:** أولًا على المستوى الأخلاقي، على المستوى التربوي، أن يكونوا هم أول من يتخلق بتلك الأخلاق العظيمة، أن يكونوا هم القدوة فيها، أن يكونوا على أرقى مستوى في زكاء

أنفسهم في التخلق بتلك الأخلاق العظيمة، بتلك الأخلاق الرسالية والإلهية، وأن يكونوا هم- أيضاً- فيما حملوه من تعليمات على أرقى مستوى في الالتزام، أن يكونوا- أيضاً- تجاه البشر في مسؤولياتهم في التبليغ على أرقى مستوى من الأمانة، من الصدق، من النصح، من الحرص على هداية الناس، من التحمل الكبير، من الرحمة بالناس... جوانب كثيرة تتعلق بهذه المسؤولية، ومؤهلات متنوعة ترجع إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه في أنفسهم تجاه أنفسهم، وفي أنفسهم تجاه الناس من حولهم، وتجاه تلك التعليمات، وتجاه الأمانة التي **يجب** أن يكونوا عليها في حمل تلك التعليمات وفي إيصال هذه الرسالة الإلهية وفي السعي لإقامة هذه التعليمات في واقع الحياة، مؤهلات كثيرة وكبيرة وعظيمة، ولذلك لو حمّلوا هذه المسؤولية بدون أن يعطيهم الله المؤهلات اللازمة لها لكانوا مظلومين؛ **لأنهم** حمّلوا فوق ما يستطيعون، ولكن الله أهّلهم، هيأهم نفسيًا وفطريًا لتحمل هذه المسؤولية، ثم هو العليم بهم في مستقبلهم وفي مستوى التزامهم وفي مصداقيتهم وفي مستوى تحملهم لهذه المسؤولية بكل ما يعنيه هذا التحمل التزامًا، استيعابًا، عمًلا، طاعةً، استقامةً، حرصًا، التزامًا في النشاط التبليغي، وعملًا لإقامة هذه الرسالة من كل الجوانب، المسألة أكبر من أن نحيط بها وأن نستوعبها وأن نستطيع الحديث عن كل تفاصيلها.

هذا الإعداد الإلهي الذي يلحظ وجود هذا النبي أو ذاك من أنبياء الله سبحانه وتعالى **منذ تكوينهم**، بل حتى يختارهم على مستوى الأسر التي يختارهم منها، مثلما قال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٣٣]، حتى على هذا المستوى، على مستوى آبائهم، على مستوى أسرهم أن تكون أسرًا مناسبة لأن يختار الله منها هذا الاختيار وهذا الدور، وهذا سنتحدث عنه- أيضًا- عندما يأتي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الله ﷻ قال -مثلًا- عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:الآية٤١]، هذا يوضح لنا كيف أن عملية الاصطفاء لهم منذ خلقهم ومنذ تكوينهم ومنذ إيجادهم **يلحظ فيها هذا:** صناعة إلهية خاصة مهيئة لهذا الدور، ومؤهلة لهذه المسؤولية الكبيرة والعظيمة والمقدسة، حتى يكونوا لائقين وحتى يكونوا مناسبين لهذه المسؤولية، هذا- كما قلنا- فيه تكريمٌ للبشرية، **لو كانت المسألة متروكة إلى أنه:** [(يا أيها الناس) أي واحد، والا يجي إنسان يكون رسول أبله للبشرية]، أو غير لائق بهذه المسؤولية، ويؤدي الدور الرسالي على نحوٍ ناقص ومشوه؛ **لكان** في هذا إساءة إلى الله، وفي نفس الوقت لم يكن به التكريم للبشرية، لكن الله قدم للبشرية هداةً لها منه ﷻ على أرقى مستوى؛ **تكريمًا** لها، رحمةً بها، رعايةً لها، فضلًا عليها، فالمسألة هي تعود إلى هذا الأساس.

التكامل والجاذبية في شخصيات الرسل والأنبياء

ويأتي الرسل والأنبياء من الله ﷻ رحمةً منه بعباده، مهماتهم الرئيسية ومسؤولياتهم الكبيرة كلها لخير الناس، بعد أن يهيئهم الله ليكونوا على أرقى مستوى في ما هم عليه من أخلاقهم، من قيمهم، من فهمهم، من معرفتهم، من ذكائهم، من مؤهلات عظيمة ولائقة؛ **ليكونوا** بالمستوى اللائق بهذه المسؤولية ولهذا الدور، يأتون إلى البشر بأحسن ما يمكن أن يكون عليه بشر، وأرقى ما يمكن أن يكون عليه بشر، **يعني:** شخصيات جذابة، مؤثرة، عظيمة، زكية، طاهرة، صالحة، هادية، مهتدية، ليس فيها ما يمكن أن يبرر للبشر الاستياء منها أو النفور عنها أو التباعد عنها. إلا، شخصيات نموذجية وراقية وعظيمة ورحيمة فيما هي عليه من كمال، كمال إنساني، كمال أخلاقي، إعداد إلهي تتجلى فيها كل القيم، وتجسد في حياتها كل تلك الأخلاق التي أتت بها لتدعو إليها، وتلتزم هي بتلك التعليمات الإلهية، فما هناك ما

يبرر- أبدًا- البدائل للابتعاد عنها، والبدائل التي ارتبط بها البشر بعيدًا عن الأنبياء في عصر الأنبياء وفيما بعد عصر الأنبياء، البدائل المعادية للأنبياء، المحاربة لمنهج الأنبياء، ولطريقة الأنبياء، **ولأخلاق الأنبياء هي بدائل سيئة للغاية:** طواغيت، ومجرمون، وظالمون، ومظلون، وفاسدون، لا يمتلكون رحمةً بالبشرية، ولا يمتلكون أيًا من المؤهلات الجذابة، ولا أيًا من مؤهلات الكمال الإنساني، معظمهم يتصفون بالجهل المطلق إلى حدٍ كبير، يتصفون بالظلم، والفساد، والطغيان، والجبروت، والانتهازية، والاستغلال البشع، وعدم الاحترام للبشرية، لا يكنون أي رحمة بالناس، ولا يحملون في أنفسهم أي رأفةٍ بالناس، شيء عجيب، **يعني:** قصة البشر هذه قصة عجيبة **جدًّا**، حينما كان البعض يرتبطون بأولئك المستكبرين والطغاة ويتركون الأنبياء، هذا في عصر الأنبياء حصل إلى حد عجيب، وفيما بعد عصر الأنبياء إلى اليوم لا زال الكثير من البشر بعيدين كل البعد عن الاتباع للأنبياء ولنهج الأنبياء والتأسي بالأنبياء.

المهام الرئيسية لأنبياء اللّه

المهام والمسؤوليات الرئيسية التي يتحرك فيها الأنبياء بين البشر كلها لخير البشر ولمصلحة البشر، أولها: هداية العباد إلى الله، هداية الإنسان إلى الله ﷻ، وإنقاذ الإنسان وتحريره من العبودية لغير الله، الإنسان في هذه الحياة إما أن يعبّد نفسه لله، وهو عبد لله، مِلك لله، وهذا العالم بكله ملك لله ﷻ، إما أن يعبّد نفسه لله، وبهذا يتحرر الإنسان من العبودية لغير الله. **يعني:** لا يحررك كإنسان من العبودية لغير الله إلا عبوديتك لله، العبودية لله فقط يمكن أن تتحرر بها من العبودية لغيره؛ **لأنك** إن لم تعبد نفسك لله بمقتضى أنك عبد فعلاً، أنك عبد لله، وإلا استعبدك الآخرون، **والحالة التي يعاني منها معظم البشر هي:** أنهم يوقعون أنفسهم في العبودية للطاغوت،

ولهذا كان العنوان الرئيسي لدعوة الأنبياء وحركة الأنبياء في كل عصر وفي كل بعثة من بعثاتهم كما قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، الله بعث في كل أمة رسولًا على هذا الأساس في عبادة الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[النحل: من الآية٣٦] بعثة الأنبياء والرسل كان عنوانها الكبير، **عنوانها الرئيسي هو هذا:** عبادة الله واجتناب الطاغوت، والطاغوت: كل كيان سواءً كان كيانًا سياسيًا، أو كيانًا اجتماعيًا، أو شخصًا معينًا، أو جهةً معينة، أو توجهًا معينًا يطغى بالإنسان عن العبودية لله، ويتحكم بهذا الإنسان، فتكون وجهته إليه بدلًا عن الله ﷻ، فهو هذا الطاغوت الذي تعبّد نفسك، **يعني:** تخضع نفسك له بالمطلق، فتكون وجهتك في هذه الحياة نحوه طاعةً مطلقةً، وخضوعًا مطلقًا وتوجهًا مطلقًا، بدلًا عن الله ﷻ الذي **يجب** أن تطيعه هو الطاعة المطلقة، وأن تكون وجهتك في الحياة نحوه، تسعى لرضاه، تعبّد نفسك له، تخضع نفسك لأمره، تلتزم بتوجيهاته وتعليماته. فالطاغوت هو البديل، الطاغوت الذي يتمثل في كيانات سياسية، قد تكون- أحيانًا- دولًا، أنظمة، حكامًا متسلطين، طغاة، أو جهات مضلة، حتى- أحيانًا- تحت عناوين دينية، أو كيانات اجتماعية تتحكم بالإنسان تحكمًا كاملًا وتأخذ به بعيدًا عن منهج الله وتعليماته ﷻ.

يمكننا من خلال هذا الفهم، من خلال هذا الوعي، من خلال هذه المسألة، وهذه الآية المباركة أن ندرك حقيقة الفجوة التي تحصل في واقعنا ما بيننا وبين الأنبياء عليهم السلام، **حينما نلحظ- مثلاً-:** مدى التأثير لكل هذه الكيانات التي تتدخل في حياتنا وفي شئوننا وفي واقعنا، وتطغى علينا، وتتحكم بنا في المواقف، في السياسات، في التوجهات، معظم السياسات والتوجهات والمواقف التي تتحكم

بها تلك القوى، ومنها القوى المعاصرة اليوم، الحاضرة في الساحة، قوى الطاغوت المعاصرة، حينما يقول الله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ لم يكن الطاغوت عبارة عن كائن موجود في عصر الأنبياء فحسب، في عصر نبي الله محمد، أو في عصر نبي الله إبراهيم، أو في عصر نبي الله نوح، أو أيٍ من الرسل والأنبياء. إلا، **الطاغوت موجودٌ في كل زمن، هو:** التوجه المناقض للرسالة الإلهية، هو الاتجاه الآخر الذي يسعى للابتعاد بالناس عن هذه الرسالة في مبادئها، في تعليماتها، في توجيهاتها، في حلالها، في حرامها، في هدايتها، فيما فيها من حق، فهو موجود، هو قائم.

طاغوت العصر! ووسيلة التحرر من هيمنته

اليوم يجب أن نرى في أمريكا أنها الطاغوت الذي يسعى للابتعاد بنا عن رسالة الله وعن رسله وأنبيائه، أن نرى في إسرائيل أنها الطاغوت الذي يسعى كذلك، نرى في كل هذه الكيانات المرتبطة بها، المتجهة على أساس التبعية لها حتى من داخل أمتنا، بعض الأنظمة، بعض الكيانات التي ارتبطت بأمريكا وارتبطت بإسرائيل؛ **ارتبطت** بقوى الطاغوت والاستكبار، أن نرى فيها هذا الطاغوت الذي يريد أن يتحكم بنا على حسب ما يهوى، أن يستعبدنا في النهاية؛ **لأن** هذا التحكم بالكائن البشري في توجهه في الحياة، **والسعي لفصله عن الرسالة الإلهية في:** مبادئها، وقيمها، وأخلاقها، وتعليماتها، وتوجيهاتها، وحلالها، وحرامها، هو الطاغوت الذي **يجب** أن نجتنبه، وأن لا نخضع حياتنا له وأنفسنا له، وأن نكون عصيين تجاهه، فلا نقبل منه أبداً بأن يتحكم بنا، تَحكُّمه بنا في مواقفنا، في سياستنا، في حركتنا في الحياة، يعني فصلًا لنا عن هذه الرسالة الإلهية، وما من مسألة يمكن أن تطيع أمريكا فيها إلا وهي انحراف عن النهج الإلهي، عن الرسالة الإلهية، الأمريكي يذهب بك دائما وأبدًا عن مبدأٍ من مبادئ الرسالة الإلهية، أو عن خُلُقٍ من أخلاق الرسالة الإلهية،

أو عن تعليمٍ من التعليمات الإلهية، هذه هي النتيجة، هذه هي المحصلة.

فنحن اليوم معنيون بأن نعزز من خلال هذا الواقع تحررنا من الطاغوت، وأن نرى في الرسالة الإلهية أنها: عملية انقاذية وتحريرية لهذا الإنسان من تحكم قوى الطاغوت به، من استعبادها له، من هيمنتها عليه، وأن نرى في هيمنة قوى الطاغوت، وفي سيطرتها، وفي استعبادها وهيمنتها أنها حالة تخرج الإنسان من اتباع النهج الإلهي والرسالة الإلهية، فنرى في الرسالة الإلهية حصناً حصيناً وعملية تحريرية وإنقاذية، ونرى في الرسل والأنبياء أن في مقدمة مهماتهم ومسؤولياتهم تحرير هذا الإنسان، واستنقاذ هذا الإنسان من العبودية للطاغوت، ومن هيمنة قوى الطاغوت التي تشكل خطراً على هذا الإنسان في كل شئون حياته، ونرى في كل التعليمات التي أتى بها الرسل والأنبياء أنها تشكل حماية لهذا الإنسان من كل أشكال الاستعباد والاستغلال من كل قوى الطاغوت، كانت كيانات، أو كانت أشخاصاً، أو كانت توجهات تُعبّد هذا الإنسان لغير الله وتخضعه لأي كائنٍ آخر، فنرى فيها الخير ونرى فيها الكرامة، هذا واحد من المهام الرئيسية للرسل و الأنبياء.

من مهامهم الرئيسية ومسؤولياتهم الكبيرة: تزكية المجتمع الإنساني، وتربيته أخلاقياً، الإنسان يحتاج إلى الأخلاق، بدون هذه الأخلاق، بدون أن يربى عليها، بدون أن يتزكى بها؛ **يتحول** كأي حيوان آخر، ويتحرك بالغريزة، بما يعبر عنه القرآن بـ(الهوى)، الميول الغريزية لهذا الإنسان التي تأخذ به بدون أي ضوابط ولا حدود؛ **فيتحول وكأنه كأي حيوان موجود في هذه الأرض:** كالأنعام، أو كالكلب، أو كالحمار، أو كأي حيوان في أي غابة من الغابات، إذا لم ينضبط بتلك الأخلاق ويتزكى بتلك الأخلاق، فتكون القيم والأخلاق حاكمة على غريزته ومهذبة لغريزته وموجهه لغريزته.

الرسالة الإلهية لا تفترض في الإنسان خلوه من الغرائز التي فطره الله عليها، وأوجدها فيه أصلاً، ليكون لها دور كبير في حياته وفي استعماره في الأرض، وفي استخلافه في هذه الحياة، وفي هذا الكون، ولكنها تهذب هذه الغرائز، وتضبط هذه الغرائز، وتعمل على معايرة هذه الغرائز بمعيار الأخلاق، فلا تطغى في هذا الإنسان، وليس المطلوب أن تنطفئ نهائياً في هذا الإنسان، بل توجَّه في هذه الحياة على نحوٍ سليم وعلى نحوٍ صحيح.

إذا فقد الإنسان هذه الأخلاق، طغت به غرائزه وأهواؤه؛ **فطغى** في هذه الحياة، وأفسد في هذه الحياة، وظلم في هذه الحياة، وتحولت حياته هذه إلى حياة معطلة من كل القيم (أشبه بأي حيوان آخر)؛ يفقد كرامته الإنسانية، يفقد سموه الإنساني، ينحط كأي بهيمة في هذا الوجود وأسوأ ﴿... كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٩].

من المهام الرئيسية للأنبياء: هداية المجتمع الإنساني وتنويره؛ **لإخراجه** من الظلمات إلى النور، وتبصيره بالحق والحقائق، وإلا فالبديل عن ذلك أن يتيه الإنسان في هذه الحياة، تصبح نظرته إلى أمور كثيرة نظرة خرافية وجاهلة وغبية، وغير مدركة لكثيرٍ من الحقائق، وتفهم كثيراً من الأمور فهماً مغلوطاً وفهماً سيئاً، وهذا حصل بالنسبة للبشر، كم نشأ من جهالات وخرافات بدلاً عن الهدى الإلهي الذي يعطي الناس الحقيقة في نظرتهم إلى الكون والحياة من حولهم، كم نشأت من خرافات، كم نشأت من جهالات، من ضلالات تتيه بالإنسان في واقعه في الحياة، وفي واقعه في العمل والمواقف.

أيضاً- من مهامهم- السعي للدفع بالمجتمع الإنساني لإقامة العدل، والقيام بالقسط، والكف عن الظلم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ

﴿وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد: من الآية٢٥]، ثم تكون التعليمات الإلهية أساساً لسعادة الإنسان في هذه الحياة، لا يسعد إلا بها، وإلا البديل عن ذلك هو الشقاء، حتى لو كان لديه إمكانات مادية؛ **تزيد** من شقائه، تزيد من عنائه، مثلما يحصل اليوم في الغرب وفي كثيرٍ من الدول، تتحول الإمكانات المادية إلى وسيلة أكثر للشقاء والعناء والشعور بالضياع في هذه الحياة.

رغم عظمة الأنبياء.. الكثير من البشر واجهوهم وعاندوا!

مع كل ما كان عليه الأنبياء من عظمة، من كمالٍ إنساني، ومع ما قدموه إلى البشرية من خير، ومع ما كانوا عليه من قدرات عظيمة في إيصال الرسالة الإلهية إلى البشر، إلا أنهم واجهوا من كثيرٍ من البشر المواجهة والمعارضة والعناد والتكذيب والإساءة، بل والعداوة أحياناً، البعض عاداهم معاداةً شديدة، والكثير منهم استشهدوا (قُتِلوا) قتلهم الأعداء، وكان الدور البارز لمعارضة الأنبياء، والمشاققة للأنبياء، والسعي لمعارضة الأنبياء من فئات تحدث عنها القرآن، ووصّفها أحياناً بالملأ، وأحياناً في بعض التوصيفات بالمترفين، وفي بعض التوصيفات الأشمل والأوسع بالمستكبرين، الذين استكبروا، كثير من ذوي النفوذ السلطوي والمادي -كثيرٌ منهم وليس كلهم، ولكن كثيرٌ منهم- كان لهم دور كبير في معارضة نهج الأنبياء ورسالة الأنبياء، ولا يزال إلى اليوم وسيمتد إلى نهاية حياة البشر، الدور المعارض لنهج الأنبياء ولرسالة الأنبياء في عصرهم وبعد عصرهم هو بالدرجة الأولى لهذه الفئة من الناس، للكثير منهم، ولذلك القرآن الكريم تحدث عن دورهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[المؤمنون: من الآية٢٤] وهكذا: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ [الأعراف: من الآية٧٦] كثيراً نجدها في القرآن الكريم فيما حكاه عن الأنبياء عليهم السلام، قدّموا الكثير من العناوين التي حاولوا أن يخادعوا بها البعض من الناس.

مثلاً، كان من العناوين التي رفعوها في إنكار الرسالة الإلهية، وفي التكذيب للأنبياء عليهم السلام، بالرغم من أن الله أيّد رسله وأنبياءه بالمعجزات الدالة على صدقهم، فكان النبي **يحظى بمعجزات** خارج عن القدرة البشرية كشاهدٍ له على صدق نبوته ورسالته، أيضاً كان هو في نفسه يكون عادةً **معروفاً بكماله الإنساني**، بمصداقيته العالية **جدًّا**، بأمانته العظيمة، وبُعْدِهِ عن كل النقائص التي تكون مدعاةً لأن تُوَجَّه إليه التهمة بالانتحال، أو الكذب، أو الافتراء، أو غير ذلك.

ثم المضمون الذي يقدّمه مضمون حقٍ واضح، يفترض أن يكون مقبولاً على كل حال، قيم عظيمة، مبادئ عظيمة، دعوة محقة، ثلاثة عناصر رئيسية يفترض أن تكون مساعدة على تقبل الرسالة الإلهية، وعلى التصديق للأنبياء، والقبول لرسالتهم، والتفاعل الإيجابي معهم، ولكن كانوا يرفعون عناوين معينة، **مثلاً:** كان البعض يتذرعون ببشرية الأنبياء والرسل، **أنه:** [أنتم بشر، لا يمكن أن تكونوا أنبياء مع أنكم في نفس الوقت من البشر]، ﴿وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: من الآية٢٤]، وكان يظهر في الاستبيان القرآني فيما حكاه عن الأمم أنهم كانوا يقرُّون بالله، ولكن كانوا يشركون معه ما يدّعونه آلهةً أخرى كشركاء بحسب زعمهم وادعائهم، إضافةً إلى إنكارهم البعث، والمعاد، والقيامة، والجزاء، والحساب؛ **لتبرير** ما هم عليه من انفلات في هذه الحياة، وتعاملٍ لا مسؤول في هذه الحياة، وتحركٍ عبثيٍ في هذه الحياة؛ **فكانوا** يتذرعون بهذه المسألة: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: الآية٢٤]، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ

﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤]، **وكان من عجيب أمرهم أنهم كما قيل عنهم:** (رضوا بالألوهية لحجر، ولم يرضوا بالنبوة لبشر)، **يعني:** في الوقت الذي كان كثيرٌ منهم في مواجهة أكثر الأنبياء يرفعون هذا العنوان لتكذيب الأنبياء، وأنه لا يمكن أن يكونوا أنبياء باعتبارهم من البشر، كانوا- في نفس الوقت- قد رضوا بالألوهية بكلها، الألوهية التي هي أعظم شأناً، رضوا بها حتى للحجارة فجعلوا من الحجارة أصنامًا، في الوقت الذي جعلوا من المستحيل وغير المقبول والمعقول أن يكون النبي من البشر، وهذه جهالة كبيرة؛ **لأن** المطلوب أن يكون من البشر، **أولًا:** أن في هذا أنسًا للبشر عندما يكون منهم، يعيش حياتهم، يعيش التجربة البشرية، **لو لم يكن بشراً لأمكن أن يقولوا:** [اترك نفسك من هذا الكلام أنت ما تعرف واقعنا نحن البشر كيف نعيش]؛ **لأن** الرسول دائمًا يكون هو القدوة الأول والمعني بالالتزام بما أتى به، يكون هو مؤمنًا بما أتى به، ملتزمًا به، تلك الأخلاق التي يدعو إليها يكون متحليًا بها، تلك التعليمات يكون ملتزمًا بها، وهكذا يكون هو من البشر قدوةً وأسوةً للبشر، وليس بعيدًا عن الحالة البشرية، فيتحجج البشر؛ **لأنه** لا يعرف ما عليه البشر من طبائع، من صفات، من مؤثرات، من عوامل، من ظروف، وأنه لا يقدّرها ولا يستوعبها، وأنه مثالي يدعو إلى أشياء بعيدة عن إمكانية التطبيق في الواقع البشري، وهكذا... إلا، ولم يكن لهم حق في هذا الاعتراض.

كانوا- أيضًا- يتذرعون- مثلاً- بالظروف التي كان يعيشها البعض من الأنبياء: بأنه ليس تاجرًا وصاحب رأس مال كبير، ليس له سلطة أحيانًا، ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية٣١]، تقييم مادي، أحيانًا بأنه ليس من التجار الكبار، أو أصحاب الثروات الطائلة، أو أنه...، كلها أعذار سخيفة، كلها تبريرات زائفة لا تصلح أن يعتمد عليها أبداً.

فإذًا، كانت الرسل والأنبياء منذ آدم إلى خاتم النبيين رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كانت دائمًا تأتي بتعليمات الله ﷻ، وتكون هي القدوة التي تأخذ بأيدي البشر، وأراد الله للأنبياء أن يكونوا هم هداة البشرية، ومنقذي البشرية أيضاً، والمخرجين للبشرية من الظلمات إلى النور، ويبقى دائماً الملاذ الآمن للبشرية للخروج من كل أزماتها ومشاكلها العودة إلى هذه الرسالة الإلهية في تعليماتها الموجودة في القرآن الكريم والإسلام العظيم، ونبقى نحن كمسلمين معنيون بهذا.

لا يتسع لنا المجال اليوم للحديث عن بعض الأنبياء نترك هذا- إن شاء الله- لكلمة الغد.

أخيراً.. توصيات مهمة

في آخر كلمتنا اليوم يهمنا أن نتحدث -أيضًا- باختصار جدًّا عن ثلاث نقاط:

الوضع الاقتصادي وضرورة التعاون

أولًا: بطبيعة الظروف التي نعاني منها اليوم، بسبب الخطوة الإجرامية التي أقدم عليها النظام السعودي في عدوانه، وعمل من خلالها على إغلاق المنافذ، وتضعيف المضايقة بشكل أكبر لشعبنا العزيز، نحن نتوجه للجهات المسؤولة في الحكومة وفي مؤسسات الدولة وإلى التجار، وأيضًا للمواطنين بشكلٍ عام، بالحث على تظافر الجهود بشأن الوضع الاقتصادي.

الوضع الاقتصادي يتطلب اليوم تعاوناً من الجميع، الظروف ظروف صعبة، والمسؤول بالدرجة الأولى عن هذه المعاناة هو المعتدي، هو العدو الظالم، الغاشم، الذي يحاصر بلدنا، وأول ما تتجه اللائمة عليه بالدرجة الأولى وفي المقام

الأول، ثم الجميع بلا استثناء معنيون بالتعاون، الحكومة التي هي حكومة تعبّر عن المكونات؛ **لأن** البعض -مثلًا- قد يحاول أن يستغل هذه المعاناة، ويقدم نفسه وكأنه ليس معنيًا، وليس عليه أي مسؤولية تجاه أي شيء، متفرغ فقط يوجه الانتقادات والإساءات من خلال منابره الإعلامية، من خلال كُتَّابِهِ، من خلال إِعْلَامِيِّيْهِ ليحمّلوا هذا الطرف أو ذاك، والبعض دائمًا يوجهون اللوم في كل التفاصيل، في كل المشاكل، في كل الظروف إلى أنصار الله، بل يتحدث بطريقة وكأنه ليس هناك أي عدوان أبدًا، وكأنه ليس هناك دور أبدًا للعدوان في كل ما يحصل، وكأن الأمور والظروف عادية **جدًّا**، وليس هناك أي إشكالات، وكل الأمور [سابر]، ما عنده مشكلة في الساحة اليمنية إلا أنصار الله، فيوجه اللوم إليهم، مع أن البعض يكون شريكًا أساسيًا في الحكومة، وحاضرًا في كل المسؤوليات الرسمية، في كل أجهزة ومؤسسات الدولة بأكثر مما أنصار الله حاضرون بكثير، بأضعاف مضاعفة، ويكاد يكون الهرم الحكومي وكل مواقع المسؤولية في أكثرها من نصيبه، ثم يأتي دائمًا بإلقاء اللوم والمسؤولية على الآخرين، هذا أسلوب انتهازي، وأسلوب غير مشرّف، وأسلوب سيء **جدًّا**، والبعض مأزوم ومعقّد لهذه الدرجة التي لا يستطيع أن يعيش فيها تجاه الآخرين إلا خصمًا، لم يستوعب البعض مفهوم الشراكة، مفهوم التعاون، مفهوم التحالف، مفهوم تظافر الجهود... ما يستطيع، نفسيته ما هي سليمة، البعض نفسيته غير سليمة، مأزوم، ودائمًا يحمل حالة من نزعة الشر، من العدائية المفرطة، من العقد النفسية التي تجعله لا يستطيع إلا أن يكون خصمًا دائماً وأبدًا.

طبعًا، ليس هذا حال الجميع، يوجد في كل المكونات المناهضة للعدوان الكثير من الشرفاء والأحرار، الذي أريد أن أقوله: أن الوقت ليس وقت مناكفات إعلامية، وليس وقتاً لأن يحاول البعض أن يلمّع نفسه ويرمي

دائمًا باللائمة على الآخرين فيما يفعله العدوان. إلا، ولكن الجميع معنيون، **والكل عليه مسؤولية:** المكونات السياسية، الحكومة، وهناك تقصير في الأداء الحكومي، صحيح، وليست المشكلة كلها تعود إلى هذا التقصير. إلا، أكبر قدر من المشكلة، وأكبر مستوى من المعاناة يعود إلى العدوان وسببه العدوان، هذا **يجب** أن يكون حاضراً في أذهاننا، وفي طرحنا الإعلامي والسياسي، وفي تعليقنا على الواقع، وفي طبيعة معالجتنا للمشكلة.

ثم يجب على الجميع أن يبذلوا قصارى جهودهم، المكونات السياسية، الحكومة، كل المسؤولين والموجودين في أجهزة ومؤسسات الدولة، والمواطنون من جانبهم، التجار كذلك عليهم مسؤولية كبيرة ألَّا يتوجهوا التوجه الاستغلالي، البعض يسعى دائمًا إلى أن يرفع الأسعار في أي شيء- هكذا تلقائيًا من أول وهلة- قبل أن يكون هناك ما يبرر له رفع الأسعار، سواءً في المشتقات النفطية التي **يجب** التعاون في مسألتها، في مسألة الغاز، في مسألة القمح، في بقية الاحتياجات الضرورية للشعب، **يجب** أن يكون الدافع والحافز ويكون الهمّ لدى الجميع هو التعاون بما فيه مصلحة هذا الشعب، بما يعزز من الصمود في مواجهة هذا العدوان، مع النشاط السياسي على المستوى الدولي، النشاط الإعلامي لتعرية قوى العدوان، والتعاون وتظافر الجهود من الجميع، والحذر من الاستغلال، والحذر من الانتهازية والكيد السياسي.

التكافل الاجتماعي

ثانياً: الجميع معنيون في هذا البلد بالسعي لتفعيل التكافل الاجتماعي، في ظل هذه الظروف، هناك الكثير من المعانين **جدًّا** من كل فئات المجتمع،

بالـذات الفئـات الضعيفـة، بالـذات الفقـراء، الجميـع معنيـون، ونحـن في مناسـبة مهمـة (ذكـرى مولـد الرسـول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله)، رسـول اللـه صلى الله عليه وآله **مـن أعظـم مـا أتى بـه هـو:** الحـث عـلى الإحسـان، وبنـاء مجتمـع مسـلم، متكافـل، متعـاون، يرحـم بعضـه بعضـاً، والتـواصي بالرحمـة والمرحمـة في القـرآن الكريـم مـن أهـم المسـائل التـي ركـز عليهـا القـرآن الكريـم، **والإحسـان إلى الفئـات المحتاجـة:** مـن اليتامـى، مـن المسـاكين، مـن الفقـراء، كل الفئـات المتضررة والمعانيـة، مـن أكـثر مـا أوصى بـه اللـه في القـرآن الكريـم، وأمـر بـه، وحـث عليـه، ورغَّـب فيـه، ووعـد فيـه بالأجـر الكبـير، نحـن في مرحلـة محنـة ومعانـاة، وظـروف تسـتدعي أن نـبرز فيهـا مصداقيـة انتمائنـا إلى هـذا الديـن، إلى هـذه القيـم، إلى هـذه الأخـلاق، التزامنـا بهـذه التعاليـم مـن خـلال الاهتـمام بهـذا الجانـب.

الدفع بكل اهتمامنا أمام تصعيد العدوان

ثالثًـا: نحـن في مرحلـةِ التصعيـد فيهـا هـو في الـذروة مـن جانـب قـوى العـدوان عـلى كل المسـتويات، وبالـذات عسـكريًا، ولا تـزال أمامهـم المزيـد مـن المشـاريع العسـكرية التـي يريـدون الإقـدام عليهـا- فيـما يبـدو- في الأيـام القادمـة، المسـؤولية علينـا في هـذا البلـد كبـيرة؛ في أن ندفـع بـكل اهتمامنـا وبشـكل كبـير في مسـتوى التحـدي للتصـدي لهـذا التصعيـد مـن قـوى العـدوان، عسـكريًا، إعلاميًـا، سياسـيًا، عـلى كل المسـتويات... وألَّا يبقـى البعـض منشـغلين بأشـياء أخـرى، منشـغلين بتوجيـه إشـكالات نحـو الداخـل، مشـاكل نحـو الداخـل تؤثـر عـلى مسـتوى تظافـر الجهـود، تصنـع الفجـوة، تعمـق مـن المشـاكل الداخليـة.

ينبغـي أن نتقـي اللـه جميعًـا، أن نـدرك حجم الخطـورة، وأنه ليس مـن الحكمة، ولا مـن المسـؤولية، ولا مـن المصلحـة الوطنيـة، **والبعـض دائمـاً كانـوا يقولـون عـن أنفسـهم أنهـم:** [وطنيـون، وطنيـون، وطنيـون...] أربعـة وعشريـن سـاعة يتكلمـون

عـن أنفسـهم بهـذه النغمـة، ثـم إذا بالبعـض اليـوم لا يهمـه هـذا الوطـن، ولا يهمـه هـذا الشـعب، ولا يلتفـت إلى العـدوان، ومنشـغل بانشـغالات أخـرى. عـلى الجميـع مسـؤولية في أن يدركـوا طبيعـة هـذه الظـروف وهـذه المرحلـة الراهنـة والظـروف القائمـة، وضرورة تحمـل المسـؤولية كـما ينبغـي في التصـدي لهـذا العـدوان.

أسأل الله ﷻ أن ينصر شعبنا المظلوم، أن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي الجرحى، وأن يفرج عن الأسرى، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

رَحمةً لِلعالَمين

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الثالثة ٩ ربيع أول

إرسال الرسل لمواكبة مسيرة البشرية

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألّا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد مخاطباً لنبيه الكريم محمدٍ صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ

عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴿١٦٤﴾ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[النساء:١٦٣-١٦٥] يخاطب الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ **الوحي:** هو الطريقة التي يوصل الله بها هديه إلى أنبيائه، وعن طريقها يتخاطب معهم، ويوصل إليهم هديه بما فيه من تعليمات وتوجيهات، والله يؤكد هنا وحيه بالنبوة وبكل ما في النبوة من تكليف، وبكل ما فيها من تعليمات وتوجيهات ومسؤوليات، وما يرتبط بذلك بشكلٍ تام إلى خاتم أنبيائه رسول الله محمد ﷺ كما كان وحيه تماماً إلى الأنبياء السابقين (نوح والنبيين من بعده)، كما أوحى إلى الأنبياء المذكورة أسماؤهم: إبراهيم، إسماعيل، إسحاق... إلى آخر الأسماء التي ذكرناها، قائمة طويلة من أسماء الأنبياء عليهم السلام ممن نبأهم الله، ممن أرسلهم الله، ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، وهناك -أيضاً- قائمة أخرى وردت في سورة الأنعام، والله سبحانه وتعالى بعد ذكره لنبيه إبراهيم عليه السلام، وما وهب الله له في ذريته من الأنبياء من ذريته، ومن شملتهم الهداية الإلهية وجعلهم الله هداةً لعباده، قال جلّ شأنه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لنبيه إبراهيم عليه السلام ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، إسحاق، ويعقوب هو حفيد إبراهيم، يعقوب بن إسحاق، ﴿كُلاًّ هَدَيْنَا﴾، فشملهم الله بهدايته ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[الأنعام: من الآية٨٤]؛ لأن من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى، ومن أعظم ما يكافئ به عبده أن ينعم عليه بذريةٍ طيبةٍ صالحةٍ يهديها الله سبحانه وتعالى بهدايته، يعتبر هذا من أعظم المكافئات الإلهية التي يكافئ الله بها عباده المحسنين، والأنبياء درجة إحسانهم درجة عالية **جدًّا**، ﴿وَزَكَرِيَّا﴾ يستمر الحديث ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ

مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٨٥-٨٧] **يعني:** من شملتهم هداية الله ﷻ التي هي أعظم النعم وأشرف النعم، ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: من الآية٨٧].

الله ﷻ قال في الآية السابقة عن رسله: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ﴾ **يعني:** قصهم الله ﷻ على نبيه محمد فيما ورد بشأن بعضهم في القرآن الكريم من قصصٍ عنهم وعن نبوَّتهم، والبعض ربما لم يذكروا في القرآن وقد ذكروا للرسول، ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: من الآية١٦٤]، فيظهر أن قائمة الرسل والأنبياء هي قائمة طويلة **جدًّا** في بعض الروايات يصل عدد الأنبياء إلى عشرات الآلاف، في بعضها إلى أكثر من مائة وعشرين ألف نبي، عدد كبير من الأنبياء والرسل- على مدى تاريخ البشرية- أرسلهم الله ﷻ إلى عباده، في نفس الوقت لا يمكن أن يتسع كتابٌ معين لاستقصائهم بأسمائهم، بنبواتهم، بما قدموه من الهداية، بما حدث لهم مع أقوامهم، مع البشر من حولهم، الأسلوب التاريخي والسرد التاريخي كان لا تتسع له حياة الإنسان في جيلٍ معين حتى يتفرغ لدراسته، **يعني:** ما هناك ضرورة لأن يطّلع كل جيل على كل ما قد سبقه في طول مسيرة تاريخ البشرية؛ **لأن** أعمار البشر في كل جيل أعمار محدودة ومشغولين ومعهم مسؤوليات ومشاكل وأشياء كثيرة، فلو كانت المسألة أن يأتي جيل معين لدراسة كل ما قد سبقه، بالذات نحن أمة محمد، آخر الأمم التي هي قد سبقها الكثير والكثير من الأجيال، الله أعلم كم من الأجيال الكثيرة **جدًّا** التي قد سبقتنا في تاريخ البشر، في القرآن الكريم قال بعد ما حكى عن قوم عاد وثمود، قال: ﴿ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ ﴾ [إبراهيم: من الآية٩] (لاَ

يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ): يعني لم يستوعب التاريخ البشري، لم يستوعب المؤرخون البشر القدرة على استقصاء التاريخ، **هذا غير متاح للإنسان، يعني:** عدد كبير وهائل، الله أعلم كم ستطلع من مجلدات هائلة **جدًّا** للتاريخ، لو يجلس الإنسان يدرس- إلى أن يموت- تاريخ لم يكمل بعدُ ما قد مضى من التاريخ.

هداية الله أوسع من الحياة

فنحن آخر الأمم، وقد سبقتنا أجيال كثيرة جدًّا، وسبقنا قبل ختم النبوة بخاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله عدد كبير **جدًّا** من الرسل والأنبياء، لا يتسع الوقت لأي جيلٍ منا للاستقصاء لكل التاريخ السابق، وليس هناك- أيضاً- حاجة إلى ذلك، **أولاً:** أن الهدي الذي أكرم الله به بقية عباده من خلال نبيه الأكرم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هو هديٌ كافٍ، يلبي كل ما نحتاج إليه مما يتعلق بمسؤولياتنا وما نحتاج فيه إلى الهداية الإلهية، هذا كافٍ، فيه ما يكفي ويفي، وأكثر من الكفاية، أوسع حتى من حياتنا وما نحتاج إليه في حياتنا، سعة كبيرة وعالية، وبطريقة ملائمة، **يعني:** عندما نأتي إلى القرآن الكريم، كتاب مجلد، يمكن تلاوته بشكل مجزأ، خلال فترة محدودة، ويمكن الاستفادة منه بشكل كبير **جدًّا، مَعينٌ لا ينضب، وبحرٌ لا يدرك قعره**، وبطريقة ملائمة **جدًّا** تستفيد منه البشرية في كل جيل في ما بقي من الحياة بقدر ما يمكنها، وبقدر ما تتوفق له، بقدر ما تسعى له... إلخ.

فيوجد الهدى الكافي الذي يكفي ويفي، وفي شخص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم باعتباره خاتم النبيين، هو سيد المرسلين، هو أعظم أنبياء الله، هو ارتقى في درجات الإيمان، والكمال الإيماني، والكمال الإنساني، الكمال الذي عليه الأنبياء، ووصل إلى ما لم يصل إليه أي نبيٍ من الأنبياء، فيه القدوة الكاملة والأسوة الكاملة، ومع ذلك أورد القرآن الكريم- أيضاً- الحديث عن بعض

الأنبياء بخصوصهم، **يعني:** أفردهم- أيضاً- بالذكر، تحدث عنهم، عن عظيم مقامهم، عن عظيم دورهم، عن سيرتهم في أهم ما يتعلق بها مما نحتاج إليه وتتعلق به العبرة والدروس للنبي نفسه محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، أو لنا من بعده، لنستفيد نحن أمته، المسلمون بشكل عام، من يهتدي بهذا الكتاب، **مثل:** نوح، **كما ذكر الله نبيه نوح وما ذكره بشأنه:** عن دعوته، عن صبره، عن مضمون هذه الدعوة، عن ما واجهه مع قومه، كذلك ما ذكره عن إبراهيم عليه السلام، ما ذكره- أيضاً- عن موسى، عن يوسف، عن هارون، عن داوود، عن سليمان، عن عيسى بن مريم، عن كثيرٍ من الأنبياء ممن أفردهم بالذكر، أفرد- أيضاً- الحديث عن نبي الله هود وقومه، عن نبي الله صالح وقومه، عن نبي الله شعيب وقومه، عن نبي الله لوط وقومه، عدد من الأنبياء أفردهم بالذكر، وقدّم عنهم ما فيه العظة، ما فيه العبرة، ما فيه الدروس المهمة **جدًّا**، التي هي غنيةٌ بما فيها من الهدى، يستفيد منها نبي الله، يستفيد منها الدعاة إلى الله، تستفيد منها البشرية بكلها بما فيها من الدروس والعبر التي هي في غاية الأهمية.

رعاية الله شملت متطلبات الإنسان دون تقصير

نحن في واقعنا الإيماني مطلوب منا أن نؤمن بكل رسل الله وأنبيائه، من ذكرت في القرآن الكريم أسماؤهم، ومن لم نعرف عنهم شيئًا؛ لا أسماؤهم ولا غير ذلك، **يعني:** إيمانًا إجماليًا؛ **نؤمن** بكل الأنبياء، نحن نؤمن بكل الأنبياء وبكل ما أنزل الله عليهم، هذا شيء مطلوب؛ **لأنه يتضمن أشياء مهمة جدًّا:** أولاً يتضمن الشهادة لله سبحانه وتعالى بكمال الحجة على عباده، أن الله لم يقصر في هداية عباده أبدًا، وأنه جلّ شأنه واكب مسيرة البشرية بالهدى في ما كان يقدمه عبر رسله وأنبيائه، وما كان يحفظه لعباده بين فترات الرسل

والأنبياء من هدي وهداة من ورثتهم الحقيقيين الصادقين، ثم- في نفس الوقت- أن منشأ المشاكل القائمة في واقع البشرية، والسبب الرئيسي في الشقاء الذي تعاني منه البشرية لم يكن بتقصيرٍ من جانب الله ﷻ، عندما نتأمل في واقعنا المعاصر أو في التاريخ نرى هذا الواقع البشري، **ما فيه -مثلاً- من:** ظلم، وظلمات، ومشاكل، وأزمات، وصراعات، وأحداث كثيرة **جدًّا**، ونشاهد مثلاً ما تعاني منه البشرية وما يحدث لها من مصائب ونكبات- أحياناً- كبيرة **جدًّا**، ما هو السبب في ذلك؟ هل ذلك يعود إلى تقصير من جانب الله ﷻ؟ إلا، الله جلّ شأنه **أولاً في الخلق:** هو في ما خلق لهذا الإنسان أمّن لهذا الإنسان في حياته كل عوامل الخير ومتطلبات السعادة في هذه الحياة، كل متطلبات الحياة الضرورية لهذا الإنسان، وأكثر حتى من الضرورية بكثير **جدًّا**، فأمّن فيما وفَّره للعباد، فيما خلقه لهم، فيما أنعم به عليهم متطلباتهم كافة، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: من الآية٢٠].

طُبعت كل الرعاية الإلهية في كل ما يتعلق بهذا الإنسان من احتياجاته، والله جعل احتياجات الإنسان واسعة، ولكن وفّر لهذا الإنسان متطلباته وما يغطي هذه الاحتياجات، كل ذلك مطبوعٌ برحمة الله وبكرمه، برحمته العجيبة، بكرمه العظيم والواسع، بعطائه الواسع **جدًّا جدًّا**، ومن يتأمل فيما خلقه الله لهذا الإنسان، وأوجده له على الأرض، وهيأ له، وسخر له توفير هذه الاحتياجات، والعمل فيها في هذه الحياة، والعمل لتحصيلها، والعمل لتوفيرها، شيءٌ موفرٌ ابتداءً، وشيءٌ يُهيأ لهذا الإنسان توفيرُه بالعمل، بالجهد، بالتحرك، بالنهوض بدوره الاستخلافي في هذه الحياة، هو أصناف هائلة **جدًّا**، لو تأتي -مثلاً- إلى جانب المأكولات، كم وجد على الأرض من أصناف المأكولات الحلال الطيبة التي خلقها الله ﷻ لهذا الإنسان، وأتاح له أن يزرعها، أن

ينتجها... تتوفر له بجهود عملية، وهيأ له الاحتياجات التي تساعده على ذلك، ويهديه للمزيد أيضاً من الوسائل والأسباب التي تسهل له ذلك، كم يطلع من أصناف الثمرات والفواكه؟ كم يطلع من أصناف المأكولات المتنوعة **جدًّا جدًّا جدًّا**؟ ونسبة الحرام محدودة **جدًّا** مقارنةً بنسبة الحلال، أحل الله الطيبات وجعلها كثيرةً **جدًّا، ثم لتأتِ إلى بقية احتياجات هذا الإنسان:** في مشروباته، في ملابسه، في احتياجاته لشئون حياته الأخرى، وهي متوفرة بأصناف كثيرة **جدًّا جدًّا** وبأنواع كثيرة، ويأتي منها في كل زمن المزيد والجديد والمتنوع، ويتيح الله للإنسان استكشاف المزيد واستكشاف المزيد من الوسائل أيضاً، والتسخير للأشياء على النحو الذي يهيئ للإنسان ويتيح للإنسان الاستفادة منها بأشكال وأنواع كثيرة **جدًّا جدًّا**، والتصنيع لها بأشكال وأصناف متنوعة **جدًّا**، أحياناً يخلق الله شيئاً معيناً، يتيح للإنسان أيضاً فيما سخره وهيأه له في ذلك المخلوق الاستفادة منه بأصناف وأنواع كثيرة **جدًّا**، سواءً ما كان يعود إلى غذائه، إلى ملابسه، إلى مختلف أغراض حياته في دوائه، في عمارته، في الحياة، في أنشطته الواسعة **جدًّا** في هذه الحياة.

فما هناك تقصير عند الله في هذا الجانب، خلق الأرض، جعل فيها وفرة، الذي يقدمه الغرب في النظرية الاقتصادية: أن الأصل هو الندرة في الأشياء والمحدودية والقلة في الاحتياجات غير صحيحٍ أبداً، بل الصحيح هو قول الله ﷻ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، الصحيح هو الوفرة، ولكن وفرة على نحوٍ لا يسبب لهذا الإنسان أن يطغى إلى ما لا نهاية له، **يعني:** وفرةٌ بالحكمة، وفرةٌ مقدرةٌ بالحكمة؛ **لأنه** لو كانت وفرة زائدة **جدًّا** على ما يطغى الإنسان فيما قد أصبح متاحاً ومتوفراً له، كيف سيكون طغيانه لو توفر له أكثر؟ ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ

﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: من الآية٢٧] فهناك تقدير للأشياء، ولكن تقدير لا يصل إلى حد الندرة؛ على حسب ما يعبّرون هم، تصبح الأشياء نادرة **جدًّا**، لا يتوفر منها إلا القليل، فيبررون لذلك أسلوبهم الجشع الذي يعتمدون فيه على النهب لثروات الشعوب والسيطرة والاستحواذ على مقدرات الشعوب؛ فيكسبون بذلك لهم الثروات الطائلة والهائلة **جدًّا جدًّا جدًّا**، ويظلمون بقية البشر، ويسعون إلى تجويعهم، وإلى إغراقهم في المعاناة، وإهلاكهم في الظروف الصعبة والقاسية، تصل- أحياناً- في بعض البلدان إلى حد المجاعات، بلدان معينة، **مثلاً:** في أفريقيا وصلت إلى حالة مجاعات، ليس لأنه ليس فيها ما يمكن أن يكتفى به لتلبية احتياجات سكانها، بل لأن مواردها تنهب، وليس لأنها ليست ذات موارد، وأحياناً يجتمع مع ذلك سوء الإدارة، الفشل أيضاً، قلة الاهتمام، عدم المعرفة... عوامل كثيرة تجتمع فتؤثر، المسؤول في ذلك هو الإنسان، إما أنه ظلم نفسه، وإما أنه أتاح للأخرين أن يظلموه، بعض الشعوب تتيح للدول المستكبرة والظالمة أن تظلمها، وأن تستأثر بخيراتها ومصالحها، بعض البلدان يتحكم فيها قلة نافذة، فاسدة، مسيطرة، متسلطة؛ فتنهب معظم الثروات، تتقاسم مع الخارج تلك الثروات، تترك بقية أبناء شعبها في حالة شقاء وعناء وحالة صعبة **جدًّا** ومعيشةٍ ضنكا.

أهمية التزكية في صلاح الإنسان

التعليمات الإلهية التي أتت مع الأنبياء منها جزءٌ اتجه إلى هذا الإنسان لتزكيته، وجانب التزكية جانبٌ أساسيٌ **جدًّا** في إصلاح الإنسان، وإذا صلح الإنسان تصرف بشكل صالح وصحيح، وحينئذ يُصلِح هذه الحياة، وتصلح له وبه هذه الحياة؛ **لأن** المشاكل التي تنشأ في الحياة والسلبيات الكبيرة التي طغت في واقع البشر هي نتاج تصرفاتهم اللامسؤولة، أو تصرفات بعضهم

مع التقصير من البعض الآخر، والإهمال من البعض الآخر، والإذعان لأولئك من البعض الآخر، فالمشكلة هي هنا، المشكلة لدينا في واقعنا نحن البشر، **يعني:** ليس هناك أي تقصيرٍ من جانب الله ﷻ لا فيما خلق، ولا فيما قدم لهذا الإنسان من تعليمات، من هداية تساعده إلى حسن التصرف، وتصلحه هو؛ **لأنه** بحاجة إلى أن يصلح، بحاجة إلى أن تزكو نفسه، بدون زكاء النفس سيظلم حتى ولو عرف أن الظلم حرام، وأن الظلم إثم، وأن الظلم سيسبب له العذاب، وأن الظلم سببٌ في شقاء البشرية، لن يبالي بذلك؛ **بحاجة** إلى أن تزكو نفسه، جانب كبير وأساس في حركة الأنبياء يتجه إلى هذه المسألة، إلى التزكية للنفوس، وإلى تتميم مكارم الأخلاق والتربية للبشر؛ **لتزكوا** نفوسهم، وليتحلوا بمكارم الأخلاق، ومع ذلك تعليمات هادية في اجتناب الحرام؛ **لأن** هناك من الحرام ما له أسباب كارثية، كل الحرام له نتائج سيئة في واقع البشر، **إما نتائج اجتماعية سلبية في الواقع الاجتماعي:** مثلما هو الحال في المفاسد الأخلاقية، ينشأ عنها دنس للنفوس تضرب زكاء النفوس، وتضرب الواقع الاجتماعي والترابط الاجتماعي... إلى غير ذلك.

أيضاً هناك من المفاسد ما يضر بالناس في حياتهم الاقتصادية: مثلما هو الحال مع الربا، مثلما هو الحال مع الغش، مع النهب، مع كثير من المعاصي الاقتصادية، **هناك أيضاً على مستوى المعاصي العسكرية:** البغي، العدوان...الخ. كل الأشياء التي حرمها الله ﷻ وأتى الأنبياء لإنقاذ البشر منها، والعمل على تربية البشر ليكونوا محصنين منها، كلها؛ أثارها السلبية في هذه الحياة- في الدنيا- على البشر، ثم أيضاً آثارها السلبية عقابها الوخيم والشديد في الآخرة.

فالله لم يقصر فيما مكن فيه هذا الإنسان، وفي أنه أقام الحجة على هذا الإنسان بما يحتاج إليه من تعليمات كافية لصلاح هذا الإنسان وتبصير

وتوعية هذا الإنسان، وتعليم هذا الإنسان الممنوع والمحرم والحلال، بما يكفل أن يكون هذا الإنسان سعيداً، بما يكفل للبشرية أن تسعد في هذه الحياة؛ **لأن** الله لم يوجد الإنسان في هذه الحياة ليتعذب فيها، ليجعلها هي عذاباً له. إلا، الله هيأ للبشر أسباب الخير والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، كما قال **جلّ شأنه** في كتابه الكريم: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[يونس: من الآية٤٤]، الله لم يظلمنا، نحن البشر من نظلم أنفسنا ومن يظلم بعضنا بعضاً، فتعليمات الله ﷻ في كل ما تتجه إليه من شئون هذا الإنسان: فيما كان يعود منها إلى تربية هذا الإنسان، فيما كان يحدد لهذا الإنسان مسؤولياته في هذه الحياة، فيما فيها من أمر، وفيما فيها من نهي، وفيما فيها من توعية وتعريف للإنسان عن هذه الحياة وعن الواقع من حوله وعن الأحداث من حوله، فيما فيها من تقييمٍ شامل، فيما فيها من أشياء كثيرة **جدًّا**، هي كفيلة بصلاح حياة البشر؛ **فالإيمان** الجُملي بالأنبياء إيمانٌ بأن الله لم يقصر تجاه عباده في هدايتهم، وأن حجته قائمةٌ عليهم، **هذا جانب. جانبٌ آخر:** أن المشاكل التي نشأت في حياة البشرية تعود إلى خللٍ من جانبهم هم، وليس تقصيراً من جانب الله ﷻ.

وحدة مسيرة الأنبياء

جانبٌ ثالث، وهو جانبٌ مهم، وهو يعود إلى الإيمان بوحدة المسيرة الدينية، أنها مسيرة واحدة، وأنه نهجٌ واحد تحرك عليه كل الأنبياء، **هو:** الإسلام لله ﷻ، كان هذا عنواناً رئيسياً في حركة الأنبياء، حتى عندما تحدث عن نبيه نوح عليه السلام يقول عنه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] حينما يتحدث لنا عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة: الآية١٣١]، عندما تحدث أيضاً عن أنبياء الله

مـن ذريـة نبيـه إبراهيـم كذلـك حديـثٌ واسـع يؤكـد عـلى هـذه الحقيقـة.

فمنهـج الأنبيـاء منهـجٌ واحـد، ليـس بينهـم اختـلاف وتناقـض، دعوتهـم أصلهـا دعـوةٌ واحـدة، كلهـم، عندمـا صـدر اللـه نمـاذج منهـا، يـأتي إلى قـوم ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية٣٢]، كلهـا منهـج واحـد ودعوة واحـدة وأصـل واحـد، ليـس كل واحـد لديـه أصـل ودعـوة مختلفـة عـن الآخـر ومتناقضـة مـع الآخـر، **هنـاك فيـما يتعلـق بالتشريعـات:** الحـرام، والحـلال، وبعـض التشريعـات تواكـب مـا اسـتجد مـن متغـيرات في واقـع البشريـة عـلى طـول تاريـخ البشريـة وطـول مسـيرة البشريـة، فتـأتي، أو بعضهـا لاعتبـارات معينـة، **مثـلاً:** البعـض يكـون إجـراء عقـابي أن يحـرم اللـه ﷻ شـيئاً عـلى أمـةٍ معينـة كإجـراءٍ عقـابيٍ، مثلـما قال عن اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء١٦٠-١٦١]...الخ. هـذا الإجـراء العقـابي عندمـا يـأتي نبـيٌ آخـر مجـدد، أحيانـاً يعلـن إلغـاء أو انتهـاء هـذا الإجـراء الـذي كان إجـراءً عقابيـاً ماضيـاً، وهكـذا... فهنـاك مـا يتعلـق في التشريعـات باعتبـارات معينة أو ظروف مسـتجدة في واقـع البـشر فيـأتي التغيـير، وليـس تغيـيراً في الواقـع، إنمـا هـو مواكبـة أحـكام تواكـب مـا اسـتجد في واقـع البشريـة أو لاعتبـاراتٍ معينـة، هـذا ليـس اسـمه اختلافـاً بـين الأنبيـاء وتناقضـاً فيـما بـين الأنبيـاء عليهم السلام، مسـيرة اللـه مسـيرة واحـدة لـكل أنبيائـه، أصلهـا واحـد، ودعوتهـا دعـوةٌ واحـدة، وعنوانهـا الرئيـسي هـو الإسـلام لله جلّ وعلا.

إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الرحمن!

من أبرز الأنبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم: نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ **لأنه** من مرحلة معينة من تاريخ البشرية كانت النبوة والكتاب في ذريته، نبي الله إبراهيم عليه السلام هو من أولي العزم من الرسل، ومنزلته عظيمة؛ **لأن** الله فضل الرسل بعضهم على بعض، كما قال جلّ شأنه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٣]، والتفضيل هذا يعود إلى اعتبارات كثيرة، **منها:** حجم المسؤوليات وطبيعة الأدوار التي كانوا ينهضون بها ويكلفون بها ويتحركون على أساسها، فنبي الله إبراهيم في الحقبة البشرية الأخيرة من زمنٍ معين كان أبا الأنبياء عليهم السلام، وفي ذريته جعل الله النبوة والكتاب، وآتاهم الملك والحكمة.

نبي الله إبراهيم بلغ من شأنه العظيم في علاقته بالله سبحانه وتعالى ومنزلته عند الله أن قال عنه الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: من الآية ١٢٥]، هذا يدل على شأن عظيم، على منزلة عالية في علاقته بالله سبحانه وتعالى، وقد قدم لنا الله من حياة إبراهيم عليه السلام كثيراً مما يساعدنا على الاستفادة وعلى معرفة عظمة هذا النبي؛ فيما كان عليه من إخلاصٍ لله وتوحيدٍ لله وتفانٍ في طاعته لله سبحانه وتعالى، **من أبرز ما قصه الله علينا:** قصته مع ابنه إسماعيل عليهما السلام حينما كان مستعداً لأن يذبحه، نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي هاجر بعد زمن طويل أمضاه بين قومه، فهاجر من بينهم بعد إذن الله له بذلك ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: الآية ٩٩]، هاجر إلى الشام، هاجر إلى فلسطين، ودعا الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ

افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[الصافات: ١٠٠-١٠٢]، نبي الله إبراهيم عليه السلام بعد هجرته إلى فلسطين واستقراره هناك رزقه الله، كان قد بلغ الكِبَر في السن، فرزقه الله بابنه إسماعيل عليه السلام، وفيما بعد رزقه الله بابنه إسحاق عليه السلام أيضاً، قال عنه كذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: الآية ١١٢]، وهو قال في دعائه عليه السلام نبي الله إبراهيم: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴿٣٩﴾ ﴾[إبراهيم].

نبي الله إبراهيم عليه السلام بأمرٍ من الله وتوجيهٍ من الله سبحانه وتعالى أسكن من ذريته إسماعيل، أسكنه في مكة عند بيته المحرم، وعندما نشأ إسماعيل عليه السلام، عندما بلغ مرحلة السعي هناك في مكة، جاء الاختبار الإلهي في قصة الذبح هناك في مكة أيضاً، بعد تجاوز هذا الامتحان الإلهي بنجاح ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[الصافات]، وبعد الفداء الإلهي نشأ إسماعيل عليه السلام نشأةً متميزةً وصالحة، ونبياً من أنبياء الله سبحانه وتعالى، وشارك مع والده إبراهيم في بناء بيت الله الحرام (الكعبة)، في إعادة إعمارها بعد أن أخبر الله نبيه إبراهيم وبوأ له مكان البيت وحدده له، وقام بهذا العمل مع ابنه إسماعيل عليهما السلام وقرر بأمرٍ من الله إسكان هذا الفرع من ذريته ليبقى مستقراً هناك، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٧] ، نبي الله إبراهيم عليه السلام أسكن هذا الفرع من ذريته هناك ليكون معنياً بالبيت الحرام وبالعناية بالبيت الحرام، بطبيعة الدور الذي أراده الله سبحانه وتعالى لهذه الذرية ولهذا البيت الحرام، وإضافةً إلى ذلك كان هذا الفرع

مـن نسـله مذخـوراً مـن اللـه هنـاك لمرحلـة مهمـة يكمـل اللـه بهـا تاريـخ البشريـة، ويختـم اللـه بهـا النبـوة والكتـاب، وبقـي فرعـه الآخـر معـه هنـاك في الشـام، الـذي هـو إسـحاق وذريـة إسـحاق، ذلـك الفـرع الـذي بقـي معـه مـا بعـد إبراهيـم عليه السلام، وبعـد إسـحاق يعقـوب عليه السلام، واسـتمرت النبـوة والكتـاب في ذريـة يعقـوب.

بنو إسرائيل.. ونهاية الدور

يعقـوب عليه السلام **اسـتمر الأنبيـاء مـن نسـله في أجيـال طويلـة**، واسـتمرت حركـة هـذا الديـن في بنـي إسرائيـل، ولكـن خـلال هـذه المسـيرة الطويلـة في واقـع بنـي إسرائيـل تعاظمـت الانحرافـات داخـل هـؤلاء، ووصلـت لدرجـة أنهـم فشـلوا أن يكونـوا حملـةً لهـذا الديـن عـلى النحـو الـذي ينشرونـه بـين أسـاط بقيـة البـشر؛ **لأنهـم** أولاً انغلقـوا عـلى أنفسـهم انغلاقـا تامـاً، وتحولـت الحالـة بالنسـبة لهـم مـن النظـر إلى الديـن الإلهـي كمسـؤولية، عليهـم الالتـزام بـه، وعليهـم التقيّـد بـه، وعليهـم التخلـق بأخلاقـه وحملـه كمـشروع بـين أوسـاط البشريـة، ونـشره بـين أوسـاط البشريـة، إلى أن ينظـروا فيـه حالـةً يمكـن أن تسـتغل، ومحاولـةً- أيضـاً- لاحتـكار الديـن، هـم رأوا في الديـن شرفـاً كبـيراً وفضـلاً عظيـماً، ولم يـروا إلا هـذه الزاويـة في الديـن زاويـة الـشرف، أو جانـب الـشرف؛ **فحرصـوا** عـلى أن يحتكـروا هـذا الديـن، بشـكلٍ غـير صحيـح في مـدى الالتـزام بـه وفي التخلـق بأخلاقـه، ولذلـك- فيـما بعـد- نقصـت في أوسـاطهم وفي داخلهـم حالـة الالتـزام بهذا الديـن، ووصلـت إلى درجـة رهيبـة مـن الانحـراف والتحريـف، وصلـت- في نهايـة المطـاف- إلى أنهـم باتـوا يقتلـون البعـض مـن الأنبيـاء، ويكذبـون البعـض الآخـر مـن الأنبيـاء، ويحرفـون كتـب اللـه في أوسـاطهم، وشـاب الثقافـة الدينيـة تحريفـات رهيبـة **جـدًّا**؛ فَأُحِـلَّ الكثـير مـن الحـرام، وحـرم الكثـير مـن الحـلال، وقدمـت الكثـير مـن المفاهيـم الخاطئـة، المحسـوبة عـلى الديـن، وضعفـت حالـة الالتـزام الدينـي

في الواقع العملي، وفي السلوك، وفي التصرفات، وفي السياسات، وفي المواقف.

في نهاية المطاف أصبحت حالة الانتماء الديني حالةً شكلية، يحسبون أنفسهم منتسبين إلى دين الله، وينتسبون إلى أنبياء الله، وينتسبون إلى كتب الله، فيما أصبحوا قد حرفوا الكثير من المفاهيم الدينية، وأصبحوا غير ملتزمين بالكثير منها في واقع حياتهم، وانتشرت حالة الفسق والانحراف والمخالفات والعصيان، **وتحملوا أوزاراً كثيرة من:** قتلٍ لأنبياء الله، وقتلٍ للآمرين بالقسط من عباد الله والمصلحين فيهم، وصولاً إلى تمكين الطغاة والمجرمين والالتفاف حولهم، ووصولاً إلى أن أصبح الكثير من علمائهم والطبقة المثقفة لديهم طبقة منحرفة تستغل الدين استغلالاً مادياً ومعنوياً؛ **فتحاول** من خلاله أن تحظى بالمكانة في أوساط الناس، بينما هي تحرف وتعبث وتلهو وتجعل من الدين وسيلة للحصول على المكانة المعنوية والماديات.

مظاهر هذا الانحراف نراها اليوم في داخل أمتنا إلى حدٍ كبير، كم هناك من التحريف للمفاهيم الدينية، لولا أن الله ﷻ حفظ أصل النص القرآني؛ **الله** أعلم كيف كانت حالة التحريف للنص القرآني لولا الحفظ الإلهي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: الآية٩]، لولا هذا لكانت الأمة قد جنت على النص القرآني في أصله، هي حاولت- الكثير من أبناء الأمة- حاولوا الجناية على المفهوم القرآني، على المعنى للنص القرآني، وهناك الكثير من التحريف الثقافي، هناك الكثير من الانحراف العملي كذلك في عدم الالتزام بالدين، وأصبحت الحالة التي تحدث عنها النبي حينما قال: **(لتحذّن حذو بني إسرائيل)** قائمة في أوساط أمتنا، **(حذو النعل بالنعل)** خطوة بخطوة في أشياء كثيرة **جدًّا:** في التحريف للمفاهيم الدينية والافتراء على الله ﷻ، وأيضاً في الانحراف العملي في كثيرٍ من الأمور.

لماذا خاتم الأنبياء..؟ الدلالة والمعنى

حينما أتى نبي الله عيسى عليه السلام، وهو آخر نبيٍ من أنبياء بني إسرائيل، وفي بني إسرائيل، بشّر في دعوته، وبشكل كبير، كجزءٍ أساسيٍ في نشاطه التبليغي، بشر بخاتم الأنبياء من بعده، وقال الله سبحانه وتعالى في هذه القصة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: الآية٦]، فكان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام مركزاً على عملية التبشير كجزءٍ أساسي في نشاطه الدعوي والتبليغي: **التبشير بخاتم أنبياء الله؛** رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ولكن لم تكن هي أول عملية تبشير برسول الله صلى الله عليه وآله، في بلاغ الأنبياء، في حركة الأنبياء كذلك فيما سبق، حتى وصف التوراة والإنجيل؛ وصفٌ للرسول وأتباعه، وفي حركة كثيرٍ من الأنبياء، بل أثناء بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة كان هناك الدعاء، دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بذلك، قال الله جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٨]، **لاحظوا** كيف كان عنوان الإسلام هو العنوان الرئيسي للأنبياء في دعوتهم وفي تعريفهم لدين الله سبحانه وتعالى ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٨-١٢٩]، **يعني:** من ذرية إسماعيل عليه السلام، نسل إبراهيم، ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فنبي الله محمدٌ خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين هو بشارة الأنبياء منذ قرون طويلة، ومنذ تاريخ طويل، وهو في دعوة إبراهيم وإسماعيل، وهو في بشارة موسى، وفي بشارة عيسى، وفي بشارة غيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وشأنه عظيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، شأنه عظيمٌ عند الله، **وأن يكون هو خاتم النبيين لهذا دلالة مهمة:**

أولاً: يدل على مسألة مهمة وكبيرة، ختم النبوات برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يعني قرب قيام الساعة، يعني قرب القيامة، اقتراب الساعة، وهذا أكدّ عليه القرآن الكريم حينما قال الله ﷻ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر:الآية١]، وكذلك التأكيد على أن النبي باعتباره خاتم الأنبياء رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من علامات الساعة، ولهذا قال: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد: من الآية١٨]، **يعني:** بدأت علامات اقتراب القيامة بمجيء خاتم الأنبياء، وأن يكون هو خاتم النبيين هذا هو دلالة واضحة على اقتراب الساعة، الختم للنبوة بالرسول ﷺ **يعني** أن الله جعله هو؛ **وفيما** أعطاه من الهداية، وبالقرآن الكريم- أيضاً- ما يكفي ويفي للبشرية فيما بقي من عهدها، وهي مدة قد تكون فترة قصيرة، فيه الكفاية للبشرية، وجعل أيضاً هداةً من بعده ليسوا بأنبياء أبداً، ليسوا بأنبياء، ولكنهم كهداة وورثة للكتاب ما يكفي أيضاً ليواكبوا بما يستفيدونه وتستفيده الأمة معهم من رسول الله ومن خلال القرآن الكريم الذي حفظ الله نصه من التحريف ما فيه الكفاية لهداية البشرية إلى قيام الساعة، وأغلقت، خلاص [ما عاد بش] أنبياء من بعد رسول الله ﷺ، أي حالة ادِّعاء للنبوة هي افتراء وهي كذب وهي دجل، ما هو قائمٌ اليوم فيما يسمى بالبهائية والأحمدية، أو فيما قد يكون لدى بعض النصارى، أو يستجد لدى اليهود، أو أي فئة من فئات

البشر، أو أي طائفة من طوائف البشر لادعاء لنبوة جديدة بعد خاتم النبيين محمد هو افتراء وضلال وباطل، والنشاط الذي تقوم به البهائية أو الأحمدية أو غيرهما من الطوائف تحت عنوان نبوءات جديدة هو دجل وهو افتراء وهو باطل، ووراءه نشاط أو دفع مقصود من جانب المخابرات الأمريكية والإسرائيلية التي تسعى لاختراق الأمة الإسلامية من جانب، أو لنشر الضلال والمزيد من حالات الضلال، وإنتاج المزيد من الضلال في أوساط البشرية.

ثانياً: دعوة الإسلام، دعوة الرسالة، في خاتمها محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هي دعوة الحق لكل البشر إلى قيام الساعة، وفي القرآن الكريم وفي حركة النبي وفي الدور الذي قام به صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فيه الهداية الكافية والحجة التامة لله ﷻ على عباده إلى قيام يوم الدين، معنى ذلك أن علينا- كأمة إسلامية- **مسؤولية كبيرة في واقعنا نحن:** أن نأخذ العظة والعبرة مما حدث في واقع بني إسرائيل، فنسعى إلى الاستفادة، ونحرص على تصحيح واقعنا، ونصلح أنفسنا، ونعمل على إيصال هذا الهدى لبقية البشرية؛ **فهم** في أمس الحاجة إليه، اليوم البشر محتاجون **جدًّا** إلى هذا الهدى، تتعاظم وتتفاقم مشاكل البشرية كلما ابتعدوا عن هذا الهدى، عن هذا النور.

في التجربة التي خاضها نبي الإسلام، وسيأتي الحديث- إن شاء الله- يوم الغد عن رسول الله ﷺ، عن حركته بالرسالة، عن نجاحه العظيم، عن التغيير الهائل الذي أحدثه في فترة وجيزة، ونحن بحاجة إلى الاستفادة من تلك التجربة، من تلك الحركة، من العودة إليها، بالاهتداء برسول الله ﷺ، لمواجهة هذا الواقع، ولمواجهة والتصدي للطاغوت الذي طغى في عصرنا هذا وأضر بالبشرية كثيراً.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لنكون من المهتدين بأنبيائه، بخاتم أنبيائه، برسوله محمد وبالقرآن الكريم، وأن نكون من المؤمنين حقاً بما أنزل الله على أنبيائه وبكل أنبيائه ورسله ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[البقرة: من الآية٢٨٥].

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الرابعة ١٠ ربيع الأول

حقبة ما قبل البعثة النبوية (الجاهلية الأولى)

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاته،،،

حديثنا اليوم هو عن حقبة ما قبل البعثة، وقبل مولد النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، عن الفترة الممتدة ما بين نبي الله عيسى عليه السلام آخر الأنبياء في بني إسرائيل، وآخر الأنبياء الذين وثّق القرآن الكريم نبوتهم وحركتهم فيما قدمه عن الرسل والأنبياء ما قبل خاتم أنبياء الله محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله إلى حين مولد النبي صلوات الله وسلامه

عليه وعلى آله، الفترة هذه التي امتدت على مدى أكثر من خمسمائة عام في بعض التقديرات التاريخية، وشابها الكثير من الانحرافات والمتغيرات الكبيرة في المجتمع البشري، تسمى- حسب التوصيف القرآني والتسمية القرآنية- بالجاهلية، ومدلول ومفهوم هذا التعبير (الجاهلية) لا يعني فقط الأمة أو الأجيال أو الناس الذين لا يقرأون ولا يكتبون؛ **الجهل** المتعلق بالأمية في القراءة والكتابة؛ **لأن** كثيراً من الدول والكيانات- آنذاك- لم تكن تعاني من أمية مجرد القراءة والكتابة، هذه حالة ربما طغت في الواقع العربي آنذاك، أن كانت نسبة القراء والكتاب من العرب نسبة ضئيلة **جدًّا**، ولكن هناك **مثلاً**: الروم، الفرس، كيانات أخرى كانت تنتشر فيها ظاهرة القراءة والكتابة والتأليف، ومع ذلك كانت محسوبةً ضمن الجاهلية وضمن العهد الجاهلي.

الجاهلية.. ما ذا تعني؟

الجاهلية لها مدلول من المهم استيعابه، ومن المهم التركيز عليه، الجاهلية: هي تعني حالة الانفلات التي سادت في أوساط البشر، فتجردت فيها عن الضوابط الشرعية والأخلاقية، وأصبحت متبعةً للأهواء والتوجه الغريزي بدون أي ضوابط شرعية ولا أخلاقية ولا أي التزام بتعليمات الله ﷻ، إلا في حالات محدودة **جدًّا**، لا تترك أثرها الظاهر والجلي في حياة الناس.

الإنسان في واقعه السلوكي والعملي هو إما أن يكون إنساناً ملتزماً: يضبط ويحكم تصرفاته، توجهاته، أعماله، تحركاته، مواقفه بالضوابط الأخلاقية وتحت السقف الأخلاقي، وله صلة وارتباط بمنهج الله ﷻ وأنبياء الله ﷺ، **وإما أن يكون إنسانًا منفلتًا:** لا ضوابط لديه، ولا التزام لديه، ينجر وراء رغبات نفسه وغرائزه بالمقدار الذي يستطيع ويتمكن، لا يرده فيما قد يرده عن بعض التصرفات وبعض الأشياء إلا العجز، **كذلك**

نظرة الإنسان؛ **لأن** الإنسان إما في واقعه العملي والسلوكي، وإما في تصوراته للأمور، للأشياء، في فكره، والفكر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحالة العملية للإنسان، أفكاره، تصوراته، قناعاته، هي الحاكمة على تصرفاته وتوجهاته ومواقفه.

فالجاهلية تعني: حالة الانفلات وحالة الابتعاد عن نهج الله ﷻ، عن نوره؛ **ولذلك** كانت فعلًا عصرًا ظلاميًا بكل ما تعنيه الكلمة، فالتصورات والاعتقادات والأفكار، **ثم ما ابتنى عليها من:** تصرفات، وسلوكيات، وعادات، وتقاليد، ومواقف...إلخ. كانت ظلامية، كانت باطلة، كانت جهالة، بعيدًا عن مقتضى الفطرة، وبعيدًا عن الحق، وبعيدًا عن الحقيقة، وهذه الحالة الانحرافية هي توصّف بالجهالة، **يعني** يمكن أن يكون الإنسان- مثلًا في عصرنا هذا- يمكن أن يكون جامعيًا، يمكن أن يكون بروفيسور، يمكن أن يكون معلماً، يمكن أن يكون على مستوى عالٍ من المعرفة على مستوى القراءة والكتابة والاطلاع على مقروآت وكتب ونحو ذلك، ولكنه في سلوكه، في انحرافه السلوكي، جاهل، يتعامل بجهالة، نبي الله لوط عليه السلام قال لقومه: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[النمل: من الآية٥٥] وصّف حالتهم الانحرافية بالجهالة، القرآن الكريم- أيضًا- وصّف حالة المعصية لله بالجهالة أيضًا ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[النساء: من الآية١٧] جهالة: **يعني** بعدًا عن مقتضى الفطرة، عن مقتضى الحكمة، عن مقتضى العدل، عن مقتضى الإنصاف، عن مقتضى الحكمة والمنطق حسب تعبيرنا السائد، عن ما تقتضيه الفطرة وتقتضيه التعليمات الإلهية التي فطر الله الناس على تقديسها، وعلى الاعتراف بها، **وعلى الاحتكام إليها في:** المدح، والذم، والثواب، والعقاب.

فهذه الحالة من الجهالة، هذه الحالة من الانفلات كانت هي الحالة القائمة، بالرغم من وجود كيانات بشكل دول، من وجود الكثير من الشخصيات التي لها ثقلها في المجتمع، ينظر إليها في المجتمع إلى أنها ذات مستوى عالٍ من التفكير، من السياسة، من الحنكة السياسية، من الإدراك، من الفهم، لها وزنها إما بالنظر إليها كشخصيات علمية، وبالذات في العلوم الشرعية، في العلوم الدينية، من أحبار أهل الكتاب من علمائهم، علماء الدين لديهم، أو حتى في الوسط العربي، **مثلًا**: شخصيات تُعرف بأنها ذات وزن، بناءً على إدراكها، فهمها، نضجها، **يعني**: مثلما يوجد -مثلًا- في زمننا هذا الكثير من الشخصيات التي تنشط في المجتمع، ولها وزنها الاجتماعي باعتبارها شخصيات وازنة، ذات نضج معرفي، ذات نضج تفكيري، ذات نضج في القرار والموقف والسلوك، يعود الناس إليها، يرتبط بها الكثير من الجماهير على أنها ذات حكمة، ذات رشد، ذات قرارات صائبة، ذات أفكار متزنة، ذات تصورات صحيحة، هناك كثير، **يعني** اليوم ترى الكثير من الشخصيات التي يرتبط بها جماعات واسعة، ولها كياناتها، ولها أطرها التي تجمع أصحابها، ويرتبط بها- على ضوئها- الجمهور الواسع من الناس، يطمئنون إلى قراراتها، يطمئنون إلى مواقفها، يطمئنون إلى أفكارها، يطمئنون إلى تصوراتها، فكان يوجد في أوساط المجتمع من يرى فيهم المجتمع عقلاء، ويرى فيهم المجتمع قادة، ويرى فيهم المجتمع أصحاب نظرات صائبة وقرارات سديدة... وغير ذلك. هؤلاء كانوا موجودين في المجتمع، السياسيون ومن كل الفئات الاجتماعية موجودون في أوساط المجتمع، وموجود معهم كل تلك الظلمات، كل تلك الخرافات، كل تلك الأباطيل، بل أصبحوا هم الرعاة لها والمستغلين لها في واقع الحياة والمستفيدين منها بشكل أو بآخر.

فالحالة الجاهلية، الجاهلية الأولى في التعبير القرآني الحكيم والحقيقي والمحق، فالحق القرآني يصف ذلك العهد بالعهد الجاهلي، لهذه الكلمة مدلول مهم، **يجب** أن ننظر هذه النظرة لكي نكون حذرين فيما **يعنيه** واقعنا، فيما سنتحدث عنه بشأن الجاهلية الأخرى التي تحدث عنها النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله **حينما قال فيما روي عنه: (بعثت بين جاهليتين أخراهما شرٌ من أولاهما)**، فهي أشد وأكثر شرًا وخطورةً، فهذا العهد الجاهلي، **بالرغم من كل من فيه وما فيه من:** فلاسفة وعباقرة، وقادة ورموز، وعلماء ومفكرين، وسياسيين... وإلى غير ذلك. زعامات من مختلف فئات المجتمع، يثق فيها الكثير من الناس، يرتبط بها الكثير من الناس، يطمئن إلى نظرتها وإلى تفكيرها وإلى أقوالها الكثير من الناس، وجد فيها كل تلك الخرافات والجهالات والأباطيل والانحرافات، لماذا؟

مهما كان يوجد في الوسط البشري من: قادة، أو زعامات، أو مفكرين، أو خبراء، أو باحثين، أو علماء، أو أو أو... إلخ. لا يمكن أن تهتدي البشرية إذا لم تكن مرتبطةً بقنوات الهداية ومصادر الهداية (الأنبياء عليهم السلام وكتب الله) وبشكل صحيح، أما إذا كانت عملية الارتباط هذه غير سليمة، وشابتها- أيضًا كذلك- التحريفات، وسنأتي في الحديث عن هذا، فلا فائدة- آنذاك- **يعني** يصبح الانتماء إلى الأنبياء في منهجهم، في دينهم، في هدايتهم... انتماءً شكلياً وغير صحيح وغير واقعي، باستثناء أشياء تكون عادية وبسيطة أو محدودة، تفقد فاعليتها وتأثيرها لفقدان ما هو مهمٌ ومرتبطٌ بها.

من أبرز الانحرافات في العهد الجاهلي (الشرك بالله)

العهد الجاهلي هذا كان فيه جملة من الانحرافات، لا يتسع الوقت للحديث عنها بكلها، وإنما نتحدث عن بعضٍ من أبرزها:

أول وأكبر وأسوأ ظاهرة كانت قائمة آنذاك، ولا زالت قائمة اليوم، وإن لم تكن في بعض المناطق، أو كان لها شكل في مناطق يختلف عن شكلها في المناطق الأخرى، **هي:** ظاهرة الشرك بالله ﷻ، **ومعناه:** الاعتقاد بتعدد الآلهة، هذه العقيدة الباطلة، الظالمة، الفاسدة، كانت قد طغت في واقع البشرية، وشملت الواقع البشري، وقد تكون لاستثناءات لا تكاد تذكر، **قد تكون:** إما أشخاصاً معدودين، أو- كذلك يعني- بطونًا محدودة **جدًّا**، الحالة التي طغت في الواقع العالمي هي ظاهرة الشرك بالله ﷻ، وهو: الاعتقاد الصريح الواضح بتعدد الآلهة، **يعني:** لم تكن حالة الشرك فقط حالة إلزامية، أنه يلزمهم **مثلاً** من القول بكذا أنهم قد جعلوا شريكًا مع الله. إلا، كانوا صريحين في عقيدتهم هذه، كان المشركون من كل الفئات والتيارات القائمة- آنذاك- كانوا صريحين في عقيدتهم هذه، وكانوا يعتقدون بتعدد الآلهة وأنها ليست إلاهًا واحدًا هو الله الإله الحق، وإنما يعتقدون بوجود آلهة أخرى شركاء- بحسب زعمهم وافترائهم وباطلهم- مع الله ﷻ، وإن كان الله **جلّ شأنه** عندهم في اعتقادهم هو الإله الأكبر، ولكن كانوا يتوهمون، أو يعتقدون باطلًا أن تلك الآلهة هي أشبه ما تكون قائمة بدور مساعد ومُعِيْنَة، **أو في بعض الحالات لها اختصاصات معينة:** إله يظنونه متفرغًا لموضوع معين، وإله- حسب زعمهم- متفرغ لمسألة معينة، ذاك عليه أن يرزق، وذاك عليه أن يرزق البشر بالأطفال، وذاك عليه أن يشفي المرضى، وذاك متفرغ لعملية النصر، وذاك متفرغ لعملية الدعم العسكري، وذاك متفرغ... **يعني** جهالات وخرافات كثيرة.

حالة الشرك هذه انتشرت في الوسط العربي آنذاك، وهي طارئة، طرأت حتى- مثلًا- على ذرية نبي الله إسماعيل، ما عدا القليل **جدًّا** منهم ممن بقوا على الحنيفية الإبراهيمية، على نهج إبراهيم ودين إبراهيم في التوحيد لله ﷻ، قلة قليلة **جدًّا** من آباء النبي ﷺ وأجداده، وإلا فقد غلب حتى في قريش؛ **وما هو** أوسع من قريش، **مثلًا**: كنانة، وامتد هذا إلى الوسط العربي بشكلٍ عام، وحالة الشرك هذه لا يفوتنا أن ننبه على أنها حالة طارئة، ليست أصيلة في المجتمع البشري، طرأت في المجتمع البشري، ولكن طغت، **يعني**: اعتنقها الكثير من الناس، تأثّر بها الكثير من الناس، وفي شكوى نبي الله إبراهيم ودعائه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم]، كثير من الناس ضلوا بهذا، واعتقدوا بتعدد الآلهة، وأشركوا بالله ﷻ.

في الواقع العربي كان اعتمادهم على المجسمات؛ ما يسمى بالأصنام بتنوعها، **يعني** أكثرها ومعظمها حجرية، أصنام حجرية كانوا ينحتونها من الحجار (من الصخر)، **ولاحظوا**- شيء عجيب- الإنسان إذا ابتعد عن هدي الله يكون لديه قابلية لأي ضلال، ولأي خرافة مهما كانت، والدور السلبي **جدًّا جدًّا** للذين يرعون حالة الضلال في أوساط البشرية؛ **لأنهم** هم من يلعبون بالناس؛ **لأن** الأصنام الحجرية التي اتجه العرب- آنذاك- لعبادتها، والبعض يصنعون من الخشب، والبعض- أيضًا- قد يصنعون حتى من الكعك والتمر (تمرية) [يسبّر له صنم تمرية]، وإذا حصلت ظروف صعبة **جدًّا**؛ يأكله إذا جاءت أزمة شديدة **جدًّا**! وحالاتٌ منها، **مثلًا**: في بعض المناطق أو بعض القبائل قد ينحتون لهم، والكثير يشترون أصنامًا، **يعني**: يشتريه بفلوسه هو، بذهبه أو بفضته أو بإبله أو... يشتري الصنم، ثم يقومون بالالتفاف حوله واعتقاده آلهة، خرافة رهيبة وواضحة **جدًّا**، عندما ينحتون ويصنعون صنمًا

مـن صخـرٍ معـين، أو يشـترونه مـن سـوقٍ معـين، وهـم يـرون فيـه تلـك الكتلـة الصخريـة التـي لا تبـصر، ولا تسـمع، ولا تتحـرك، ولا تفعـل شـيئاً، ولا تمتلـك إحساسًـا، ولا شـعورًا، ولا أي شيء... أو كان مـن الخشـب كذلـك، أو كان مـن العجـين، أو مـن أي معـدنٍ، باختـلاف المعـادن وتنوعهـا، يرونـه أمامهـم لا يملـك لهـم ضرًا ولا نفعًـا، ولا يسـمعهم ولا يبصرهـم، وإن كان لديـه أشـكال بشريـة **مثـلاً**: شـكل يديـن ورجلـين لا يسـتطيع أن يتحـرك بهـا، ولا يفعـل شـيئًا، ولا يسـتطيع أن يدافـع عـن نفسـه، وعرفـوا أنـه نحـت أصـلاً ضمـن عمليـة النحـت، بشـغل مـن نحتـوه، وعمـل مـن نحتـوه، مثلـما قـال لهـم نبـي اللـه إبراهيـم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: الآية٩٥] **يعنـي**: أنتـم مـن صنعتـم هـؤلاء، كيـف تتوجهـون لعبادتهـم!.

فالأصنـام انتـشرت بشـكل كبـير، حتـى كان في الكعبـة ومحيطهـا حسـب الأخبـار والآثـار أكـثر مـن ثلاثمائـة وسـتين صنـمًا، أو ثلاثمائـة وسـتين صنـمًا، زحمـة أصنـام؛ **لأن** القبائـل العربيـة؛ **كل** قبيلـة تطـرح لهـا هناك صنـم، يبقى لها هنـاك خاص إذا ذهبـت إلى الحـج فهـي سـتأخذ بعـين الاعتبـار صنمهـا في التوجـه إليـه، وتكاثـرت حالـة الأصنـام هـذه، **بمعنـى مثـلًا**: عـلى مسـتوى القبائـل أحيانـاً تلـك القبيلـة لديهـا صنمهـا، وتلـك القبيلـة لديهـا صنمهـا الخـاص، والقبيلـة الأخـرى لديها صنمهـا الآخر، وأحيانًـا حتـى على مسـتوى بعض الأسر، أو بعض الأشـخاص إذا عنده ثـروة ومرتاح با يشـتري لـه صنـم خاص بـه عنـده في البيت، أو عنـده زيـادة تفاعل، وروحـاني ودينـي يريـد يتعبـد أكـثر، وعنـده تركيـز عـلى هـذا الجانـب. التصـورات الخاطئـة نحـو اللـه ﷻ في اعتقادهـم بـأن الملائكـة بنـات اللـه، هـذا بالنسـبة -مثـلًا- في الحالـة العربيـة.

الحالة هذه انتشرت في الواقع العربي بشكل كبير جدًّا وطغت عليه.

والحالـة الأخـرى لـدى اليهـود ولـدى النصـارى انحـراف كذلـك ولكـن في تأليـه أشـخاص، بـدلًا مـن الأصنـام الحجريـة تأليـه أشـخاص، إمـا مـن الأنبيـاء، مثلـما هـو

الحال بالنسبة للنصارى في تأليه عيسى عليه السلام رسول الله وعبده، فاعتقدوه إلهًا مع الله سبحانه وتعالى وربًا معه، أو فيما يتعلق باليهود في اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وحالة حصلت- أيضاً- لدى النصارى هذه، وفي مسألة (عزير).

فئات الشرك كلها كانت تعترف باللّه.. ولكن!

طبعًا من المسائل التي ينبغي الالتفات إليها أن كل تلك الفئات المشركة هي كانت معترفةً بالله، لم تكن تنكر وجود الله ولا ألوهيته، ولكنها لم تكن توحّده؛ **لأن** الكثير من الكُتَّاب، وبالذات المعاصرين، حتى في بعض المسلسلات التاريخية يخطئون، **يعني**: يتصورون أن أولئك كانوا ينكرون الله نهائيًا، ولم يكونوا يعرفون شيئًا عن الله، ولا شيئًا اسمه الله أبدًا، وأنهم كانوا ينكرون وجود الله، ويكفرون به **بمعنى**: إنكاره نهائياً والإلحاد التام، وهذا غير صحيح، هم كانوا مقرّين بالله، مقرّين بربوبيته، وبأنه رب السماوات والأرض، ومالك الكون ووو....إلخ، الله جلّ شأنه كان يحتج عليهم في القرآن بهذه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: من الآية ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾[الزخرف]، بل آيات كثيرة مثل ما في سورة الزمر، وسورة فصلت، وفي سورة يونس اعترافهم بأن الله هو الذي يرزق ويدبّر الأمر، ويدير شؤون السماوات والأرض، وأنه من يجير ولا يجار عليه، وله ملكوت السماوات والأرض... إلخ. أشياء كثيرة معترفون بها، هذا سواءً كان بالنسبة لمشركي العرب الذين يعتنقون الوثنية وعبادة الأصنام، أو بالنسبة لليهود، أو بالنسبة للنصارى، **الحالة القائمة في أوساط البشرية الغالب فيها هذا**: (الإقرار بالله، بربوبيته، بألوهيته، بملكه، بخلقه، بتدبيره الواسع، برزقه... إلخ.)، ولكن مشكلة الآخرين أنهم يعتقدون بوجود آلهة لها شرك، لها دور، شريكة في الملك، وشريكة في الألوهية- بحسب جهلهم

وباطلهم وادعائهم- وشريكة بالتالي في العبودية، يتوجهون إليها بالعبادة، شريكةٌ فيهم، يعتقدون أن لها شركًا في السماوات وفي الأرض وفيهم، وأنها أقل مستوى في نظرهم من الله، ولكن يعتقدونها آلهة، ويعتقدون بربوبيتها، كما هو الحال عليه الآن لدى المنحرفين من النصارى، عندهم هذه العقيدة تجاه عيسى عليه السلام، ينطقون بها، يسمونه ربًّا، ويعتقدونه شريكاً...إلخ.

عقيدة الشرك.. تيه وضياع

فإذًا، هذا الجهل الكبير كان منتشراً، وهو الجهل الأكبر والذنب الأعظم ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان من الآية ١٣] لماذا؟ **أولًا:** أن فيه جحود لأكبر حقيقة، وانحراف في أكبر مسألة، **أكبر حقيقة:** أن الله وحده جلّ شأنه هو الملك، والإله، والخالق، والرازق، والمدبر، والربّ، لا ربَّ غيره، ولا إله إلا هو، فاعتقاد بعض المخلوقات الضعيفة، المملوكة لله سبحانه وتعالى، التي هي ضمن مُلْكِهِ ومِلْكِهِ والعبودية له، اعتقادها شركاء مع الله في الألوهية فيه إساءة كبيرة إلى الله، وانتقاص لله سبحانه وتعالى، واعطاؤها ما ليس لها، وتوجيه ما هو حقٌّ حصريٌّ لله- لا ينبغي أن يوّجه إلا له- إليها، ففيه جحود كبير، وتنكّر لله سبحانه وتعالى، وإساءة بالغة إلى الله سبحانه وتعالى.

ثم خطورته الكبيرة جدًّا في الواقع العملي، وإلا فليس في ذلك ما يضر الله، هو مجرد كلام فارغ، لا حقيقة له، تيه، ضياع، ولكن خطورته على الإنسان، أما الله فلا ضرّ عليه أبدًا، الإنسان يبني على هذا انحرافاته الباقية؛ **لأن** حالة الشرك يبنى عليها انصرافٌ تامٌ عن نهج الله، عن هدي الله، عن تشريع الله، تنفرط عند الإنسان وحدة التلقي، لم يعد يعتبر أن عليه أن يتلقى التعليمات، التكليف في هذه الحياة، تحديد مسؤوليته في هذه الحياة، تحديد التشريع والحلال والحرام من جهة واحدة، من طرف واحد من جانب الله سبحانه وتعالى، بل يرى أن الله جلّ شأنه ليس له الحق الحصري في ذلك،

وأن هناك من لهم علاقة بذلك، يبنى عليه انصراف الإنسان عن الله في ذلك، وضياعه في ذلك؛ **لأنه** يطلب ما يطلب من الآخرين، من تلك الأصنام الحجرية أو البشرية ما لا تملكه، وليس لديها، ولا يوجد عندها، ولا يمكن أن تقدمه له، فيستغرق في ذلك، ويتوجه إليها بكل مشاعره واهتمامه، فيضيع بذلك، لا يصل إلى نتيجة، يضيع نفسه، بينما هو يسيء إلى الله ﷻ، ويعصي الله ﷻ، ففيها حالة انحراف كبير على المستوى العملي، على مستوى التلقي، على مستوى التوجه، على مستوى الارتباط التشريعي، وفيها- أيضًا- ضياع للإنسان، والله شبه حالة هؤلاء الضائعين في توجههم إلى العبيد وإلى المملوكين وإلى- أحيانًا- الجمادات والمجسمات التي لا تملك شيئًا، بحال من يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ﴿.. وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ شبههم بهذه الحالة؛ **لأنهم** لا يصلون إلى شيء، وأن حالهم هو هذا الحال: ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾[الرعد: من الآية١٤] عندما تبسط كفيك هكذا، وتحمّلها بالماء، ثم ترفعها ليصل الماء إلى فمك وهي مبسوطة هكذا، لم يصل ولا شيء من الماء ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ لن يصل، **يعني**: ضياع، سراب، تيه، عبث، خرافة، جهالة، وانصراف عن الالتزام العملي بتوجيهات الله وتعليمات الله ﷻ، وجحود ونكران لأكبر حقيقة وأكبر حق، أكبر وأعظم حق على الإنسان هو حق الله عليه في الألوهية، وفي الملك، وفي الربوبية، وفي أن لا يتوجه هذا الإنسان في اعتقاد ربوبيةٍ لأي أحد إلا الله؛ **لأنه** وحده الرب، ولأنه وحده الملك، ولأنه وحده الإله **جلّ شأنه**، كانت قضية خطيرة **جدًّا**، وهي قضية منافية للفطرة، طرأت في الواقع البشري، الله فطر الإنسان على الاعتراف بربوبيته وحده.

كيف حدث الانحراف عن فطرة التوحيد؟

اللـه جـلّ شـأنه قـال في كتابـه الكريـم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف]، يحتج الله بأنه أودع في الفطرة البشرية، في نفس الإنسان، في فطرته وفي أعماقه هذا الشعور وهذه المعرفة بأن ربه الواحد هو الله ﷻ، وبالتالي ليس له أن يحتج في شركه بأنه كان يجهل، هذا موجود في فطرته، ولا بأنه تأثّر اجتماعيًا (نشأ في بيئة مشركة) ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ إذا، الحجة عليه قائمة من داخله، من أعماق نفسه، من فطرته التي أودعها الله فيه.

التأثير الاجتماعي تأثير كبير، والتأثير السياسي: كيانات، دول، زعامات، شخصيات... يرتبط بها الناس، تُسوِّغ لهم ذلك، تدفعهم إلى ذلك، تربي عليه البشر أو المجتمعات جيلًا بعد جيل، حتى تصبح مسألة من المسلَّمات، وحتى يستغرب الناس عندما يأتي ما يختلف مع تلك المسلَّمات لديهم التي قد ألفوها ونشأوا فيها؛ **ما** أحد ينكر، **ما** أحد يعارض، **ما** أحد يبيّن، **ما** أحد يذكّر... حالة من الصمت، حالة من السكوت، حالة من التقبّل، تصبح المسألة عادة وتقليدًا، فيتشبث بها المجتمع، ثم يستنكر عندما يسمع صوتًا آخر، لاحظوا كيف كان استنكارهم عندما تحرك رسول الله ﷺ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص] **يعني**: يستنكرون، هذا استنكار كبير، وينطلق من يرعى هذا الانحراف ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص]، **الملأ:** هم أصحاب النفوذ السُلطَوي في المجتمع، لهم

سلطة، لهم تأثير في المجتمع من خلال هذه السلطة وهذا النفوذ، يرعون انحرافات معينة، **مثلاً**: كان بعضهم يكون تاجرًا يبيع ويشتري في أصنام، ويجي له منها دخل كبير، وما يشتي القوم يتغيروا، [ما عاده جاي له أرباح ومنافع في الأصنام ذي يبيعها،] يشتي تجارة، أو البعض نفوذه السلطوي ابتنى على ذلك، فيتصور بأنه سيفقد هذا النفوذ لو تغيرت عقيدة الناس من حوله أو اتجهوا اتجاهًا آخر، انزعاج كبير **يعني** من الارتباط بمنهج الله وشرعه، انزعاج شديد؛ **لأن** الطغاة، والظالمين، والجائرين، والعابثين، والنافذين بغير الحق، من يبنون سلطانهم ونفوذهم على باطل، على ظلم، على فساد، على تسلط، هم أشد الناس انزعاجًا من العودة إلى منهج الله والارتباط بشرعه، لماذا؟ الرجّال لا يريد أن يتقيد بحلال وحرام؛ **هو** لص، سارق، ظالم، طاغية، متجبر، متسلط، هذا سيمنع عليه في منهج الله، في شرع الله، سيقيد عن ذلك، فهو لن يقبل بهذه الحالة، إذا قبل بها عنوانًا، ويصبح معه ممن هم محسوبون عليها باسم علماء دين أو أيًا كان من العناوين، ممن هم في يده جاهزين لإصدار الفتاوى المناسبة حسب الرغبة والطلب، لا بأس، مثل ما يحصل بالمفتي السعودي، **حتى عندما تكون المسألة مسألة علاقة مع إسرائيل جاهز يصدر فتوى:** [جائز علاقة، محرم قتل الإسرائيليين، يجوز الزيارة للإسرائيليين...]، جاهز أي توجه يصدر عليه فتوى باسم الدين، هذه حالة ما عندهم مانع، عندما يصبح الدين آلة ووسيلة لهم لاستغلالهم، ما عندهم مشكلة؛ **كثير** من الناس.

حالة الشرك لا تزال قائمة! من المسؤول؟

فالحالة هذه كانت سائدةً لديهم، حالة الشرك والانحراف الكبير **جدًّا**، أكبر انحراف وأكبر ضلال وأكبر باطل، للأسف الشديد. تعلمون، اليوم في الواقع البشري أغلب البشر لا يزالون اليوم على حالة الشرك، **يعني**: ليس الشرك بالإلزام، ليست حالة تكفيرية مثلما يفعل الوهابية يكفرون المسلمين. إلا، **بمعنى**: الذين لديهم هذه العقيدة الشركية، بكل صراحة، بكل وضوح، يجادلون عنها، يعتبرون الموحد مخطئاً، وقد يعملون على قتله وإبادته، مثلما يحصل في (ميانمار)، حالة الشرك من خلال الأقوام المعتنقين للوثنية، سواءً في البوذية أو غيرها، وحالة الشرك لدى **مثلاً**: نصارى، لدى الكثير من الأقوام، حالة منتشرة اليوم في الأرض، مع أنها خرافة، مع أننا باعتبارنا في عصر التقدم والتطور، مع أن الدول والبلدان التي لا زالت لها مجسمات تتوجه إليها بالعبادة وأصنام، لديهم- أيضًا- عباقرة، لديهم سياسيون، لديهم مفكرون، لديهم... والخرافة قائمة مع كل ذلك، يعتبرون الموروث الديني لديهم موروثاً مقدساً، ويتشبثون به، ويستمرون عليه، ويسعون إلى الحفاظ عليه.

جزء رئيسي من أسباب وجود هذه الظاهرة وانتشارها على هذا النحو هو: تقصير المسلمين، وفشلهم في تقديم النموذج الموحَّد الراقي، الذي كان لعقيدة التوحيد أثرها الكبير في حياة (الإنسان)، في سلوكه، في واقعه. للأسف الواقع لدى المسلمين اليوم ليس واقعًا جذابًا أبدًا لأي أمم أخرى في الأرض، بل واقعًا منفرًا وبشعًا وسيئًا، وساحةً مليئةً بالمظالم، ومليئةً بالمفاسد، ومليئةً بالمنكرات، ومليئةً بالانحطاط الأخلاقي، ومليئةً بالظلم والطغيان والاستبداد والأثرة والتخلف، وواقع غير مشجع للأقوام الأخرى، لا يرون في المسلمين جمال الإسلام وعظمة الإسلام وأثر الإسلام النافع البنّاء، الإسلام دين يبني الحياة، يبني

الإنسان، يرتقي بالإنسان في سلوكه، في فهمه، في أخلاقه، في تصوراته، في معاملاته، دين يرتقي بالإنسان، عقيدة التوحيد يبنى عليها تلقي التوجيهات والتعليمات الإلهية الحقة وبناء واقع الحياة عليها، **وحينها تكون المداميك والأسس التي تبنى عليها تصرفات الناس هي:** الأخلاق، والقيم، والمبادئ العظيمة والسامية.

الواقع الإسلامي ليس واقعًا يسهم في تغيير هذه العقيدة، والا الدين الإسلامي (دين التوحيد) هو دينٌ موعودٌ بالظهور في الأرض على كل الأديان الباطلة الأخرى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة]، المشركون لو كرهوا، وابتنى على كرههم هذا مواقف عسكرية، سياسية، اقتصادية، بكل أشكال المواجهة والتصدي لهذا الدين، هم فاشلون؛ **لأنهم** هم من شذوا عن الفطرة.

المسلمون معنيون بتغيير واقعهم، وإصلاح واقعهم على أساس الأخلاق والقيم والمبادئ التي أضاعوها؛ **فأضاعوا** بإضاعتها جمال الإسلام، وعظمة الإسلام، وأثر الإسلام في الحياة، وأثر الإسلام في أنفسهم، في أخلاقهم، في معاملاتهم، في تصرفاتهم، في علاقتهم بالأمم الأخرى، المسلمون اليوم بحاجة أن يعودوا هم في واقعهم إلى إسلامهم في قيمه، في مبادئه، في أخلاقه الضائعة، في عدله، العدل؛ **أين** هو عدل الإسلام! أين هو عدل الإسلام! أنظمة وحكومات كبيرة منتمية إلى الإسلام هي من أظلم البشر، **ومتفوقة على كثير من المشركين في:** ظلمها، وطغيانها، وجبروتها، وإفسادها، واستبدادها، وانعدام حالة العدل عندها، ومتسلطة بأسوأ مما عليه بعض المشركين.

الجاهلية مجتمع متوحش

حالة الشرك حالة منتشرة اليوم في الجاهلية الأخرى بشكل كبير، الشرك بالأصنام الحجرية والأصنام البشرية والطواغيت، الحالة هذه واحدة من الحالات والانحرافات الكبرى، ابتنى عليها- أيضًا- انعدام الرحمة، المجتمع الجاهلي مجتمعٌ انعدمت فيه الرحمة، نشف، يبس، جف (جفت فيه الرحمة)؛ **فكان** مجتمعًا متوحشًا، ولذلك بلغت حالة التوحش لديهم الإقدام على قتل الأطفال بكل وحشية، مثل دفن البنات للتعيُّب من كونهن بنات، من كونها أنثى ولدت له؛ **فيعمل** على وأدها، **يعني**: يدفنها وهي على قيد الحياة وطفلة صغيرة، إما عقب أن تلدها أمها، وإما بعد أن يتمكن من ذلك في مرحلة معينة فيدفنها وهي على قيد الحياة، وحشية رهيبة، انعدام عجيب للرحمة، أو قتل الأولاد الذكور في حالات متعددة، **منها:** حالة القرابين إلى الأصنام يعني بعضهم يشتي يتقرب إلى الصنم تقربًا كبيرًا، يأخذ بيد ابنه ويذهب به إلى ذلك الصنم ثم يذبحه تقرباً إلى ذلك الصنم، ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧]، وحالة منتشرة، ولهذا قال: ﴿لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ يذبح طفله أو ابنه، بعضهم حتى قد يكون ابنه- قد هو- كبير، فيذهب به ويذبحهُ، يُكَتِفه ويسير يذبحه عند الصنم، في حالات أخرى نتيجةً للظروف الاقتصادية، البعض إما خشية إملاق، كما ورد في القرآن الكريم، **يعني**: يخاف على ابنه الفقر، أنه لا يكبر ويعاني من الفقر، وعندهم عقدة شديدة من الفقر؛ **فيتصور أن الحل الجذري لهذه المشكلة هو:** أن يقتل ابنهُ، فيقتلون أبناءهم خشية الفقر (**خَشيَةَ إملاقٍ**)، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: من الآية٣١]، الله وعد برزقهم وإياكم،

فلم يكونوا لا عبئاً عليكم ومشكلةً عليكم؛ **لأن** الله هو الذي يتولى الرزق لعباده، ولم يكونوا ضائعين هم في أنفسهم بدون رزق؛ **لأن** الله هو الرزاق الكريم ذو القوة المتين، والغني الحميد، **كذلك** البعض ليس خشيةً على ابنه من المستقبل للفقر، إنما لأنه هو يعاني من ظروف صعبة ولا يريد أن يتكلف بالنفقة على ابنه؛ **فيقتل** ابنهُ، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام: من الآية١٥١]، هذه الحالة كانت منتشرة، **يعني**: مجتمعٌ انعدمت فيه الرحمة، فكان على هذا النحو لا يمتلك الرحمة حتى تجاه ابنه وتجاه طفله وتجاه طفلته، كيف سيكون تجاه الآخرين، إذا ما عاد هناك رحمة حتى تجاه ابنه وبنته في مرحلة الطفولة كيف سيكون تجاه الآخرين.

مجتمع منحط أخلاقياً

الوضع الأخلاقي كان هناك انحطاط كبير جدًّا، انتشار كبير للفواحش (الفاحشة الجريمة الأخلاقية) كانت منتشرة بشكل كبير **جدًّا** وبدون أي تحاشٍ، أصبحت مسألة اعتيادية، ولو أنها مذمومة لديهم، هي مذمومة لا تزال مذمومة، وينظرون إليها بعين الازدراء والاحتقار والاستياء، ولكن ماشين عليها ومنتشرة بشكل كبير، ولذلك كانت تنتشر ظاهرة الأولاد غير الشرعيين، والتفكك الاجتماعي، كان المجتمع- آنذاك- مهددًا بالتفكك الاجتماعي، وكانوا- أحيانًا- يتنازعون على المولود الواحد، يتنازع عليه أربعة أو خمسة إذا كان ذكرًا، كلًا منهم يدعي أنهُ والده، حالة أشبه ما تكون بحالة الحيوانات، وكأنهم ليسوا مجتمعاً بشرياً، الأسرة كانت مهددة بالتفكك، وهي اللبنة الأساسية في الفطرة البشرية التي يتكون منها المجتمع، إن سَلِمَت كان في هذا سلامة المجتمع، وإن تضعضعت وضربت من الأساس ضرب المجتمع بمعول الهدم في أساس بنيانه، وهي الأسرة، فكانت منتشرة

بشكل فظيع، بما فيها من دنس نفسي، من انحطاط نفسي وأخلاقي، ومن أضرار اجتماعية كبيرة **جدًّا** تهدد المجتمع في تماسكه الأسري وفي تكوينه أيضاً.

واليوم يسعى أعداء المنهج الإلهي، أعداء الأنبياء وأعداء المنهج الإلهي يسعون دائمًا إلى نشر الفاحشة والرذيلة في أوساط المجتمعات، في عصرنا هذا يستفيدون من الإمكانات الكثيرة، والوسائل الكثيرة والأساليب الكثيرة التي تساعد على انتشار الفاحشة، وهي سلوكٌ جاهليٌ باطلٌ، قذرٌ، دنسٌ، يفسد المجتمع البشري، يفسد أخلاقهُ، يفسد قيمهُ، يفسد بنيتهُ الاجتماعية، له أضرار على كل المستويات حتى صحياً، اليوم واحد من أكبر الأسباب لانتشار بعض الأمراض الخطيرة **جدًّا** ومنها مرض الإيدز هو هذا الانحراف، انتشار الفاحشة، إضافة إلى أنها تجلب السخط الإلهي، والعقوبات الإلهية الكثيرة **جدًّا** على المجتمع.

أم الخبائث ومفاسدها الكارثية

أيضًا انتشار الخمر والميسر، الخمر كان منتشراً، حتى أنهُ أصبح من المشروبات- آنذاك- شبه الضرورية والمعتادة **جدًّا** في المجتمع العربي، والخمر خطير **جدًّا**، خطير على القيم وعلى الأخلاق، ومفاسده كثيرة ورهيبة، إلى درجة أنه سماه النبي ﷺ بأم الخبائث، مصدر لبقية الخبائث، الانحرافات، المفاسد السلوكية، الإنسان الذي يعتاد شرب الخمر يتأثر في استقامته الفكرية، يصبح عنده خلل كبير في التفكير، **وفي النفسية التي يحملها:** نفسية دنسة، تافهة، مستهترة، عابثة، دَنِيئة، منحطة، أيضًا كذلك على مستوى الواقع السلوكي عادةً من يعتادون شرب الخمر هم منفلتون في السلوك الأخلاقي، يعتادون ممارسة الفاحشة في كل أشكالها، فالخَمَّار فاحش عادةً، **يعني:** يتلازم شرب الخمر مع ارتكاب الفواحش- والعياذ بالله- وهكذا عدم الاتزان السلوكي في التعامل المعتاد لشرب الخمر، إنسان عدواني، غير طبيعي،

أعصابه غير طبيعية، نفسيته نفسية غير سليمة، تفكيره تفكير غير سليم.

ولاحظوا -مثلًا- آنذاك واليوم في العصر الجاهلي الأول وفي الجاهلية الأخرى، كثير ممن هم في مقام قيادات -مثلًا- أو قادة دول أحيانًا، رئيس، أو مسؤول معين في موقع من مواقع المسؤولية المهمة، أو زعامات اجتماعية أحيانًا، ولا نقصد بهذا التعميم، أبدًا، لا نقصد بهذا التعميم، **يعني:** في كل الفئات والمكونات هناك مَنْ هم طاهرون عن مثل هذه الرذائل، لكن يوجد من هذا النوع مَنْ يكون إما رئيسًا، أو ملكًا، أو مسؤولًا، أو أميرًا، أو في أي موقع من مستويات ومواقع المسؤولية، يشرب الخمر، ويُدمن على شرب الخمر، ويُكثر من شرب الخمر، وهي خطِرة في قليلها وفي كثيرها، وملعونة في كثيرها وفي قليلها، وملعونٌ مَنْ يشربها في قليلها أو كثيرها، لكن يوجد من يفعلون ذلك، وهم على هذا النحو من الانحراف، ثم يكونون مشكلة كبيرة على المجتمع؛ **لأنه** إذا كان هناك رئيس خَمَّار، أو مسؤول يشرب الخمر، أو سياسي يشرب الخمر، أو مثقف يشرب الخمر، أو زعيم اجتماعي، زعيم قبيلة يشرب الخمر، لهذا انعكاس على قراراته، على تفكيره، على تصرفاته، على مواقفه؛ **فستكون** مواقفه مواقف سيئة، مواقف غير متزنة، غير سليمة، باختلال التفكير لديه؛ **لأن** له تأثيراً مباشراً على حالة التفكير لدى الإنسان؛ **والحالة** الفكرية والحالة النفسية لدى الإنسان.

منشأ القرارات الطائشة لدى الزعامات والقادة

وأنا أعتقد اليوم أن كثيراً من المشاكل والتصرفات غير المتزنة والقرارات غير المتزنة لكثير من القادة والسياسيين والزعامات في عالمنا العربي والإسلامي منشأها إدمانهم على الخمر، إدمانهم على الخمر تجعل قراراتهم قرارات غير صائبة أبدًا ولا سليمة نهائيًا؛ **لأنهم** يصبحون بهذا أناساً مستهترين، عبثيين، تافهين، وغير

طبيعيين لا في تفكيرهم، ولا في تصوراتهم، ولا في نفسياتهم، ودنيئين **جدًّا**، ومستهترين، ما عنده مشكلة؛ **قد** يتخذ قرارًا فيه ظلم كبير، فيه مفاسد كبيرة، له تداعيات خطيرة، ما عنده مشكلة؛ **مستهتر**، عابث، سكران، لاهي، يفقد الجدّية، يفقد الاتزان، يفقد الشرف، يفقد الحرص على الناس، **يفقد كل المقومات السليمة للقرار السليم:** النفسية، الثقافية، الفكرية، نظرته مختلة، نفسيته مختلة.

وأنا أنصح اليوم- أنصح لله- كل الذين يعتادون على شرب الخمر من زعماء أو سياسيين أو مفكرين أو ناس عاديين أن يتركوا هذه الظاهرة، أن يتركوا هذه الجريمة، أن يتركوا هذه المعصية، أن يتركوا هذا المحرم.

هذا محرم شرعًا، الله سمى الخمر رجسًا من عمل الشيطان، قال عنه: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: من الآية ٩٠]، رجس، لا يتقذر الإنسان بها؛ **لأن** البعض يروج لها، ويدافع عنها، ويغضب، ويعتبرها من مسائل الحريات الشخصية، بل بعضهم يعتبرها من عادات التحضر، ليست عادة حضارية، عادة جاهلية، وتخلف، وانحطاط، ودناءة، كانت منتشرة ودمرت المجتمع، وأفسدت المجتمع، ولها نتائجها الكارثية في المجتمع، وهي من أبرز ما كان منتشرًا في زمن الجاهلية الأولى، الميسر **كذلك** بكل مفاسده الاقتصادية، الربا بكل أضراره الاقتصادية والمدمرة هو **كذلك**، بل طغى وانتشر اليوم، طغى وانتشر اليوم، حتى أصبح واحدًا من أساسيات السياسية الاقتصادية لمعظم الدول العربية والإسلامية، بكل ما ترتب عليه من ثراء فاحش لفئة قليلة، وإفقار للمجتمع، وتحميل للاقتصاد في كل بلد عربي وإسلامي- يمارس ذلك- أعباءً رهيبةً **جدًّا** نتيجةً للربا.

التحريم والتحليل الفوضوي: يعني لم تكن مسألة التحليل والتحريم قد شطبت نهائيًا في العهد الجاهلي. إلا، لا يزالون- آنذاك- يعتبرون بعض الأشياء حرامًا، وبعض الأشياء حلالًا، لكن بالمقلوب، فحرَّموا من الحلال وأحلُّوا من الحرام، واستحلُّوا بعض المحرمات، جعلوها شبيهةً بالحلال، ما عاد هناك أي تحرج في مسألة ممارستها؛ **ولهذا** الله قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: من الآية ١١٦]،

مظاهر أخرى للانحطاط الجاهلي

مثلًا استحلوا الميتة، وهي محرمة، وظاهرة تخلف وانحطاط- أكل الميتة- وانعدام للذوق الفطري والبشري والسليم، وهي حرام- في نفس الوقت- حرمة مؤكدة، استحلوها وأكلوها، الدم استحلوه وأكلوه وهو محرم، لحم الخنزير- كذلك- استحلوه وهو محرم، وحرموا بعض الإبل، بعض البقر، بعض الغنم، بعض الماعز لاعتبارات معينة؛ **لأنها** عدد كذا من المولود، وإلا أنتجت كذا، وإلا مثلما هو الحال في (البحيرة والسائبة والوصيلة والحام) من الإبل والبقر والغنم، فوضى كان عندهم في التحليل والتحريم، وحالة مزاجية أثَّرت على ذلك وحكمت ذلك.

إضافةً إلى انتشار ظاهرة العدوان، واستباحة سفك الدماء، وانتشار البغي، الحالة العدوانية كانت حالة منتشرة كما هي اليوم، بالطبع يعني كما هي اليوم للأسف، عادي قبيلة تعتدي على أخرى طمعًا في ثروتها، أو مالها، أو إبلها، أو غنمها، أو لأبسط الأسباب، لأتفه الأشياء، واقتتال كبير وعنيف، الحالة العدوانية كانت قائمة بشكل كبير للسلطة، للنهب، للسلب، للاستيلاء على ثروة الغير، للأحقاد، حالات الثأر الجاهلي غير المنضبط في قتل أي منتمٍ إلى قبيلة القاتل أو بلد القاتل أو غير ذلك.

مـن الظواهـر التـي انتـشرت- آنـذاك- بشـكل كبـير: انعـدام لحالـة الأمـن، و**كذلـك** انتشـار للفـوضى، انعـدام لحالـة الأمن والاسـتقرار نهائيًـا، الحالـة الاجتماعية مهـددة، الوضـع الاقتصـادي كذلـك- بالـذات في الجزيـرة العربيـة- عـلى نحـوٍ فظيـع، متـدني، فيـما كان الوضـع -مثـلًا- في مكـة عـلى المسـتوى الاقتصـادي كان جيـدًا في مكـة، مكـة والكعبـة (البيـت الحـرام) بقـي لهـا حرمتهـا ومكانتهـا الكبيرة في أوسـاط المجتمـع، وكان العـرب يعظِّمـون الكعبـة، ويحجـون، وكانـوا لا يزالـون يدَّعـون أنهـم عـلى ملـة إبراهيـم، **بالرغـم مـن كل مـا معهـم مـن:** شرك، ومنكـرات، وأباطيـل، واستقسـام بـالأزلام، وعبـادة للأوثـان، وخرافـات كثـيرة، وانحرافـات كثـيرة، يدّعـون أنهـم عـلى ملـة إبراهيـم، البعـض منهـم -مثـلًا- اعتنـق المسـيحية، البعـض منهـم اعتنـق اليهوديـة، البعـض منهـم لـه توجـه هنـا أو هنـاك، لكـن الآخـرون برغـم مـا هـم عليـه مـن وثنيـة وشرك كلهـم يدّعـون أنهـم عـلى ملـة إبراهيـم، واليهـود يدّعـون **كذلـك**، والنصـارى **كذلـك**، ومتشـاجرون عـلى إبراهيـم، متنازعـون عليـه، كلٌ يدَّعـي انتـماءه إلى ملتـه، ولهـذا قـال اللـه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾[آل عمران]، [الـكل كانـوا عـلى غلـط، متشـاجرين عليـه ومـا هـم حولـه كلهـم، ومتشـاجرين- بالنسـبة لليهـود والنصـارى- عـلى الجنـة وماهـم حولهـا كلهـم، هـم متجهـين اتجـاه آخـر].

العـرب كان مـن أسـوأ العقائـد لديهـم: إنـكار البعث والقيامـة، والجحـد بالمعاد، وكانـوا يسـتغلون هـذه العقيـدة الكفريـة والإنكاريـة للبعـث والمعاد؛ **لحالـة** التفلُّت والعبـث التـي يعيشـونها، وعـدم الانضبـاط لا في الحالـة العدائيـة التـي هـم عليهـا (يعتـدون، ويعبثـون، ويظلمـون)، والمفاسـد الأخلاقيـة وغـير ذلـك... ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝٦﴾[القيامة]، كانت الحالة التي هم عليهـا مـن الإنـكار الشـديد للبعـث سرهـا والدافـع وراءهـا هـو هـذا الإصرار عـلى

الاستمرار في الفوضى وعدم الالتزام، **لا يريد أن يلتزم، يقول لك:** [ما بش جنة ولا نار، خلينا نسوي الذي نشتي، ونتصرف مثلما الذي نشتي، وهي حياة هنا نعبث ونسوي الذي نشتي، ونكيف، ونحصل على ما نرغب وبس، ما عاد بش أفق، ما عاد به مستقبل آخر، ما عاد به جنة ولا في نار نخاف منها]، كانوا على هذا النحو ينكرون البعث، **وكذلك** كفر بالله باستضعاف قدرته على البعث.

مكانة قريش في الجاهلية

في مكة كان هناك الكعبة (البيت الحرام المقدس) والحج إليه، استمر الحج في أوساط العرب آنذاك، وكانت قريش في مكة تحظى بمكانة اجتماعية كبيرة في الوسط العربي؛ **بطبيعة** مسؤوليتهم في إدارة شؤون الحج والكعبة، وبطبيعة أنهم لا يزالوا هم الصفوة من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، من نسل إسماعيل بن إبراهيم، فكان لهم حضورهم في الوسط العربي، واحترامهم في الوسط العربي، ولا ينالهم أي استهداف من جانب القبائل العربية الأخرى التي تعرف أنها ستحج، وهي تريد أن تحج ولا يكون لها مشكلة مع قريش.

قريش- أيضًا- كان لهم رحلات تجارية، ونشاط تجاري إلى اليمن، وإلى الحبشة في الصيف، ولهم- أيضًا- إلى الشام ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، **يعني:** رحلةٌ منها إلى الشام، ورحلةٌ منها إلى اليمن أو إلى الحبشة، كانت واحدةٌ منها في الصيف والأخرى في الشتاء، رحالات تجارية تعود لهم بوفرة اقتصادية وثروة اقتصادية ضخمة، والإقبال إليهم من الحجيج يساعد على هذه الثروة، وتنامي هذه الثروة، ولهذا قال الله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾[قريش]، **يعني:** البيت الحرام في مكة ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾[قريش]، فحظوا بنعمة الأمن

والاستقرار، وحظوا- أيضًا- بنعمة الوفرة الاقتصادية والغناء والثروة، ولكن لم يشكروا الله على هذه الثروة وهذه النعمة، وكانوا هم- أيضًا- ضائعين كحال غيرهم في حالة الشرك، حالة الكفر، المفاسد الأخلاقية... إلى غير ذلك.

المميزات التي كانت لا تزال في الواقع العربي هي: الإباء، والعزة، الكرم... يعني بعض الأخلاق لا زالت موجودة، ومهيئة لهذا المجتمع لتلقي الرسالة الإلهية.

من أسرة الطهر والشرف جاء محمد المصطفى

في وسط قريش كانت أسرة بني هاشم (أجداد رسول الله ﷺ وبيته الذي ولد منه) كانوا -أيضًا- مختلفين، **مثلًا:** عبدالمطلب (جدُّ رسول الله ﷺ)، كما هاشم- أيضًا- عُرِفَ عنهم أنهم كانوا على حنيفية إبراهيم موحّدين، ولم يكونوا على الشرك مثلما كان عليه حال قومهم، وأيضًا أسرة متَّسِمَة بالشرف والطهارة والبعد عن المفاسد الأخلاقية، والصيانة من المفاسد الأخلاقية، هذا شيءٌ عُرِفُوا به حتى في الوسط العربي- آنذاك- أنهم أسرة تتنزه عن المفاسد الأخلاقية، وأسرة تصون نفسها من هذه، وهذا لحفظ الله لهذا الشرف، حتى يأتي هذا المولود طاهراً من نسلٍ طاهر لا يتلوث، نسل طاهر يصل به نسبه إلى إسماعيل عليه السلام، إلى إبراهيم عليه السلام، من ذرية إبراهيم، من ذرية إسماعيل، من دون أي دنس أخلاقي، أو مفاسد أخلاقية تنحرف بهذا النسل المبارك.

فرسول الله كان حقًا من نسل إسماعيل كما قال: ((مَا وَلَدَتْنِي بَغِيٌّ قَط)) **يعني:** طول نسل إسماعيل من لدن نبي الله محمد **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله** إلى إسماعيل عليه السلام طهَّره الله من هذه الرذيلة وهذه المفاسد، وأسرة هي الصفوة داخل مجتمع قريش، فكان الحال كما ورد عن رسول الله ﷺ **فيما روته مذاهب الأمة ومحدّثو الأمة في أهم مصادرها: ((إنَّ اللهَ اصْطَفَى**

مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيل، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيل كِنَانَة، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشَاً، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْش بَنِيْ هَاشِم، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِيْ هَاشِم)) لأنه- كما قلنا قبل الأمس تقريبًا في كلمة سابقة- سنة الله مع أنبيائه هي: الاصطفاء، الاختيار، الانتجاب، الإعداد التكويني -حتى- والتأهيل فيما بعد، **((فَأَنَا** ـ كما في رواية أخرى ـ **فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَار))**، **يعني**: صفوة الصفوة، الصفوة من ذرية إسماعيل عليه السلام، وهذا تكريم للبشر، يأتي إليهم برسول من بيئة طاهرة ونقيّة وسليمة، ليس رسولًا مشوهًا برصيد ومحيط سيئ وفاسد، وإلا لم يكن مقبولًا، **يقولون له:** [روح لك، من أنت، شوف أتذكر من أنت منه]، **يعني** يكفي أن يقولوا هكذا **يعني**، فهذه سنة الله ﴿اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: من الآية٣٣]، وهو اصطفاءٌ للناس، **يعني**: ليس اصطفاءً للتكبر على الناس. إلا، يصطفي للناس ليقدم لهم شيئاً عظيمًا وصالحًا، يكون لهم، ورسول لهم، هو في مصلحتهم، في العمل على هدايتهم، في السلوك بهم في طريق الله وفي طريق الخير.

مرحلة ما قبل ولادة النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وقد ساءت أوضاع البشر، وساءت أوضاع العرب، وساءت أوضاع الواقع البشري بشكلٍ عام، وتعاظمت وتفاقمت مشاكل البشر نتيجة الجاهلية القائمة؛ **لأنها تنتج:** المشاكل الاجتماعية، المشاكل السياسية، المشاكل الاقتصادية، هذا ما **يجب** أن نعيه جيدًا، الواقع البشري إذا غاب عنه نهج الله غابت عنه مبادئ وقيم الأنبياء، وأصبح مجتمعًا جاهليًا، وحشيًا، **تسوده شريعة الغاب:** القوة، الطمع، المفاسد، الرذائل، تتعاظم وتتفاقم مشاكله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية، وحلها لا يتأتى من زاوية واحدة، حل سياسي، أو حل اقتصادي لوحده، أو حل... إلا، لا بد من حل جذري يعود إلى أصل القيم والمبادئ

والأخلاق وإعادتها إلى حياة الناس، لإصلاح الناس، **فيصلح إذا صلح الإنسان كل شيء:** تصرفاته، اتجاهاته، أفكاره، يصلح، يصلح واقعه، **يعني:** في النهاية.

حادثة الفيل وإرهاصات مولد النور

في ظل ذروة تلك الأوضاع في ما هي عليه من مشاكل وأزمات وفتن وجاهلية وظلمات أتت حادثة اسمها (حادثة الفيل)، في عامٍ سميّ بعام الفيل، عام الفيل هذا اتجهت فيه قوة عسكرية جبَّارة، بقيادة (أبرهة الحبشي)، وأبرهة هذا من الحبشة، وله جيش كان من الحبشة ومن مرتزقة العرب، سواءً من اليمن أو من غير اليمن (من الجزيرة)، جيش ضخم اتجه بهدف هدم الكعبة، وبهدفٍ آخر رئيسي يغفل عنه الكثير من أصحاب السير والمؤرخين، **الهدف الآخر هو:** ما قد أُثِر من بشارات وأخبار عن زمن أو عن عامٍ يولد فيه نبيٌّ جديد يغير وجه هذا العالم، ويسقط الكيانات القائمة للطاغوت والاستكبار والفساد والظلم والانحراف، نبي سيقدم ويغيّر هذا الواقع بكله، على أساس أن المؤشرات والأخبار تدل على مولده في ذلك العام، وفعلًا، كان العام نفسه عام مولد رسول الله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**، فذهب وكان معه فيل كبير، أو مجموعة من الفيلة- كما في بعض الأخبار- بينها فيل كبير، والفيل كان يستخدم عسكريًا لدى بعض الدول- آنذاك- والكيانات المتمكنة، كما هو حال الروم والفرس، والعرب كانوا يخافون **جدًّا** من الفيل، ينهزمون عسكريًا، **يعني:** يرون فيه عتادًا عسكريًا غير مألوف بالنسبة لهم؛ **فيخافون** منه، وينهزمون بسرعة، ولا تثبت أمامه الخيول، فاتجه عسكريًا ومعه الفيل هذا والأفيال تلك، وفعلًا، مع العظمة التي كانت للكعبة والتقديس الذي كان للبيت الحرام، لكن الفجيعة من الفيل جعلت العرب كلهم يتنصلون عن حماية البيت، وعن التصدي

لأصحاب الفيل، وغفلتهم عن الهدف الرئيسي للحملة العسكرية تلك، التي هي حملة كما كانت حملة فرعون للاستباق لولادة موسى بقتل كل الأطفال.

ذهبت تلك الحملة وفشلت؛ لأن الله ﷻ تصدى لها، وكان التصدي الإلهي من خلال الطير الأبابيل التي أرسلها الله لإبادة ذلك الجيش، كانت هي- أيضًا- من أكبر وأهم إرهاصات هذا المولود القادم الذي ولد بعد أيام، بعد أربعين يومًا في بعض الأخبار، البعض أكثر، البعض أقل، لكن في نفس ذلك العام ولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

نتحدث في الغد- إن شاء الله- عن رسول الله في مولده، ما بعد مولده، في بداية أمر الإسلام، في التغيير العظيم الذي صنعه بالإسلام في واقع العرب، وفي الواقع العام البشري، امتدت تأثيراته العظيمة إلى كل أنحاء الدنيا وإلى اليوم، **ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين.**

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الخامسة ١١ ربيع الأول

إطلالة على السيرة النبوية

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

حديثنا اليوم يتضمن عرضاً موجزاً جدًّا عن السيرة، وعن بعض النقاط المتعلقة بطبيعة علاقتنا مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، مع التنبيه والإشارة إلى أن موضوع السيرة النبوية لم يحظ في الواقع الإسلامي بالاهتمام المطلوب، وكذلك- للأسف الشديد- فقد شاب الكثير من

الكتب والروايات شابها الكثير من الخلل والكثير من الأخطاء، وكذلك الخطأ الكبير في المنهجية، والنمط الذي اعتمد عليه لدى الكثير في كتابة السيرة النبوية.

الحديث عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هو حديثٌ عن الإسلام وعن الإيمان، والعلاقة بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله هي علاقةٌ إيمانية، علاقة محبةٍ وإيمانٍ وتعظيمٍ وتوقيرٍ واهتداءٍ واتباعٍ واقتداء، ولذلك من المهم لكل مسلم أن يسعى إلى معرفةٍ أكثر عن هذا الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، عن سيرته بهذا الاعتبار الإيماني، وبطبيعة هذه العلاقة الإيمانية، وكلما كانت هذه المعرفة معرفةً قويةً وصحيحة؛ **كلما** كان لها أثرها الإيجابي في نفسية الإنسان المؤمن، في الجانب الإيماني نفسه، في العلاقة الإيمانية نفسها، كلما ازددت إيمانًا، وكلما ازددت اهتداءً وتأثرًا برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ويمكن- إن شاء الله- أن نعقِّب في كلمة اليوم حول هذا الموضوع بالذات (طبيعة العلاقة مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله).

اعتاد المؤرخون وأصحاب السيّر أن يتحدثوا في السيرة النبوية، وأن يفصلوا المراحل إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما قبل البعثة، منذ الولادة إلى حين البعثة بالرسالة.

المرحلة الثانية: منذ البعثة بالرسالة إلى حين الهجرة، وهذا يسمى بالعهد المكي.

والمرحلة الثالثة: منذ الهجرة إلى حين الوفاة، وهذا يسمى بالعهد المدني.

رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله كما أشرنا بالأمس وُلِدَ في عام الفيل، وكانت حادثة أصحاب الفيل أول وأكبر الإرهاصات المهمة لهذا القدوم المبارك والميمون، والذي سَيُحدِث الله به أكبر عملية تغيير في الواقع العالمي، لم تَطُل الفترة ما بعد حادثة أصحاب الفيل الذين أبادهم الله ﷻ كما قصَّ

قصتهم في القرآن الكريم، عندما قال جلّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[سورة الفيل]، البعض يقدر المدة الزمنية بليلة، البعض بليلتين، البعض بأربعين يومًا، المسألة ليست مهمة **جدًّا** معرفة متى بالضبط، يعني: من الواضح أنه في بداية ذلك العام لم تكن الفترة الزمنية قد طالت إلى حين ولادة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

النبي الأكرم.. المولد والنشأة

رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، من نسل نبي الله إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ونبيه، ولد في مكة بشعب بني هاشم، ولدته أمه (آمنة) الشريفة، وآمنة هذه كانت سيدة نساء قريش، **ولها منزلتها الكبيرة فيما عُرِفت به من:** طهارة، وعفة، وصلاح، وكذلك أسرتها (بنو زهرة) حيٌّ من أفضل أحياء العرب، خيرة أحياء قريش، فآمنة بنت وهب ولدته كما في كثيرٍ من الروايات والأخبار، وكما هو شبه مُجمَعٍ عليه عند أكثر المؤرخين وأصحاب السِيَّر، في شهر ربيعٍ الأول، الأكثر على أن ولادته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في الثاني عشر من شهر ربيع، وهذا القول يقول به أكثر المؤرخين وأصحاب السيّر من معظم المذاهب الإسلامية، والبعض منهم ذهبوا إلى أنه وُلِدَّ يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيعٍ الأول، كذلك الخلاف حول هذه المسألة ليس مهماً.

نحن جرت عادتنا وتوجهنا في بلدنا هذا (اليمن) على مدى التاريخ، على مدى الزمن الماضي بكله، على الاحتفاء بذكرى المولد النبوي في يوم الثاني عشر، باعتباره التاريخ المعتمد لدينا ولدى علمائنا ولدى مؤرخينا وأصحاب

السِيَّر لدينا، والعناية بهذه الذكرى في الماضي كانت تشهد نشاطًا خيريًا يكون فيه اهتمام بالإحسان إلى الناس، وصلة الأرحام... وما إلى ذلك، وهذه عادة حسنة **يجب** الاستمرار عليها، إضافة إلى الحديث عن المولد، والتذكير بالرسول ﷺ، والإكثار من الصلاة عليه، والعناية- أيضًا- بالحديث عن سيرته، العناية- أيضًا- بالإشادة بذكره والتعظيم لأمره، كل هذا له أهمية وقيمة عظيمة في الإسلام، وأهمية كبيرة بالنسبة للإنسان المسلم فيما تعززه من علاقة وروابط قوية بنبي الإسلام، يمكن- أيضًا- أن نشير إلى هذا- إن شاء الله.

الرسول ﷺ عندما وُلد نشأ يتيمًا، يتيم الأب، أولًا، توفي والده، البعض يقولون أثناء الحمل به، والبعض يقولون بعد ولادته بشهرين، ولكن الكل مجمع على أنه نشأ يتيم الأب، وبعد ولادته بُشّر به جدُّه عبد المطلب، وعبد المطلب كان له شأن كبير، كان له تأثير على مستوى المنطقة العربية بكلها، ويُعظَّم ويُحترم، وكذلك في مكة هو سيد قريش، وكان على حنيفية إبراهيم- كما يُؤثر ويروى- موحِّدًا لله ﷻ، وكان له العناية بحفر بئر زمزم بعد أن كانت قد طُمَّت منذ فترة تاريخيه طويلة، واستخراج مائها من جديد، وعناية كبيرة بشؤون الحج ومكة، وما إلى ذلك.

عبد المطلب عندما بُشِّر بهذا المولود الجديد كان على انتظار لهذا الموعد، وكان- كما يبدو من كثيرٍ من الأخبار والآثار- مؤمَّلًا ومستبشرًا في هذا المولود، باعتبار أن هناك مؤشرات، والبعض كانوا تحدثوا إليه، وكانوا يرون فيه علامات تدل على أن من نسله من سيكون له شأنٌ عظيم بأن يجعله الله ﷻ خاتم الأنبياء، فربما كان توقعه إلى هذا المستوى؛ **أن يكون** هذا المولود هو النبي الموعود، أو بالحد الأدنى أن لهذا المولود شأنًا عظيمًا وكبيرًا **جدًّا؛ لاعتبارات** وعلامات وإرهاصات، وسنة الله **جلّ شأنه** مع أنبيائه أن يحيطهم في ما قبل

ولادتهم وأثناء ولادتهم وأثناء نشأتهم بوضع خاص وعناية خاصة تهيئ لهم دورهم المستقبلي العظيم والكبير، عندما -مثلًا- نقرأ في القرآن الكريم عن ولادة عيسى عليه السلام، ولادة موسى عليه السلام، نشأة إبراهيم... إلى غير ذلك. الكل أحيط بعناية خاصة، موسى عليه السلام أحيط بعناية خاصة، وأوحى الله إلى والدته في ترتيبات لضمان حمايته من القتل، إلى غير ذلك، وأُعْلِمَت وأخبرت أمه من الله سبحانه وتعالى بأن مولودها هذا رسولٌ ونبيٌ عظيم ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: من الآية٧]، أخبرت أمه بذلك، أخبرها الله، أوحى إليها، الملائكة أيضًا في قصة عيسى عليه السلام تخاطبت مع والدته مريم الصديقة -عليها السلام-، كلَّمتها الملائكة وحدَّثتها وبشرتها بأن الله سيجعل لك هذا الولد معجزةً: بولادته من غير أب، وسيكون له شأنٌ عظيم، وهو رسول من الله ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عمران]، ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝٤٦﴾ [آل عمران]، ابنك هذا هو كذا وكذا وله شأنٌ عظيم، فبالتأكيد يحاطون بعلامات، وأحيانًا بأكثر من مسألة العلامات، كما في قصة موسى وعيسى بوحي مباشر وخطاب صريح وواضح، كما تحدثت الملائكة مع مريم، وكما أوحى الله سبحانه وتعالى وحيًا مؤكدًا وحقيقيًا إلى أم موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: من الآية٧].

فهذه العلامات التي أحيطت بها قبل ولادة النبي وحين ولادته، قالوا أنه لوحظ عدة إرهاصات، تسمى- بحسب التعبير في السِيَّر- إرهاصات: **يعني** علامات ممهدة ومُهيِّئةٌ للذهنية العامة أن هذا المولود القادم له شأنٌ خاص، له دورٌ مهم، له شأنٌ عظيم، له دورٌ كبير، تهيأ حتى في الذهنية، وهذه حكمة من الله ورحمة من الله، والله هو أحكم الحاكمين، [ما بن تجي المسألة؛ **ارجع** يجي بشخص فجأة، يأتي هذا الشخص، ليس هناك أي

مقدمات ولا تمهيد ولا اعتبار ولا أي شيء، قال رسول دفعة وحدة، رسول من الله]. إلا، تَميُّز، اعتبارات كثيرة تساعد الناس على التقبل، وتقيم الحجة عليهم في نفس الوقت، عبد المطلب ذهب مستبشرًا وفرحًا، وأخذ هذا الطفل المولود وذهب به إلى الكعبة تبركًا وتيمنًا وتقربًا إلى الله ﷻ بالدعاء هناك، وحَمِدَ الله بأن هذه نعمة كبيرة عليه أن يرزقه الله بحفيد سيكون خاتم الأنبياء، وسيكون سيد الرسل، وسيكون أعظم وأكمل وأرقى إنسانٍ وجد في البشرية منذ آدم إلى نهاية البشرية، شرف كبير، حَمِدَ الله، واستعاذ بالله على هذا المولود من كل الحاقدين والحاسدين في أبيات شعرية تذكر في السيّر.

الرعاية الإلهية تواكب النشأة المباركة

عني به جده عبد المطلب عناية كبيرة من حيث التربية والاهتمام والتفقد والرعاية، وهذه- أيضًا- نعمة من الله، من الأشياء المهمة أنه ينبغي أن لا يغيب في الذهنية ولا عن الحديث ربط كل هذه الرعاية التي أحيط بها رسول الله ﷺ بالله ﷻ أنها رعايةٌ من الله، وأنها رحمة من الله، وأنها- كذلك- نعمة من الله ﷻ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ [الضحى:الآية٦] الله هو الذي آواه، الله هو الذي هيأ له جَدًا بمثل شخصية عبد المطلب فيما كان عليه من رشد، ونضج، وفكر، وسمو، وشرف، ومنزلة رفيعة، واهتمام كبير، يقدِّر هذا الطفل، يقدر هذا المولود، يدرك عظمة وأهمية هذا المولود، وفعلًا التاريخ يحكي كيف كان يتعامل عبد المطلب مع هذا الطفل في طفولته المبكرة؛ **لأن** رسول الله ﷺ حينما بلغ عمره ست سنين- أيضًا- توفيت والدته، فأصبح يتيمًا من جهة الأبوين (الأب والأم)، لكن بقي يحظى بهذه العناية الكبيرة **جدًّا** من جده عبدالمطلب، وقامت- أيضًا- بدورٍ كبير في العناية به في مرحلة طفولته المبكرة فاطمة بنت أسد

(زوجة أبي طالب)، **قال عنها** ﷺ: (إنها كأمي، أو إنها أمي) كان يعتبرها كأمه؛ **فيما** أولته من عناية ورعاية واهتمام في طفولته، فالله يهيئ لأنبيائه ورسله رعاية خاصة وعناية كبيرة تساعد على تأهيلهم نفسيًا ومعنويًا، ومن كل الجوانب، للدور الكبير والمسؤولية الكبيرة التي سيتحملونها في المستقبل.

عندما كان رسول الله ﷺ في طفولته، ما بعد الست سنوات، كان يعتني به جده عبد المطلب عناية كبيرة **جدًّا**، وكان يدنيه ويقربه ويكرمه لدرجة ملفتة، كان يأتي رسول الله في طفولته المبكرة إلى جده عبد المطلب وهو بفناء الكعبة، وقد فرش له هناك وكان لا يفرش لغيره، لكن لشأنه ومكانته الكبيرة، فيأتي ليجلس مباشرةً بجواره أو في حضنه، فيذهب أعمامه ليأخذوه، **فيقول: (دعوه، دعوا ابني فو الله إن له لشأنًا)** يتوسم فيه أن له شأناً عظيماً، كذلك رويت أخبار ورؤى كان يراها عبد المطلب في منامه تبشر بهذا الدور الكبير والعظيم لهذا الطفل الناشئ.

وفاة عبد المطلب وتسليم الدور لأبي طالب

توفي جده عبد المطلب، وكان يسمى بشيبة الحمد، وكان محط ثناء وإعجاب فيما كان عليه من قيم وشأن كبير في مكة، ولرسول الله ﷺ من العمر ثمان سنين، ثمان سنوات كان عمر النبي عندما توفي جده عبد المطلب، وعهد عبد المطلب- بعد حتى تشاوره مع هذا الطفل الصغير- بكفالته إلى أبي طالب، أبو طالب هو عم النبي شقيق والده؛ **لأن** عبد المطلب كان له عشرة أبناء أو أحد عشر ابنًا كما في بعض الأخبار والآثار، كان له هؤلاء الأبناء على أمهاتٍ متعددة، فكان أبو طالب وعبد الله شقيقان من أمٍ واحدة، كلاهما أولاد عبد المطلب من أمٍ واحدة عبد الله وأبو طالب، وكان أبو طالب خير أولاد عبد المطلب، وأرشدهم، وأفضلهم، وأكملهم، وأعلاهم مكانةً وقدراً

ومنزلةً، والمؤهل لخلافة والده في الدور والمكانة في مكة المكرمة وفي قريش، وعنيَ أبو طالب- بكل ما يمتلكه من اهتمام ومن تعلقٍ وجداني كبير- بهذا المولود المبارك، بهذا الطفل الميمون، عنيَ به عنايةً كبيرة، بل إنه هو وزوجته فاطمة بنت أسد أولَيا رسول الله ﷺ من الاهتمام الكبير **جدًّا** ما يفوق بكل حال عنايتهما بأبنائهما، عناية خاصة واهتمامًا كبيرًا، هناك اهتمام كبير سبق ذلك بتوصيات أساسية ومؤكدة من عبد المطلب نفسه إلى أبي طالب، وهناك- أيضًا- إدراك لأهمية المسألة من أبي طالب، وحاله كحال أبيه عبد المطلب في النظرة المتميزة إلى هذا المولود المبارك، إلى هذا الطفل الميمون، وعن دوره المستقبلي العظيم، الذي تشهد له الكثير من الأمارات والدلائل والآيات المهمة **جدًّا** والمؤشرات العظيمة **جدًّا**، فعنيَ عناية كبيرة، وكانت هناك علاقة حميمية ما بينه وبين ابن أخيه محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

رسول الله نشأ في هذا الجو من الرعاية ومن الاهتمام ومن العناية، وهذه ظروفٌ هيأها الله، من الله ﷻ أن يهيئ له هذا الجو، وأن يحفه بأولئك الذين أولوه كل هذه الرعاية والاهتمام والحنو والعاطفة، وعوضوه عن فقدان أبيه وأمه في يتمه، فكانت رعايةً من الله، ورحمةً من الله، ونعمةً من الله، وتهيئةً إلهية من الله ﷻ.

التميز في النمو والرشد والسلوك

نشأ نشأةً مباركة، أنبته الله نباتاً حسناً، ونشأةً متميزة، فكان سريع النمو، وكان- أيضًا- ذا نضجٍ عجيب، كان ينشأ، يكبر ويكبر معه رشده، فهمه، تمييزه، حسن إدراكه، أدبه، وكان ملفتًا فيه هذه النشأة المتميزة من حيث النمو السليم والمبارك، بركة في نموه، يكبر، وينشأ نشأة مميزة، وفي نفس الوقت بنضجٍ كبير وعجيب في الإدراك، في الفهم، في حسن التصرف، ولم يكن حاله

كحال بقية الصبيان في عبثهم، في لهوهم، في نقص الجانب الأخلاقي لديهم -مثلًا- في التعري أو في أي شيء... إلا، كان متميزًا، كان ملحوظًا فيه الحرص على الطهارة، الحرص على صيانة النفس، البعد عن الأشياء التي تنم عن قلة الأدب، وعن ضعف الادراك لدى الصغار والصبيان، كان مختلفًا عن كل الصبيان وعن كل الصغار، نشأة مميزة وتنم عن أدبٍ عالٍ وراقٍ، وأنه محفوف من الله بتنشئة خاصة، ولديه في نفسه قابلية أودعها الله فيه **جلّ شأنه** قابلية عالية، الإمام علي عليه السلام يحكي لنا في نصٍ مهمٍ وعظيم، **قال: (ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملكٍ من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)**، فالله سبحانه وتعالى لم يتركه ليكون صنيعة البيئة الجاهلية التي قد تؤثر سلبًا في الإنسان، أو- كذلك- أن يَكِلَهُ إلى تربية الناس بكل ما فيها من القصور تجاه دور ومستقبل كبير وعظيم، تجاه مسؤولية كبيرة وعظيمة **جدًّا**، تجاه مستوى من المطلوب أن يصل إليه هذا القادم، ليكون هو في الذروة بين كل البشر، يبلغ إلى حيث لم يبلغ إليه بشر ولم يصل إليه بشر من الكمال الإنساني، فالرسول صلى الله عليه وآله حظيَ بهذه الرعاية الإلهية، فنشأ نشأةً مباركة وأنبته الله نباتاً حسنًا، في مرحلة الشباب، في بداية الشباب كذلك كان متميزاً، ولم يتأثر بكل تلك البيئة الجاهلية في مكة وفي غير مكة، فلم يسجد لصنمٍ، قط، ولم يدنس نفسه بأيٍ من دنس الجاهلية.

كان الوضع في الجاهلية فوضى، فوضى شاملة: المفاسد الأخلاقية، العُري، التصرفات الباطلة والسيئة، البغي، التظالم، الانحطاط الأخلاقي... سلبيات كثيرة **جدًّا** كانت قائمة، حالة من الانفلات وغير الالتزام والانضباط لا لشرع، ولا لدين، ولا لملة... فوضى، فوضى قائمة، فكان بعيدًا عن التأثر بذلك الجو العام، وقليلٌ من الناس من يكونون على هذا النحو؛ **لا** يتأثر بجو وبيئة عامة وطاغية في

بلده، في منطقته، بين قومه، لكنه نشأ نشأة مختلفة، ولوحظ فيه أنه لم يكن منسجمًا أبدًا مع ذلك الجو العام، كان كثير الخلوة والاعتزال، وقليل الاندماج والاختلاط بالناس في بيئتهم تلك، في ظروفهم تلك، سيما المناسبات السيئة والتي تشوبها المنكرات، كان يبتعد دائمًا عنها والابتعاد عن الناس بشكلٍ عام في أكثر ما هم فيه، نتيجةً لهذا الجو السلبي المشحون والممتلئ بالسلبيات والمنكرات والفساد، وعرف عنه كثرة التأمل، وعرف عنه النضج والرشد والحكمة والصواب، حتى كانوا ينظرون إليه بأنه الإنسان الحكيم الذي لا نظير له في حكمته وإصابته وإصابة رأيه، عرف -أيضًا- بمصداقيته التي لا نظير لها وأمانته التي لا مثيل لها، فكانوا يسمونه بالصادق الأمين، وكان له في مكة نفسها هذا التميّز الملحوظ، الكل ينظرون إليه بإعجاب وبأنه شخص متميز عن كل الناس، فيقولون جاءكم الصادق الأمين، له مهابة، إذا شاهده الإنسان مُقبِلًا يشاهد عليه الوقار والهيبة، وإذا جالسه الإنسان أحبه لأخلاقه الراقية، وقار من دون تكبر، وهيبة من دون عجب أو غرور أو استعلاء على الناس، أبدًا، فنشأ نشأة طيبة ومباركة، وتنامت فيه كل المؤهلات القيادية، تعززت فيه مكارم الأخلاق، وكان من الواضح فيه ألمه الكبير على الناس على الواقع القائم، عدم رضاه وعدم اندماجه وعدم انسجامه مع ذلك الواقع؛ **لأن** الكثير من الناس يتأقلم، في أي منطقة أو في أي ظرف يعيش ويندمج معه، يندمج مع أي واقع ويتأقلم، لم يتأقلم رسول الله مع ذلك الواقع الجاهلي، ولم ينسجم معه، ولم يَذُبْ أو يتلاشى في أخلاقه وتصرفاته ضمن ذلك الواقع، بقي يعيش حالة الغربة من هذا الجانب؛ **أن** يرى المجتمع البشري من حوله وهو غارقٌ في ظلمات الجاهلية ورجسها ودنسها، وكان يتعبد الله على ملة إبراهيم عليه السلام، وموحداً لله سبحانه وتعالى، وهذا ما كان عليه إلى أن ابتعثه الله بالرسالة.

الزواج الميمون

في مرحلةٍ معينة من حياته، عندما بلغ- حسب الروايات- سن الخامسة والعشرين من عمره الشريف قرر الزواج، وتزوج بالصدّيقة الطاهرة خديجة -رضوان الله عليها، خديجة بنت خويلد كان لها شأن كبير وعظيم عند الله ﷻ، والزواج بها كذلك وراءه الرعاية الإلهية والاختيار الإلهي، وراءه رعاية الله وعنايته بهذا الشاب المبارك، اختار الله له تلك الزوجة لتكون إلى جانبه مؤمنةً به، مصدقةً وسندًا، وليكوِّن معها أول نواةٍ للإسلام وأول أسرةٍ مؤمنة، إلى جانبهم الإمام علي عليه السلام الذي عاش عند رسول الله، وتربى عند رسول الله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.**

تحكي السِيَّر والروايات والأخبار أن رسول الله اشترك مع خديجة- وكانت ذات ثروة ومال- في نشاطٍ تجاريٍ بالشراكة (بالمضاربة)، وأن هذا العمل زاد من معرفتها به، فعرفت عن مكارم أخلاقه وشمائله، إضافةً إلى ما هو معروفٌ به- أصلًا- في مكة المكرمة، فقررت الزواج به، وكان اقترانها به وهي كذلك مثلما كان هو في الخامسة والعشرين، كانت- على حسب روايات مختلفة- ما بين الرابعة والعشرين إلى السابعة والعشرين، ما يقارب هذا العمر، وليس بصحيح ما تذكره بعض الروايات أنها كانت طاعنةً في السن، وأن الفارق ما بين عمرها وعمره كان كبيراً **جدًّا**، وأنها توفيت بعد خمسة عشر عامًا وهي في الستين من العمر، وهو في نضج الشباب وكماله، هذا غير صحيح أبدًا، روايات بعض [المخاضيع]، لهم فيها مآرب مذهبية، لكن سخيفة يعني، بعض المشاكل المذهبية أثرت عليهم لدرجة غير لائقة أبدًا، دخلوا في أشياء ومشاكل حتى القضايا الأسرية لرسول الله ﷺ، يكبِّروا نسوانًا، ويصغِّروا نسوانًا، يردوا بعضهن طفلة، **يقولوا لك:** تزوج بخديجة عجوز وعائشة بنت

طفلة صغيرة **جدًّا**، لا تزال تلعب مع البنات، فتؤخذ من بينهن وتزف إلى بيت رسول الله ﷺ، تفاصيل وأطروحات غير مؤدبة وغير طبيعية، غير طبيعية حتى في الحالة البشرية والمألوف لدى البشر والشيء الفطري لدى البشر.

رسول الله ﷺ ما بعد اقترانه بخديجة وزواجه المبارك منها تأمَّنَ له استقرار في حياته، وهي قدمت نفسها وثروتها وما تملك في خدمة رسول الله ﷺ، وعرفت بفضله، وعرفت بمكانته، وعرفت بقدره وقيمته وأعزته، ولم تتعامل فقط معه كزوج عادي، ترتبط به ارتباطًا عاديًا. إلا، عرفت أن له شأنًا عظيمًا وأهميةً كبيرة ومستقبلًا مهمًا؛ **فكان** لها إسهام كبير، وأمّنت لرسول الله ﷺ فرصة لأن يكون له أوقات للعبادة، وأوقات للخلوة، أوقات للتأمل، وكان كثير التأمل، تأمل في الكون والعالم، ليس ليعرف هل هناك رب وهو الله أم لا، هذا معروف لديه، هذا كان معروف حتى لدى المشركين، كل العرب كانوا يقرون بالله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: من الآية ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف]، ما كانت مسألة (الله) مجهولة لدى العرب، حتى يستغربوا إذا قال أحد: [الله]، **فيقولون:** [من هو الله، ما هذا الكلام.]. إلا، هذا طرح ضعيف **جدًّا** لبعض الكتاب والمؤرخين، ونشاهده في كثير من المسلسلات التاريخية والسيّر التي توثق عن السيرة، جهل كبير يعني، والبعض يقولون هكذا أن رسول الله أمضى تلك الفترة يبحث هل هناك أحد اسمه الله، أو خالق للسماوات والأرض. إلا، هذه مسألة كانت قائمة في الأساس وموجودة وفطرية ومتوارثة بعد الأنبياء، لم يكن هذا الموضوع هو الهدف الرئيسي لخلواته وتأملاته، هذه خلوات وتأملات يزداد فيها ارتقاءً وإيمانًا ومعرفةً بالله ﷻ، وليس بأصل وجوده، هو يعرف هذا، ثم في الواقع من حوله، أكيد كان يفكر كثيراً في

الواقع البشري، والحالة القائمة في أوساط الناس، وأهمية تغيير هذا الواقع وما يتطلبه تغيير هذا الواقع، فلم يكن هذا غائباً عن نفسيته وعن ذهنيته وعن اهتمامه، وهو الممتعض من ذلك الواقع وغير المنسجم معه نهائيًا.

فكان أيضًا يجاور بحراء، (غار أو كهف هناك في أحد الجبال في مكة)، طيلة شهر رمضان المبارك، يجلس بشكل تام طيلة الشهر في ذلك الكهف يجاور لوحده، ينفرد للعبادة، يقوم بخدمته في تلك الفترة الإمام علي عليه السلام وهو في مرحلة الطفولة، ونشأ عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ويستمر على هذا الحال فترة طويلة من الخلوة، من التأمل، من العبادة، من الاهتمام والتعامل والتعاطي في الواقع بحذر، **يعني:** لا هو ذلك المنعزل كليًا عن هذا الواقع، ولا هو الذائب في هذا الواقع والمندمج فيه والمنسجم معه والضائع فيه. لا، يختلط بالناس بقدَر، يبتعد عن كل الظواهر السلبية والمنكرات، عنده اهتمام بواقع الناس، أسهم في بناء الكعبة عندما أعيد بناؤها في ذلك العصر، كان هو الذي تولى حل المشكلة التي طرأت ما بين قبائل قريش على رفع الحجر الأسود، فقدم حلًا حكيمًا حفظ به دمائهم، وكانوا وصلوا إلى درجة الاستعداد للحرب والقتال فيما بينهم، والتنازع على أي قبيلة تتولى هي رفع الحجر الأسود في موضعه في الكعبة، فقدم لهم ذلك الحل الصائب والسديد، عندما طلب قطعة قماش كبيرة ووضع الحجر فيها، وطلب من كل قبيلة أن يأتي زعيمها فيرفع بطرف الثوب، فتشترك كل القبائل برفع الحجر، ثم وضعه بيديه الشريفتين في مكانه.

على العموم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الفترة في هذا الحال من البناء الإلهي والإِعداد الإلهي، محفوفًا بملائكة الله، مؤمناً له كل أسباب الرعاية، مطهرًا ومصونًا من أي مؤثرات في ذلك الواقع القائم الذي قد طغى في كل الأرض، ومن ذلك في واقع مكة، وصل إلى مكة كل شيء: الوثنية، والأصنام، والبغي،

والظلم، والفساد، والمنكرات، والفواحش، ووأد البنات، وقتل الأبناء... كل مصائب وصلت إلى هناك وغير هناك، فعاش مصوناً حتى أذن الله في ابتعاثه بالرسالة.

البعثة المباركة وطريقة تلقي الوحي

في ابتعاثه بالرسالة، الله ﷻ- بلا شك- كان قد هيأه لذلك بكثيرٍ من المقدمات، **يعني:** لم تكن المسألة فجأة بشكل صادم لرسول الله، هكذا دفعة واحدة [بدا عليه جبريل وفاجأه وأخرجه من الكهف رسول]. |لا|، لابد أن هناك مقدمات، هذه مسألة طبيعية، والله هو الحكيم وأحكم الحاكمين في التهيئة لرسول الله، وهذا ما ورد في السير والأخبار بمنامات، بهتافات من الملائكة، بتسليم عليه من الملائكة، بإشارات كثيرة، بأمور كثيرة لا يسع الوقت للحديث عنها والدخول في تفاصيلها، غير أنه من الأهمية أن نشير إلى أنه لا صحة أبدًا لبعض الروايات التي قدمت صورةً فضيعةً وحشية، خاليةً من القداسة عن بدء الوحي على رسول الله ﷺ، من يقولون في روايات نجزم ونقطع بأنها غير صحيحة، بأنه فوجئ رسول الله وهو في الغار بالظهور المباغت والهجوم المفاجئ لجبريل عليه السلام عليه إلى داخل الغار فجأة، ليظهر أمامه ويقول له دفعه واحدة: (إقرأ)، هكذا يعني هجوم مباشر ومفاجئ وبدون مقدمات (إقرأ)، **فيقول:** (ما أنا بقارئ)، **يعني:** أنا لم أتعلم، ما عندي ما أقرؤه، فيهجم عليه هجوماً مباشراً ويغطّه، وفي بعض التعبيرات يخنقه، في بعضها أخذ بخنقه حتى كاد أن يلفظ أنفاسه، ثم تركه، **ويقول:** [له إقرأ]، **فيقول:** [ما أنا بقارئ]، ثم يشن عليه الهجوم مرةً أخرى... هذه رواية عجيبة **جدًّا**، **يعني:** شيء عجيب البعض كيف يستسيغون أن يتحدثوا عن جبريل بهذه الطريقة، أي معلم في واقعنا البشري يتصرف بهذه الطريقة لتعرض لانتقادات كبيرة، **أما في بعض المناطق لتعرض للطرد من المدرسة يعني يقولوا:** [كيف تتعامل مع الطلاب

على هذا النحو]، فغطّه مرةً ثانية حتى يئس من نفسه- في بعض التعبيرات- **يعني:** ظن أنه سيموت من ذلك الهجوم الشديد والعنيف **جدًّا** الذي خنقه فيه حتى كاد أن يموت، ثم تركه ليستعيد نفسه بعد أن كاد أن يموت، **يعني:** حالة رهيبة وفظيعة، ثم يقول له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

هذه الرواية وهذه الطريقة لبدء الوحي ليست صحيحة أبدًا، وفيها إساءة، واستفاد أولئك المشككون والمرتدون والمستشرقون منها ومن أمثالها من الروايات التي تقدم عملية الوحي عملية غريبة **جدًّا،** خالية من كل تلك الأجواء المقدسة التي عرضها لنا القرآن في وحي الله إلى موسى عليه السلام، ولا فيها خنق، ولا فيها (فغطه حتى كاد أن يلفظ أنفاسه)، ولا فيها أي شيء من هذه الإجراءات التي تأتي بغتةً بدون مقدمات.

كيف كانت عملية الوحي إلى موسى عليه السلام؟ أولًا- يرى نارًا هناك تلفت نظره، ليذهب إليها لوحده، يقترب فيرى نارًا غير محرقة، يرى نارًا نورانية تتوقد بالنور في الشجرة، يخاطب بخطابٍ مقدس، يُرحب به، يرشد إلى قداسة هذا المكان ويوجه بخلع نعليه، يتقدم وهو يعرف من يخاطبه والجهة التي تتخاطب معه، ويرى الملائكة حافين بذلك النور، وهكذا، **يعني:** عملية كلها قداسة، كلها اطمئنان، كلها رحمة، وحفّت بالطمأنة له، ألَّا يخاف، أن يطمئن، أن خطابه من الله...إلخ.

بالتأكيد لم تكن عملية التخاطب مع رسول الله بتلك الوحشية، بتلك الطريقة الغريبة والفضة، والتي فيها غط وخنق وما شابه، وكانت بطريقة مختلفة، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن رؤيته لجبريل- كما يبدو من خلال القرآن الكريم- في الغار، هذا أولًا، لقد رآه خارج الغار، ورآه في أفق السماء

قادمًا، **يعني:** ما تجي الفجعة عليه إلى داخل الغار [ما انتَبَه والبَدْيَة عليه]، هكذا فجأة، ففاجأه بظهوره داخل الكهف. إلا، وهو خارج الغار، الله يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ **يعني:** رأى جبريل ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: من الآية٢٣]، **بالأفق:** في جو السماء نازلًا إليه، وفي جوٍ لا لَبس فيه ولا ارتياب ولا شكوك، جو واضح، ورآه رؤية العين ورؤية الفؤاد، وعرف المسألة بوضوح.

كثير من الأخبار والروايات الصحيحة ذكرت كيف أنه رآه وهو نازل بالأفق المبين الواضح، ووصل إليه، وسلم عليه، وعرفه عن نفسه أنه جبريل وأنه نازلٌ بالوحي عليه، وأقرأه السلام من الله، وجلس إلى جانبه في جوٍ ليس فيه غط ولا خنق ولا أي هجوم وحشي، ليست حلبة مصارعة. إلا، جو مقدس، وجو عظيم، وجو راقٍ، فتحدث معه وأقرأه السلام من الله، وأخبره آيات ودلائل حتى يُطَمْئِنَ نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبلغه الابتعاث بالرسالة.

أول ما نزل من القرآن الكريم

طبعًا، نحن أيضًا نذهب إلى أنه ليس أول ما نزل من القرآن سورة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، ونذهب إلى ما روي عن الإمام علي عليه السلام وعن كثيرٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكثيرٍ من مفسري الأمة وعلمائها، إلى أن أول سورةٍ نزلت من القرآن الكريم هي سورة الفاتحة (سورة الحمد) فاتحة الكتاب وأم الكتاب، فهي أول سورة نزلت من القرآن، وحتى مضمونها؛ **هي** أشبه بعناوين عامة تشمل محتوى القرآن، ثم يأتي القرآن الكريم كتفاصيل لهذه العناوين، بل هي أعظم سورة في القرآن حسب المعروف بين الأمة عن رسولها ونبيها صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، أعظم سورة في القرآن، والسورة الجامعة التي محتواها كل ما ورد في القرآن من تفاصيل، ولهذا فُرضت علينا قراءتها في الصلاة، ولا تصح صلاة إلا بقراءتها، على العكس من بقية السور القرآنية،

يمكن أن تقرأ ما تيسر من القرآن؛ **أي** سورة، فأول ما نزل من القرآن الكريم هو سورة الفاتحة، وليس بالضرورة أن تكون عملية نزول القرآن في أول لقاء وفي أول رؤية مع جبريل، وحالة الرسالة هي حكيمة ومتدرجة ومنظمة...الخ. ونزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان، بالنسبة للبعثة البعض يقولون في شهر رجب كانت البعثة، البعض يقولون في شهر رمضان، البعض لهم أقوال أخرى، ولكن من المؤكد يقيناً أن نزول القرآن ابتدأ في شهر رمضان؛ **لأن** الله قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[البقرة: من الآية ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾[القدر]، فنزول القرآن لم يكن في غير شهر رمضان ابتداؤه، أما فيما بعد فكان ينزل في فترات وفي أوقات متعددة بحسب اعتبارات كثيرة، منها اعتبارات عملية، ومنها غيرها، فابتداء نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان المبارك، كما يؤكده القرآن، وهذا أمرٌ لا التباس فيه.

انطلاقة الدعوة الإسلامية

بعد ابتعاث الرسول بالرسالة بدأ نشاطه بالرسالة من محيطه الأقرب، دعوته هي دعوة عامة، وديـنٌ للعالمين، وهو رسولٌ للعالمين، وحركته بالرسالة حركة منظمة تبدأ بمراحل، مرحلة إثر مرحلة، بطريقة حكيمة وبنَّاءة وعظيمة وناجحة، بدأ بمحيطه الأقرب، أول نواة للإسلام، وأول نواة للرسالة الإلهية إيمانًا بها، وتصديقًا بها، **والتزامًا بها:** رسول الله ﷺ، وزوجته خديجة، وعلي بن أبي طالب الذي كان باقياً عنده ويعيش لديه ويتربى عنده، فكان أول بيت إسلامي، وأول نواة للإسلام هي هذه النواة واستمرت هذه النواة لسنوات كما ورد في أخبار كثيرة.

ثم امتدت إلى المحيط العشائري القريب من الرسول، قال الله ﷻ للرسول ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: الآية ٢١٤]، فبدأ بعشيرته الأقربين؛ **لأن**

الإسلام دينٌ لا بد له من أمة تحمله، ولا بد له من نواة تتحرك به، تؤمن به، وتحمله كمشروع لها، **فلوحظ هذا:** تأسيس نواة لهذا لدين منذ الحركة الأولى، منذ بداية المشوار، فكانت عشيرته الأقربين (بنو هاشم وبنو المطلب)، ثم بعد ذلك توسعت هذه الدائرة في بقية مكة، ووصل إلى مرحلة الصَّدْع بالرسالة بين قريش بكلها، ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر] بعد سنوات؛ **البعض** يقدِّرها بثلاثة سنوات، **بدأت هذه المرحلة:** مرحلة تعميم الدعوة في وسط قريش، وبالتالي تصل أرجاؤها إلى كل المنطقة العربية، كان من حكمة الله ﷻ أن تكون أول منطقة تحتضن هذا النشاط الرسالي وحركة الرسول بالرسالة هي مكة، هذا عامل مهم **جدًّا** في وصول صوت الإسلام وصدى الإسلام إلى كل أنحاء الجزيرة العربية وأبعد من الجزيرة العربية، ذلك لأن العرب والوفود كانت تأتي إلى مكة من كل صوب، وبالتالي أي خبر مهم انتشر في مكة ستتناقله تلك الوفود إلى مناطقها، ويصل إلى الناس، وهذا يمهِّد فيما بعد لقابلية الإسلام، آنذاك لا قنوات فضائية، ولا إذاعات، ولا...، وتنتشر الأخبار بطريقة النقل الشفوي والنقل البشري؛ **إنسان** يسمع وينقل إلى بلده ما في وسائل للنشر آنذاك، فكانت مكة خير مكان، وأنسب مكان ومنطقة تبدأ فيها حركة الإسلام ليصل صداه وصوته حتى عندما تأتي الظروف العملية والملائمة لانتشار هذا الإسلام عمليًا يكون قد وصل صداه والمعرفة عنه، والمعرفة بطبيعة هذا المشروع الإلهي، عناوينه، مميزاته، خلاصة دعوته إلى أرجاء العرب كافة، وأبعد من العرب .

الدعوة تصطدم بمجتمع عنيد

خلال هذه الفترة أسلم القليل في مكة، وكانت الدعوة إلى الله؛ وكانت هذه الرسالة بدعوتها للتوحيد خروجًا في نظرهم عن كل ما هو سائدٌ لديهم من عقائد وتقاليد وثقافات هم متمسكون بها، ومصرّون عليها، ومقدِّسون لها، يعني كانت تمثّل بالنسبة لهم صدمة ومشكلة كبيرة **جدًّا**، ثم تشكّل في نظر الملأ والمستكبرين منهم خطراً على نفوذهم القائم على أساس تلك الضلالات والانحرافات والمستفيد منها، هذه مشكلة، هذا لربما من أكبر ما صعَّب الأمور، وعقَّد الأوضاع أنَّ كثيرًا من الزعامات آنذاك بَنَتْ زعامتها ونفوذها وسلطتها وهيمنتها على المجتمع بناءً على ذلك الواقع؛ **تمارس** التسلط، تمارس الظلم، تمارس الطغيان، تمارس النهب، تمارس المكر، سلوكيات كلها تصطدم مع الإسلام، وتدخل في مشكلة مع الإسلام الذي لن يقبل بها أبدًا، واستفادت حتى من الوثنية وما فيها من خرافات، كله جو يساعدهم على تعزيز السلطة ووفرة المال والحصول على الثروة، فكانت هذه البيئة العامة التي رأت في هذه الدعوة وهذه الرسالة أمرًا متناقضًا معها، وهم أناس أشداء، الواقع العربي نفسه كان العرب فيه شديدين **جدًّا**، والمجتمع القُرَشي نفسه مجتمع شديد وعنيد ومتعنت وخصم، [يشتوا مشاكل على طول]، لجوجين، جدليين، معاندين، يعني بيئة مليئة بالجو المناقض لهذه الرسالة، ومشحونة وشديدة، وليست بيئة سهلة، البيئة لم تكن بيئة سهلة أبدًا.

وهذا يلفت نظرنا إلى مسألة مهمة جدًّا، وهي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **أولاً** من الإيمان العظيم بالله، والثقة العجيبة بالله سبحانه وتعالى، فهو لم يستوحش أنه سَيقدُم بهذه الرسالة في هذا العالم ويحمل لواءها، ويتحرك بها في عالمٍ كلُّه من حوله ممتلئ بالظلمات والباطل والكيانات الكثيرة المتكتلة حول هذا

الباطل وحول هذا الضلال، والقوى المتعددة في الساحة التي ترعى وتحمي هذا الضلال والباطل، يعني ذلكم الضلال، وذلكم الباطل المنتشر في أرجاء الأرض والطاغي في الواقع العربي، والمسيطر في الوضع في مكة لم يكن بدون رعاة، ولم يكن بدون حماة، ولم يكن بدون من يحمله، يروِّج له، يحميه. إلا، كيانات، زعامات، قوى لها قدرتها العسكرية، قدرتها المادية، نفوذها بين أوساط المجتمع، قابليتها العالية بين أوساط المجتمع، فمعنى أن يتحرك بهذه الرسالة أنه سيدخل في خصومة ومشاكل لا أول لها ولا آخر، بدءًا من محيطه القريب في مكة من قومه من قريش، الذين سيصطدمون بالرسالة ويكذبون ويتعنتون ويحاربونها بكل ما يستطيعون، امتدادًا إلى بقية الواقع العربي، وامتدادًا إلى غير الواقع العربي (الكيانات والدول الكبيرة القائمة آنذاك أمثال الروم وأمثال فارس، **كذلك الانتماءات المِلَلِيَّة:** النصارى هناك في ملتهم, اليهود هناك في ملتهم، الوثنيون هناك في ملتهم)، الكل يرى في هذه الرسالة تناقضاً معه، واختلافاً معه، وكذلك خطورةً على ما بُنِيَ عليه واقعهم المظلم والظالم والفاسد، فالكل سيحتك، والكل سيدخل في إِشْكَال كبير تجاه هذه الرسالة.

وينطلق موكب الدعوة رغم المعاناة

الرسول كان مستأنساً بالله، ومتوكلاً على الله، وواثقاً بالله، وتحرك غير مكترث بهذا الواقع الكبير من حوله وبطريقة حكيمة وصحيحة، حظي في حركته بحماية كبيرة من عمه أبي طالب، وقبل ذلك هي حماية الله، وكذلك من أسرته بني هاشم، هذا ساعده في الجو المكي في الوضع القرشي هناك، ثم كذلك في مرحلة معينة بدأت حالة الإسلام والإقبال على الإسلام؛ **لا بأس،** ولكن واجهت قريشٌ هذا الإسلام أولًا بالاعتداء على من يُسْلِم، سِيَّما إن كان ضعيفًا ليس له حماية من قبيلته أو من أسرته، أو هو

مـن أسرة ضعيفـة لا تتمتـع بمكانـة اجتماعيـة تسـتطيع أن توفـر لـه الحمايـة، فتعـرَّض الكثـير ممـن أسـلموا للاضطهـاد والظلـم الشـديد **جـدًّا**، **وكان مـن أوائـل مـن تعرضـوا لهـذا الظلـم والاضطهـاد أسرة مـن اليمـن:** يـاسر والـد عـمّار بـن يـاسر، وابنـه عـمّار، **وكذلـك أمُّ عـمّار:** سـمية، هـذه الأسرة تعرضـت للظلـم والاضطهـاد الشـديد، ووصلـت حالـة الاضطهـاد والظلـم إلى استشـهاد والـد عـمّار وأمِّـه، فـكان والـده وكانـت أمُّـه أول الشـهداء في الإسـلام نتيجـةً للتعذيـب.

الحكايـة طويلـة جـدًّا في التاريـخ، الرسـول ﷺ ابتعـث- كَحَـلٍّ عاجـل لهـذه المشـكلة- بعضـا مـن ضعفـاء المسـلمين إلى الحبشـة في هجـرة إلى هنـاك، كان ملـك الحبشـة رجـلًا متزنًـا وعـادلًا واسـتقبلهم وآواهـم بـل وأسـلم، وأرسـل معهـم جعفـر بـن أبي طالـب ليكـون أميـرًا لهم ومسـؤولًا عنهم ومعتنيًـا بالحفاظ عليهـم ورعايتهم.

العهـد المـكي كذلـك اسـتمر فـترة طويلـة صراعـات كبـيرة واجـه فيهـا الرسـول حمـلات دعائيـة كبـيرة **جـدًّا** باتهامـات تَوَجَّـه لـه عـلى أنـه مجنـون، وعـلى أن سـاحر، ومـا معـه مـن المعجـزات منهـا القـرآن- بـل هـو أعظمهـا- إن هـو إلا سـحرٌ يؤثـر...، إلى غـير ذلـك، لم يكـترث كان قويًـا بقـوة هـذه الرسـالة، رسـالة قويـة، مبادؤهـا قويـة، أخلاقهـا قويـة، مضامينهـا قويـة وفعَّالـة **جـدًّا** في أثرهـا في الإنسـان، وفي فاعليتهـا في الحيـاة، وفي أنهـا صلـة مـع اللـه ﷻ يحظـى مـن تمسـك بهـا بمـددٍ مـن اللـه، وعنايـةٍ مـن اللـه، ورعايـةٍ مـن اللـه ﷻ.

العهد المكي استمر ثلاثة عشر عاماً في بعض الأخبار والسِّير.

نهاية مرحلة العهد المكي

انتهى العهد المكي لاعتبارات متعددة:

أولًا: أن أهل مكة والوضع في قريش وصل إلى نهاية الطريق، من هو قابلٌ للإيمان قد آمن، والبعض إما مستضعفون لن يجرؤوا على إظهار إيمانهم، وإما قد حق القول على أكثرهم كما ورد في القرآن ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [يس] ميؤوسٌ من إيمانهم، خلاص، لم يحظوا بهذا الشرف وفي أن يكونوا هم حَمَلَة هذه الرسالة.

ثانيًا: توفي أبو طالب وتوفيت خديجة وأصبحت حياة الرسول بعد وفاة أبي طالب وبعد حنق قريش الكبير واشتداد الخصومة مع الرسول والإسلام؛ **أصبحت** حياة الرسول مهددة بالخطر ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال]، مكروا به؛ **إما** لأن يسجنوه، وإما لأن يقتلوه، وإما لأن يخرجوه.

أيضًا الدور الذي يراد من مكة في حال لم يقبل أهلها بالإسلام: انتشار صدى الإسلام، تحصَّل هذا، انتشار صدى هذا الإسلام، أُقيمت الحجة كاملة على قريش، قال الله للرسول: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات]، ما عليك لوم، أتممت عليهم الحجة، صبرت عليهم بما يكفي وهم الألداء، الأشداء، المعاندون، اللجوجون، المخاصمون، المجادلون الذين لم يتركوا لأنفسهم الفرصة الكافية حتى في أن يتفهموا هذه الدعوة، وكانوا يقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت].

مرحلة ميلاد الأمة المسلمة (العهد المدني)

أتت مرحلة العهد المدني الذي هاجر فيه الرسول إلى المدينة، كان عَرَضَ- منذ السنة العاشرة- نفسه على القبائل، عرض عليها الإسلام، وأن تحظى بشرف الإيواء والنصرة لهذا الدين، وأكثرها رفضت، حتى قابل وفداً من يثرب، هذا الوفد أسلم، وقَبِل، وعاد، وفي المرة الثانية عادوا بعدد كبير، وكانت بيعة العقبة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية. ابتعث الرسول بعد العقبة الأولى مصعب بن عمير -رضوان الله عليه- إلى المدينة، نشط بشكل كبير في المدينة، أصبحت المدينة جاهزة لاستقبال الرسول والرسالة، حظى أهل يثرب (الأوس والخزرج- القبيلتان اليمانيتان) بالشرف أن يكونوا هم الذين اختارهم الله لحمل هذه الرسالة بدلًا من قريش ومكة التي عصت وأبت وتمردت، وترك رسول الله مكة رغم قداستها، وبرغم أهميتها، برغم وجود بيت الله الحرام فيها، وأصبح خادم الحرم الذي يتزعم الوضع في مكة ويزعم أنه الأولى بالله وببيته وبدينه وبكل شيء أصبح أبو جهل وأبو سفيان ومن معهم، وأبو لهب وغيرهم من المشركين، وترك الرسول مكة ببيتها الحرام وبكل ما فيها وذهب إلى المدينة. بنى في المدينة مسجدًا- بيتًا لله- تتحرك منه رسالة الإسلام، **وقام بخطواته بعد أن وصل إلى المدينة:** بناء المسجد، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وبين المؤمنين كمؤمنين، الوثيقة التي نظَّم بها الوضع في تعايش سكّان المدينة، وتعزيز الروابط بينهم ليلتفوا حول الإسلام، والتعايش حول دولة الإسلام التي سيبنيها هناك، بدأت مرحلة جديدة بُنِيَ فيها كيان الإسلام بشكلٍ عظيم، وكانت مرحلة الهجرة هي مرحلة ميلاد الأمة، ولهذا أُختِيرَت للهجرة.

مرحلة الصراع المسلح

بدأت مرحلة الجهاد، بدأت مرحلة الصراع المسلح مع قريش الذين دخلوا في مراحل جديدة بدءًا بسعيهم لحصار الرسول اقتصاديًا، فواجه هذه الخطوة واستهدف قوافلهم، فَعَمدُوا إلى حربه عسكريًا، فتصدى لهم، فكان رسول الله ﷺ نبيًا ورسولًا عظيمًا، هو خاتم الأنبياء والرسل وسيدهم، واجتمع فيه كل ما لدى الرسل السابقين جميعًا، حمل عن كل الرسل والأنبياء كل المواصفات العظيمة في عبوديته لله ﷻ في كل جوانبها الروحية والعملية والأخلاقية والسلوكية والقتالية، كان رجلًا عظيمًا، والصابر، والثابت، والحليم، والذي يعفو عند المقدرة، والصابر أمام الشدائد والمحن، والبطل والشجاع والعظيم، وكان أعظم قائد عسكري عرفه التاريخ.

البيئة العربية كانت بيئة شرسة جدًّا، بيئة محاربة، والعرب كانوا شرسين **جدًّا** في القتال [ومَشْكَلِين مِن شِق وطرف كلهم عسرين **جدًّا**] مقاتلين وخصِمِين، وأبسط الأشياء تسبب حرباً شرسةً **جدًّا** فيما بينهم، والبطولة في القتال من أهم ما يتفاخرون به، وكانوا متمرنين ومتمرسين على القتال ومعتادين عليه, وفي هذه البيئة التي خاصمته، حاربته، صارعته، توجهت وتحركت ضده؛ لم يكن ضعيفًا أبدًا، كان عظيماً بعظمة هذا الإسلام الذي أتى به، بعظمة القرآن والهدى الذي أتى به، فكان هو أول المؤمنين به، وأول المسلمين الذي جاء بالصِّدق وصَدَّقَ به، وجسَّد تطبيق تلك التعليمات، وجسَّد تلك الأخلاق والقيم العظيمة في واقعه.

النبي القائد الأعظم

أدار أكثر من ثمانين واقعة من الغزوات والسرايا في حروبه مع كل تلك الفئات التي تكالبت عليه وحاربته وعادته وتحركت بعدائية شديدة **جدًّا** ضده وضد الإسلام ضد المسلمين في مراحلهم الأولى، أدارها بإدارة عسكرية لا نظير لها، ولم يسبق لها مثيل، ولم يأت بعدها مثيلٌ لها، وعظمة الإنجاز الذي تحقق للرسول ﷺ يفوق كل خيال، وينبهر منه كل متأمل في التاريخ، ولا يجد حالةً مشابهةً له فيما قبله ولا فيما بعده.

ولا يسعنا الحديث، هذا عرض موجز جدًّا لم ندخل فيه إلى التفاصيل أصلًا. الرسول ﷺ صنع إنجازًا عظيمًا ينبهر منه الإنسان، لقد تمكّن من خلال ارتباطه بالله وحركته بتعليمات الله ﷻ من إحداث أكبر تغيير في بيئة معقدة وصعبة **جدًّا**، بيئة فوضوية، بيئة معاندة، بيئة شرسة- هذا الواقع العربي- وبيئة منفلته ما عندها انضباط لا للشرع ولا لِنُظُم ولا لشيءٍ أبدًا، بيئة جاهلة يصعب تفهيمها، فتح الله آذانًا صمًا، وأبصرت به أعينٌ ـ كذلك ـ عميٌ، وفتح الله به أفئدةً غلفًا، **يعني:** أمر صعب أن تُفَهِّم أولئك الناس حقائق كثيرة **جدًّا**، أمة مليئة بالخرافات والأباطيل والموروث الجاهلي الذي أصبح عقائد كبيرة، الأصنام عندهم مقدّسة، الحديث عنها مباشرةً يفتح مشكلة، **يعني:** عندما تتحدث عن الأصنام هذه والآلهة؛ **هذا** يفتح مباشرة معهم مشكلة كبيرة، يعني واقع ساخن وصعب ومعقّد ويصعب تفهيمه بحقائق كثيرة **جدًّا**، الحقائق التي امتلأت بها آيات القرآن عن الكون والحياة ومعرفة الله والمبدأ والمعاد ووو... وصولًا إلى التغيير للعادات والتقاليد ونظام الحياة، وفرض التزامات ونُظُم إسلامية تُضبط بها الحياة، لأمة فوضوية ليست متعودة على ذلك نهائيًا، ستزاح من حياتها عقائد كانت مقدسة

لديها وكانت راسخة، وعادات وتقاليد كانت معتادة وموروثة ومتمسَّك بها **جدًّا**، والمساس بها يفتح حروبًا وصراعات ومشاكل وعداء شديدًا، وتواجه فيها زعامات وتكتلات قبلية، وتواجه أيضًا فيما وراءها كيانات دولية.

وبأقل التكاليف.. نجاح الدعوة الإسلامية!

فكان الواقع واقعًا كبيرًا وعجيبًا، صنع إنجازًا عظيمًا، تغيّر الواقع العربي خلال فترة عشرين عامًا، غيَّر فيه واقع الجزيرة العربية، تلك العقائد انتهت، تبدَّلت بنور الإسلام، تلك العادات والتقاليد انتهت، المجتمع هذا الذي كان مجتمعًا فوضويًا توحَّد تحت راية الإسلام، وأصبح منضبطاً لتعاليم الله ﷻ، وخاضعاً للإسلام، ولحكم الإسلام، ولأمر الإسلام وأمر رسول الله ﷺ، حسم صراعاته العسكرية بأكثر من ثمانين ما بين سرية وغزوة، منها غزوات كبيرة ومواقف كبيرة، بدؤها بدر وختامها حنين بالنسبة في الواقع العربي، مع اليهود كذلك مع بني النظير، مع بني قينقاع، مع بني قريظة، مع خيبر، مع يهود فدك، مع يهود تيماء، مع يهود وادي القرى، مع ....إلخ.

أيضًا بدأت حالة الصراع مع الروم (مع النصارى) كانت واقعة مؤتة، ثم ما بعدها غزوة تبوك، لا يسعنا الدخول في التفاصيل، صارع كل القوى التي تكالبت واستنفرت كل إمكاناتها الإعلامية والعسكرية وكل أنشطتها وقدراتها المادية والبشرية في مواجهة هذا الإسلام، لكن نجح رسول الله ﷺ في مهمته الرسالية أعظم نجاح بأقل التكاليف، **يعني لاحظوا مثلاً:** لو رسول الله ﷺ عندما قال له جبريل مثلاً: [مهمتك عالمية، أنت رسول للعالمين، قدّم هذا الدين إلى كل البشر، أوصل رسالة الله إلى العباد، أقم للإسلام كياناً...إلخ.]، يقول: [بس هذا مشروع كبير، ويحتاج ميزانية ضخمة، ويحتاج إمكانات هائلة، ويحتاج أعداداً كبيرة من البشر....] لا، ما عنده ولا شرط ولا

قيد، بدأ يتحرك بمفرده، ثم بالقلة القليلة من المؤمنين معه، ثم اتسعت هذه الدائرة شيئاً فشيئاً بإمكانات بسيطة ومتواضعة، لم يحتج إلى دعم أجنبي من قوى ومكونات ليست ضمن الكيان الإسلامي، أطراف أخرى غير مسلمة، **مثلًا:** يستمد من الفرس، أو من الروم، أو من بعض الوثنيين العرب، أو يستفيد من صراعات هنا أو هناك ليعتمد عليها وهي من خارج دائرة الإسلام. أبدًا، يعتمد على التمويل الإسلامي، في مَن قد أسلم، مِن إمكاناتهم المتواضعة **جدًّا، لم يحتج مثلًا:** يقول لله **جلّ شأنه** [أنا أشتي منك خمسة جبال تحولها لي ذهب تكون ميزانية لي حتى أني اشتغل وأستطيع أعمل]. [لا]، تحرك بالمتاح، بالممكن، وعلّم المسلمين وربّاهم على هذا الأساس أن يتحركوا بأنفسهم وأموالهم وقدراتهم وطاقاتهم، وأن يثقوا بالله ﷻ أنه سيبارك فيهم، وفي قدرتهم، وفي طاقتهم، وسينميهم وينمي ما معهم، ويزيدهم خيراً، ويبارك لهم، ويحثهم بالإعداد لما استطاعوا من قوة، ويعلِّمهم الحكمة ويزكيهم، يطهر أخلاقهم، طهَّر الساحة العربية من تلك العقائد والخرافات من أرجاس الجاهلية، خلاص، منعت الفواحش، ممنوع نهائيًا، عليها عقاب شرعي، وكذلك طهَّر الساحة العامة، ممنوع السرقة، عليها عقاب، وتحسّن الوضع الاقتصادي للأمة، وانتشر نور الإسلام، وعمَّ الجزيرة العربية لينشأ كيانًا عظيمًا متميزًا، وبأقل كلفة من الخسائر البشرية، هذا عجيب، هذا معجزة.

الرسول صلوات الله عليه وعلى آله **مع تلك الحروب،** مع الصراع المرير والشديد **جدًّا** مع الذين حاربوه من العرب، ومن اليهود، ومن النصارى، يحصي ويحصر بعض المؤرخين أن عدد القتلى في مجموع كل تلك الحروب إلى حين انتهت، إلى حين وفاة رسول الله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله** لم يكن من أصحابه من المسلمين ومن أعدائه من الكافرين بكل فئاتهم لم يكن بأكثر من ألف وأربعمائة

قتيل، هذه قصة عجيبة **جدًّا**، تحديات كبيرة، أعداء شرسون **جدًّا**، وبأقل كلفة من الخسائر البشرية، أقل كلفة من التضحيات والخسائر المادية، وحقق إنجازًا استثنائيًا، وصنع تغييرًا جذريًا، الأشياء التي كانت عادات يعني: ما كان أحد يتخيل يستطيع العربي يترك الخمر، تركوه، يشرب خمر يجلد، خلاص، وأشياء كثيرة، تغيير جوهري وجذري كبير، وتوجيه نحو أهداف سامية ونحو مبادئ عظيمة، مع أنه واجه صعوبات كبيرة حتى في الواقع الداخلي بحركة المنافقين، حركة الذين في قلوبهم مرض، ضعاف الإيمان الذين كانوا يترددون، الإساءات التي كان يعاني منها، قلة الأدب من كثيرٍ- حتى من المسلمين- في التعامل معه، لكنه كان أكبر من كل تلك العوائق والتحديات؛ **لأنه** كبر بهذا الدين الذي أتى به؛ **فكان** أعظم من آمن به وجسَّده وتأثَّر به وتحرك به.

على العموم لا يسع المقام للحديث، وإلا أتمنى أن يسعنا المقام، يبقى كثيرٌ من النقاط لم يسعنا الوقت للحديث عنها، يمكن أن نشير إليها- إن شاء الله- في كلمة الغد، ويمكن- إن شاء الله- في مواسم قادمة إذا أعطانا الله الفرصة، وتهيأت لنا الظروف نتحدث أكثر وأكثر.

تنبيه في الختام

في ختام هذه الكلمة أود أن أنبه على ثلاث أو أربع نقاط:

أولًا: أدعو شعبنا العزيز إلى الحضور الحاشد والفاعل والكبير والعظيم والمميز يوم الغد- إن شاء الله- في الاحتفال المركزي بذكرى مولد الرسول ﷺ في صنعاء، كذلك الإخوة في الحديدة للاجتماع في مناسبتهم هناك- إن شاء الله.

ثانيًا: نأمل- إن شاء الله- أن يكون الحضور كما في كل عام حضورًا حاشدًا ومميزًا وعظيمًا، لنقول لكل المنافقين وعلى رأسهم النظام السعودي، ولكل أعدائنا من الكافرين وعلى رأسهم أمريكا وإسرائيل، أننا شعبٌ لو حاربته كل الدنيا، ولو كان حجم التضحيات بالملايين من الشهداء لما تراجعنا قيد أنمُلَةٍ إلى الوراء في ولائنا لرسول الله، في تمسكنا بهذا الإسلام في مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، في إصرارنا وتصميمنا وعزمنا على التحرر من كل سيطرةٍ لكل طاغوتٍ في هذا العالم من الكافرين أو المنافقين من كل المفسدين في الأرض، هذا إسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، نبينا محمد هو قدوتنا الأول، هو أسوتنا العظيم، الذي نستلهم في ذكراه هذه من عزمه، من إيمانه، **من ثباته في مواجهة كل التحديات من يوم أن قال: (والله لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)**، نحن على هذا المبدأ، قدوتنا هو رسول الله ﷺ هو الذي يوم قال الله له: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: الآية٩]، فلم يدهن حتى وإن كانوا سيدهنون، **لأنه** لا يتراجع عن مبادئه؛ **لأنها** مبادئ إيمانية عظيمة مقدسة، حريتنا بالنسبة لنا مبدأٌ إيمانيٌ، وليس فقط رأيًا سياسيًا، حريتنا مبدأٌ إيمانيٌ؛ **لو** تنازلنا عنه خسرنا إيماننا وخسرنا إسلامنا، فنحن

شعب الإيمان وأحفاد الأنصار، وسنقول لكل العالم أننا سائرون على هذا المبدأ، لا فكاك عنه ولا تراجع عنه، على الآخرين أن يراجعوا مواقفهم، كل الذين يتوهمون أن بإمكانهم أن يستعبدوا شعبنا، ليعلموا أن أحلامهم خيال، وأن وهمهم سراب، وأنهم لن يصلوا إلى نتيجةٍ أبدًا.

ثالثًا: نحن في هذه الذكرى سنستفيد المزيد من العزم والطاقة الإيمانية والثبات في تصدينا لهذا العدوان الظالم الغاشم، وحضورنا سيعبر عن هذا الإيمان، وعن هذا الولاء، وعن هذا التمسك، وأننا نسير كأنصار لله ﷻ ولرسوله في كل عصرٍ وفي كل زمن، هذا اللواء إذا كان حَمَلَه الأجداد يومًا؛ **لن** نتركه في هذا العصر بل سنبقى حاملين له، ولن نسلمه إلا للجيل الآتي من بعدنا، لواء النصرة للإسلام، لواء النصرة لرسول الله ﷺ، لواء الإسلام الحق الذي هو إسلام العزة وإيمان العزة وإيمان التوحيد لله ﷻ والكفر بكل الطواغيت المستكبرة في هذا العالم.

رابعًا: نجدد إدانتنا للنظام السعودي في إدخاله للصهاينة إلى مسجد رسول الله، وتدنيسه لمقام رسول الله، في الوقت الذي هو يعيق أكثر المسلمين من بلدنا ومن غير بلدنا في الذهاب إلى المدينة والذهاب إلى مكة للحج ولزيارة الرسول، يمنع هذا عن المؤمنين ويدخل الصهاينة، في الوقت الذي يصدر فيه مفتوه حرمة قتال الإسرائيليين، يصدرون الفتاوى بوجوب قتال المسلمين اليمنيين، فهم حرموا قتال الصهاينة، وأجازوا العلاقة مع الصهاينة، وأوجبوا حرب اليمني المسلم، هكذا الاتجاه المخالف والاتجاه القلَب والخطأ والغلط.

ندعو شعبنا العزيز إلى العناية بالتكافل الاجتماعي في هذه المناسبة.

أدعوا من جديد إلى الكف عن المناكفات الإعلامية في وضعنا الداخلي، وبحرمة هذه المناسبة أقول لكل الإعلاميين ممن يحترم رسول الله ويحترم الإسلام: كفوا عن المناكفات الإعلامية السلبية التي تعزز الشحناء في الداخل ويستفيد منها ويبتهج المعتدي الظالم، ومن المهم أن يكون التوجه إلى تعزيز الروابط والتعاون في مواجهة هذا العدوان كواجبٍ عظيمٍ ومقدس. نترك بقية الحديث ليوم الغد- إن شاء الله.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما فيه مرضاته، وأن يجعلنا من أنصار رسوله وأنصار دينه ومن المتمسكين بهديه ونهجه، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

رحمة للعالمين

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

الرسالة والرسول.. رحمة للعالمين

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين أرسله الله بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلغ رسالات الله، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، وهدى إلى الصراط المستقيم.

اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وترحم على محمدٍ وعلى آل محمد، كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وتحنن على محمدٍ وعلى آل محمد، كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وسلم على محمدٍ وعلى آل محمد، كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الراشدين وأنصاره الصالحين وأتباعه الصادقين في كل عصرٍ إلى يوم الدين.

أيها الإخوة والأخوات، شعبنا اليمني المسلم العزيز، أمتنا الإسلامية كافة

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

ونتقدم إليكم بأسمى التهاني وأجلِّ التبريكات بحلول هذه الذكرى المجيدة والمناسبة المباركة، ذكرى مولد خاتم أنبياء الله، وسيد رسل الله، وخير عباد الله، وأسمى وأزكى وأرقى وأكمل وأجلِّ إنسانٍ منذ خلق الله البشرية وإلى قيام الساعة، الحجة الشاهد، والبشير النذير، والسراج المنير، والمعلم الهادي، والقدوة الأسوة، والضياء الأسمى، رائد النجاة والفلاح، وقائد البشرية نحو الخير والصلاح، ابتعثه الله رحمةً للعالمين، ومنقذًا ومخلصًا للمستضعفين، سيدنا وولينا وقائدنا وقدوتنا وهادينا وحبيبنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، الذي بقدومه الميمون وبعثته المباركة فتح الله لعباده أبواب الرحمة بكلها، وأنار لهم سبيل الرشد والفلاح والسعادة والكرامة، و أجلى بنوره الظلمات، ودحض الأباطيل والضلالات، ومهَّد للبشرية الطريق نحو خير وعز الدنيا والآخرة، فمن استجاب وأناب أفلح واهتدى ورشد ونجا وكان من الفائزين، ومن تنكّب الطريق واتبع الأهواء وابتعد عن نهج الحق خاب وكان من الخاسرين.

رغم المعاناة.. الشعب يعبر عن هويته الإيمانية

إنَّ شعبنا العزيز، يمن الإيمان وأحفاد الأنصار، باحتفاله بهذه المناسبة يعبر عن هويته الإيمانية وعلاقته الوثيقة برسول الله نبي الرحمة والفلاح، وعن محبته الصادقة وإعزازه وتعظيمه لخاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعن تقديره لنعمة الله تعالى بالرسول والرسالة والهداية، كما كان ابتهاج وفرح أسلافه الأنصار بفضل الله جلّ شأنه عليهم يوم قدوم رسول الله ﷺ مهاجرًا إليهم

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: الآية ٥٨].

اليوم يجتمع شعبنا هذا الاجتماع المهيب الحاشد العظيم من كافة أرجاء البلد، بالرغم من حجم المعاناة، وصعوبة النقل، وشدة الحصار، وما ألحقه العدوان الأمريكي السعودي من أضرارٍ شاملةٍ بالبلد، وبالرغم من الحرب الإعلامية التضليلية غير المسبوقة، إلا أن ذلك بكله لم يثن شعبنا عن هذا الحضور الكبير، والاحتفاء في كل مناطقه الحرة بما يليق بعظمة هذه المناسبة، ليقول للعالم أجمع أن دافعه في تفاعله العظيم مع هذه المناسبة دافعٌ إيمانيٌ، وأنه قد عمَّد هويته الإيمانية بدمائه الزكية وتضحياته العظيمة، وليقول لكل طغاة الأرض ومجرمي العالم بأنه شعبٌ يقدس حريته؛ **لأنها** جزءٌ من إيمانه، ويأبى الخنوع لكل المستكبرين؛ **لأنه** يستلهم صموده وثباته من أعظم قائدٍ عرفه التاريخ، وأقدس معلمٍ وقدوةٍ للبشرية؛ **رسول الله** وخاتم أنبيائه محمد **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**.

شعبنا اليوم يقول لأعدائه المستكبرين: إن إرادتنا لن تنكسر، وإن صبرنا لن ينتهي، وإن ثباتنا لا تراجع فيه؛ **لأن** مصدره هذا الإيمان، فنحن شعبٌ قدوتنا وأسوتنا هو رسول الله ﷺ، ومنهجنا وثقافتنا هو القرآن، ونستمد صبرنا من هذا المعين الذي لا ينضب، واعتمادنا هو على الله تعالى، وهو خير الناصرين.

أيها الإخوة والأخوات، الحاضرون جميعًا، إني أحييكم وأرحب بكم، وأحيي فيكم هذه الروح العالية، وهذا التفاعل الكبير، وهذه الحيوية التي تقدم صورةً عظيمةً عن شعبنا الصامد الحي المعتز بعزة الإيمان، والذي تعجز كل قوى الشر والطاغوت والاستكبار من إماتة حيويته وكسر إرادته وإذلاله وقهره، فهو شعبٌ لن يهون ولن يستكين، ومهما كان حجم

العدوان ومستوى التضحيات فهو ذلك الشعب الصامد والشامخ والحي والحاضر بقوةٍ في كل مقامٍ يستدعي الحضور في الجبهات وفي الساحات وفي المناسبات، كهذه المناسبة المباركة التي يستلهم منها أعظم الدروس، ويستنير منها بنور السراج المنير، ويعبّر عن وفائه وعرفانه وتقديره لخاتم الأنبياء.

الذكرى الكريمة فرصة لتقييم واقع الأمة

شعبنا العزيز، يا أمتنا الإسلامية، إن هذه المناسبة المباركة فرصةٌ مهمة لمراجعة وتقييم واقع أمتنا الإسلامية في مرحلةٍ من أهم وأخطر المراحل التي تعاني فيها من انقساماتٍ حادة، وصراعاتٍ عنيفة، ومشاكل كبيرة، **ليكون منطلقنا جميعاً في هذه المراجعة والتقييم:** إعادة تصويب مسار الأمة؛ **الذي** بقدر ما ينحرف؛ **بقدر** ما تتداعى التبعات الكبيرة لذلك الانحراف في واقع الأمة، ويلحق بها خسائر كبيرة، تدفع الثمن من قيمها وأخلاقها، وتتراجع عن مبادئها، وينعكس ذلك على كل شؤون حياتها، **ويجب أن يكون الأساس لهذا التصويب هو تعزيز الهوية الإسلامية بمفاهيمها الصحيحة:** من نحن، وما هي مبادئنا وقيمنا، وما هو مشروعنا كأمة، وما هي معالم هذا المشروع، ومن هو المعلم والملهم والقدوة والقائد الذي **يجب** أن نستحضره بقوةٍ إلى حاضرنا وواقعنا، والذي هو بلا شك- بموجب هويتنا الإيمانية وانتمائنا الإسلامي- رسول الله محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

إن واقع الأمة اليوم متأثرٌ إما بالانحراف الكبير، أو التقصير الكبير، وكلاهما نتاجهما وأثرهما سلبيٌ على الكثير من أبناء الأمة الذين لم يتحرجوا -أبدًا- أن يتحركوا اليوم- في الوقت الذي هم ينتمون إلى هذا الإسلام- تحت راية الأمريكية والإسرائيلية، راية الطاغوت والاستكبار، راية الظلم والعدوان، راية الفساد والإجرام، وحملوا لواء النفاق والفتنة في داخل الأمة ليقدموا للإسلام

وللعروبة شكلًا نفاقيًا يدجِّن الأمة لأعدائها الحقيقيين الطامعين، وهذا المستوى من الانحراف المفضوح المكشوف الواضح يستقطب إلى جانبه من كل فئات الأمة، كما أن البعض- أيضًا- لم يتحرجوا أن يصمتوا، وأن يقعدوا، وأن يداهنوا، وأن يتنصلوا عن المسؤولية في مرحلةٍ نكبت فيها الأمة، وتعاظمت فيها المحنة، وكبرت فيها المظلمة، وتجلت فيها الحقيقة، وكأننا أمة ننتمي إلى دينٍ مبادؤه وقيمه وأخلاقه ورمزه وقدوته تسمح بالتجنّد في صف الطاغوت، أو تقبل بالظلم، وتتغاضى عن الجريمة والعدوان، وليس الدين الذي يقوم على القسط والعدل والحق، والدين الذي هو مسؤولية، وكل ما فيه يعزز هذه المسؤولية، مبادئه، وقيمه، وأخلاقه، وتعاليمه، كما أنَّه يقدم أعظم وأرقى قدوة في تحمل المسؤولية والنهوض بها والتحرك بها وهو رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله. والمرتكزات الأساسية لهويتنا وانتمائنا؛ **واحدٌ منها ومن أهمها:** هو الإيمان الصادق برسول الله محمد ﷺ، إيمان التصديق والولاء، إيمان المحبة والاهتداء، إيمان الاتباع والاقتداء، إيمان من يستشعرون عظمته، ويعرفون قدره، ويدركون نعمة الله علينا به.

النعمة العظمى برسول الهداية المنقذ

لقد كان العالم بأسره في كل أنحاء المعمورة في واقعٍ مظلم، وكل الكيانات والقوى والزعامات القائمة- آنذاك- متماهيةٌ مع ذلك الواقع، فالشرك والباطل قد عمَّ، والظلام ادلَهَمَّ وأعتم، وباتت البشرية أسيرة الشقاء والضياع، لا هدف في الحياة لها، ولا غاية فلاحٍ تسير إليها ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣]، الواقع العربي والعالمي يرزح- آنذاك- تحت وطأة الجاهلية بظلامها الدامس، ورجسها النجس، ويتجه نحو التفاقم ازديادًا من الشر، وانتقاصًا من الخير، وتلاشيًا للأخلاق، دون التفاتةٍ جادة لخطورة ما

هم فيه، وسوء ما هم عليه، وكانت الأجيال ستواصل توغلها في تلك المتاهة الظلماء بدون منقذ رباني يأتيها بالنور، ويأخذ بيدها نحو الصراط المستقيم، وصدق الله القائل في كتابه الكريم: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾[البينة]، فلولا هذا الرسول الذي أنعم الله به، أتى من الله بذلك الهدى القيم من الصحف المطهرة (كتاب الله الكريم)، لكانت الجاهلية استمرت وتعاظمت؛ سوءًا وجهلًا وباطلًا وظلامًا وفسادًا وإجرامًا ومنكرًا وطغيانًا إلى حدٍ يفوق الخيال ولا يخطر ببال، ولَكُنَّا فقدنا كل أثر لإنسانيتنا وبشريتنا، وهبطنا دون مستوى الحيوانات، لكانت الأصنام الحجرية والخشبية والبشرية في هذا الزمن هي وجهة عبادتنا، ولكانت الأوثان مؤلهةً بيننا، ولكانت أرجاس الجاهلية ومفاسدها وفحشها وخبثها وفوضَوِيَّتها السلوكية هي المسيطرة علينا.

إننا يا أمتنا الإسلامية حينما نشاهد المستوى البائس والمؤلم اليوم لأمتنا، وهذا بعد أن كان الله استنقذنا بنبيه وهديه، بما كان قد غير الواقع الجاهلي أولًا، نتصور كيف لو لم يكن هذا النبي وهذا الدين وذلك التغيير العظيم قد أتى في واقع الأمة؟ وكيف لو امتدت بها جاهليتها الأولى دون انقطاع؟ لكانت في وضعٍ خرجت فيه عن طور الإنسانية تمامًا، ولكُنا قطيعًا من الحيوان المتوحش الضائع في غاباتٍ قاحلة، فما أعظم نعمة الله علينا، ولطفه بنا حين استنقذنا من مصيرٍ نهايته الحتمية جهنم، وهيَّأَ لنا سبيل الخير والنجاة الذي يوصلنا- إن سرنا عليه والتزمنا به- جنته ورضوانه في الآخرة، ويسمو به ونسعد به في الحياة الدنيا.

الرسالة والرسول.. الرحمة المهداة

إن العنوان العظيم للرسالة والرسول هو: الرحمة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، وهذه الرحمة ينعم بها الإنسان إذا هو قبلها وتفاعل معها واستجاب لها، فالقرآن الكريم بهديه العظيم وتعليماته النافعة رحمةٌ للإنسان، ورحمةٌ للمجتمع الذي يهتدي به، فيما يصنعه من أثرٍ عظيمٍ في نفس الإنسان سموًا وزكاءً وطهرًا، يخلِّص النفس البشرية من الأثر السيئ للضلال الذي يشقيها ويعقدها، ويحولها إلى نفسٍ شريرةٍ، حقودةٍ، مشحونةٍ، دنيئةٍ، خسيسةٍ، منحطة، تحمل نزعة الشر والإجرام، وتفقد الشعور الإنساني الفطري؛ **الرحيم** والمحب للخير، والتواق لمكارم الأخلاق، والعطوفة بالرحمة، وحينها يتحول الإنسان إلى مجرمٍ في سلوكه، وظالمٍ في معاملته، ومنحطٍ في نفسيته، ودنيءٍ يفرِّط في شرف نفسه ويوقعها في الفاحشة والمنكر، وإن القرآن الكريم- الوثيقة الإلهية المتضمنة للرسالة- الذي أتى به، وتحرك به، وهدى واهتدى به خاتم الأنبياء رسول الله محمد ﷺ، أرسى للمجتمع البشري في علاقاته ومعاملاته وروابطه دعائم الرحمة والتراحم، فأمْرُه بالعدل ونهيه عن الظلم رحمة، وأمره بالإحسان ونهيه عن الإساءة رحمة، وأمره بالخير ونهيه عن الشر رحمة، ونظامه التشريعي بكل حلاله وحرامه- وهو أحل الطيبات وحرم الخبائث والمضار والمفاسد- رحمة، وتوجيهه للمجتمع الإسلامي إلى التكافل فيما بينه، وأن يعطف الغني على الفقير، والكبير على الصغير، والقوي على الضعيف بالحنان والخير رحمة، وأمره بالتعاون على البر والتقوى، ونهيه عن التعاون على الإثم والعدوان رحمة، وأمره باحترام كرامة الإنسان وعصمة دمه وعرضه وماله إلا بحقٍ رحمة، وتوجيهه المجتمع المسلم إلى ما يبنيه مجتمعًا قويًا، عزيزًا، حرًا، مقتدرًا على الدفاع عن نفسه، ومواجهة قوى الشر، وحماية دينه وعرضه وأرضه رحمة، وهدايته للإنسان إلى الله لينعم بإحساسه

في وجدانه بالقرب من الله، ويشعر ويأنس بالله، ويستمد منه هدايته وعونهُ وفضلهُ العظيم والواسع، ويشعر بصلة عبوديته لله بالله رحمة، وأي رحمة! وتقديمه البصيرة الكافية والوعي العالي عن الحياة والناس والأحداث والسنن بما يقي الإنسان من مهاوي الردى والضلال رحمة، وكل تعليماته وهديه رحمة، ودلالتهُ على الصراط المستقيم الذي منتهاه وغايته رضوان الله ومستقر رحمته؛ **الجنة** التي عرضها السماوات والأرض بمرافقة الأنبياء والصالحين رحمة، ونجاتهُ من جهنم والعذاب في الدنيا والآخرة رحمة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥].

هَلُمَّ إلى نبي الإسلام في رسالته وهديه

إن الكفيل بحصول المجتمع الإسلامي على هذه الرحمة في الدنيا والآخرة مجتمعًا وفردًا هو بالتفاعل والتجاوب مع هذه الرحمة، متمثلةً في نبي الإسلام، رسول الله محمد ﷺ بمنهجه ورسالته التي تضمَّنها القرآن، وحركته بالرسالة التي قدم فيها الأسوة والقدوة والمعلم والمزكِّي، المربي الهادي، لتستعيد الأمة تجربة مجدها الأول الذي استنقذها به نبي الله من جحيم الجاهلية الأولى، يوم كانت قد فقدت الرحمة لدرجة وَأْدِ البنات وقتل الأبناء لأتفه الأسباب، ويوم استباح الإنسان كل شيء في أخيه الإنسان، وفقد جوهر إنسانيته.

واليوم لابد- في الاستنقاذ من الجاهلية الأخرى الأكثر شرًا من الجاهلية الأولى- من إعادة الوصل والعلاقة والرابطة الإيمانية برحمة الله المهداة لعباده، خاتم أنبيائه محمد ﷺ، وأول ما تحتاج إليه الأمة في ذلك؛ معرفة هذه العلاقة، وما ينبغي أن تقوم عليه من التعظيم والتوقير والاتباع، فالله ﷻ قد دمج في القرآن الكريم علاقتنا به بعلاقتنا برسوله، لنعرف أنها علاقة إيمانية، فجعل طاعته من طاعته، قال جلّ شأنه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ

فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: من الآية٨٠]، وجعل الإيمان به والتعظيم والتقديس كذلك، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح: الآية٩]، فدمج بين التسبيح له سبحانه وبين النصرة والتعظيم لرسوله محمد، والإيمان به وبرسوله، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: الآية ٢١].

فَهَلُمَّ يا أمة الإسلام إلى نبي الإسلام في رسالته، في حركته، في جهاده، في صبره، في هدي قرآنه، هَلُمَّ لتزكية النفوس، فالله كلفه بتزكيتنا، هَلُمَّ إلى مكارم الأخلاق، فهو بعث ليتمم مكارم الأخلاق، هَلُمَّ إلى الرحمة والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالمرحمة، هَلُمَّ إلى الثبات في مواجهة التحديات، وهَلُمَّ يا يمن الإيمان ويا أحفاد الأنصار لتنمية القيم الإيمانية، وترسيخ المبادئ الإيمانية، وتعزيز الروابط الإيمانية، وتتميم مكارم الأخلاق، وتقديم النموذج من جديد كما النموذج الأول من أجدادنا الأنصار، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: من الآية٩]، تقديم النموذج الذي قدمه الأجداد، فقال عنهم رسول الله ﷺ: ((**إِنَّكُم مَا عَلِمْتُم، تَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ**))، رجال مواقف، رجال صمود، رجال شجاعة وأهل مبادئ، ((**تَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ**))، نفوس زكية وعفيفة، ليست أسيرةً للطمع والذل، تقديم النموذج المؤمن، العزيز بعزة الإيمان، والحكيم بحكمة القرآن، تقديم النموذج المحب لله ولرسول الله ولمسؤوليته المقدسة فوق كل محبوب ومرغوب لتحقيق مصداقية الإيمان، حينما قال رسول الله ﷺ: ((**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ**

أَجْمَعِين))، وتعزيز ارتباط الولاء الصادق الراسخ لرسول الله الذي ولايته علينا كمؤمنين فوق ولايتنا على أنفسنا، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: من الآية٦]، لتقديم النموذج الأول الذي حمل راية الإسلام، راية الحق، راية الحرية والعدل والكرامة، ناصرًا، ومضحيًا، ومعطيًا، ومجاهدًا؛ **حتى** قامت للإسلام دولته، وللأمة كيانها الكبير، وللإسلام الحق سيادته، وللعدل حكمه.

شعب الإيمان في مواجهة قرن الشيطان!

وإن شعبنا الذي دعا له الرسول بالبركة لجدير بهذا الشرف، أهلٌ لهذا الفضل، وهو اليوم يواجه قرن الشيطان، ومنبع الزلازل والفتن، المعتدي، الباغي، الأثيم، الذي تحرك تحت الراية والمظلة الأمريكية، غير محترم للإسلام ولا لحرمة المسلمين، وغير غريب على النظام السعودي- بولائه لأمريكا وبعقيدته الوهابية- هذا الانحراف الذي وصل به إلى درجة إدخال الصهاينة إلى مسجد رسول الله ﷺ وتدنيس مقامه العظيم بدخولهم إليه، وإلى تدمير قبر والدة رسول الله (الشريفة المصونة آمنة) بالديناميت، وإلى تحويل منزل أسرته الذي ولد فيه بمكة وكان مَعلماً وأثراً تزوره الأمة طول تاريخها إلى حمّام، والله المستعان!، وإلى اعتبار التعظيم لرسول الله ﷺ شركًا؛ **العقاب** عليه بالقتل، وإنما تعظيم ملوكهم وأمرائهم وتعظيم ترامب- يوم أتى إليه- جائز، ليس بدعة، وليس شركًا بالنسبة لهم.

غير غريبٍ على هؤلاء سلوكهم الوحشي الفاقد للرحمة بقدر بُعْدِهم عن رحمة الله المهداة للعالمين؛ **رسول الله** -صلى الله عليه وآله- في منهجه وأخلاقه، وعطفه وحنانه، فكانوا في عدوانهم على بلدنا الذين استباحوا كل شيء، فقتلوا الآلاف المؤلفة من الأطفال والنساء، ويسعون إلى تجويع شعبنا، ونشروا الأوبئة، وأهلكوا الحرث والنسل، ولم يدعوا

حرمة من حرمات الله إلا انتهكوها، ولا ظلمًا وإجرامًا إلا وفعلوه.

وشعبنا بإيمانه بالله ورسوله وكتابه صامدٌ ثابتٌ صابر، ومعني بالمزيد من الصبر والثبات، وقد قطع شوطًا كبيرًا في تصديه للعدوان، وكبَّد المعتدين خسائر كبيرة، وحطَّم الله بصبر هذا الشعب المظلوم وتضحياته العظيمة كبرياءهم وغرورهم، **وإن عاقبة الصبر: النصر، والثبات على الحق: الفرج، والعاقبة للمتقين.**

في الختام.. نقاط مهمة

وفي ختام كلمتنا في هذا اليوم المبارك، والمناسبة المجيدة المباركة نؤكد على التالي:

أولًا: تمسك شعبنا بهويته الإسلامية وحريته وكرامته واستقلاله، ورفضه القاطع لكل محاولات الانسلاخ به إلى حضن العمالة والنفاق، ومحاولات إرغامه على التفريط بسيادته واستقلاله، والارتهان لأمريكا وإسرائيل مع قوى العمالة والخيانة، وعلى رأسها النظام السعودي والنظام الإماراتي.

ثانيًا: تمسك شعبنا بقضايا أمته، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، والمقدسات في فلسطين، وعلى رأسها الأقصى الشريف، وتضامنه الدائم مع الشعب الفلسطيني الذي يتعرض اليوم لمؤامرة كبيرة لتصفية قضيته بشكلٍ مكشوفٍ ومفضوح، يتولى كِبْرَ هذه المؤامرة الشيطانية النظام السعودي، وبعض الأنظمة العربية في خدمةٍ مجانيةٍ لإسرائيل، ونؤكد من جديد وقوفنا الصادق مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية في التصدي لأي عدوانٍ إسرائيليٍ جديد.

ثالثًا: نبارك لشعبنا العزيز بمناسبة يوم الجلاء الـ(٣٠ من نوفمبر)، ونعتبره مناسبةً مهمةً للاستنهاض للشعب للتصدي للغزاة الجدد وطرد المحتلين، كما نؤكد على الأهمية القصوى لأن يحظى أحرار الجنوب- وهم كُثُر- بالمساندة والدعم من الدولة ومن المكونات السياسية ومن أبناء الشعب في المناطق الحرة، وإذا توفر لهم هذا الدعم، وحظوا بهذه المساندة؛ فهم باعتمادهم على الله منتصرون ومقتدرون على تحرير كل شبر في الجنوب، وهكذا أيضًا الأحرار في المناطق الشرقية، الشجعان الأوفياء، الذين إن قدمت لهم المساندة اللازمة لن يتوانوا من تحرير الجهة الشرقية.

رابعًا: أنصح قوى العدوان، وعلى رأسها النظام السعودي، بالتوقف عن هذا العدوان الظالم، وإدراك مخاطرة استمرارهم في العواقب الوخيمة عليهم، بعد أن تجلى ذلك إلى اليوم في وضعهم السياسي والاقتصادي والأمني، كما نؤكد لكل الأحرار في الجزيرة العربية أننا إلى جانبهم، وأن أيدينا ممدودة لمساندتهم ضد ذلك النظام الظالم الطائش، الذي يتزايد شره، وتتفاقم المشاكل والأزمات والفتن التي يصنعها يومًا بعد يوم.

خامسًا: نحذر قوى العدوان من الاستمرار في إغلاق المنافذ، ومن ضمنها ميناء الحديدة، ونؤكد على حقنا في الإقدام على خطواتٍ حساسة إذا استمروا في ذلك، ونحن نعرف مكامن الوجع الشديد التي يمكن أن نستهدفها إذا استمر إغلاق المنافذ.

سادسًا: نؤكد على ضرورة الاهتمام بالحفاظ على وحدة الصف في مواجهة العدوان، وأن تكون الأولوية للجميع هي في التحرك الجاد والصادق للتصدي له فعلياً، وليس فقط بالكلام، كما نحذِّر من مساعي بعض

المخترِقين لبعض القوى والمكونات لإثارة الفتن الداخلية لتسهيل مهمة العدو في الاحتلال بعد فشله الذريع لأكثر من عامين ونصف العام.

سابعًا: نحثُّ على العناية القصوى بالتكافل الاجتماعي، ورعاية الفقراء والمحتاجين، سيما مع ظروف الوضع الحالي نتيجةً للعدوان، والذي تفاقمت فيه المعاناة الاقتصادية، ويعاني البعض لدرجة المجاعة، وفي ظروفٍ كهذه تعظم المسؤولية، ويكبر الشرف، ويتضاعف الأجر في الرحمة بالمعانين، قال الله ﷻ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ [البلد].

ثامنًا: نأمل المراجعة المفيدة العاجلة بين المكونات السياسية للسعي لمعالجة الأداء الحكومي بما يلزم.

تاسعًا: نؤكد على الاستمرار في دعم الجبهات بالرجال والإمكانات حتى دحر العدوان، وتحرير البلاد من المحتل.

وأخيرًا: أتوجه إلى الله تعالى أن يكتب أجركم على هذا الحضور المشرف الكبير، بالرغم من ظروف العدوان والحصار، ونسأله تعالى أن يكتب لشعبنا النصر، ولشهدائنا الرحمة، ولجرحانا الشفاء، وأن يفرج عن الأسرى، وأن يكتبنا في الصالحين من عباده، المتبعين لنبيه، وأن يجزي نبينا عنا خير الجزاء.

اللهم صلّ وسلم وبارك وترحم وتحنن على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله رب العالمين.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

المحاضرة الأولى ٩ ربيع الأول

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

بمناسبة اقتراب ذكرى مناسبة المولد النبوي الشريف حرصنا- كما في العام الماضي، وكما في المناسبات الماضية- أن نستفيد من هذه الذكرى، باعتبارها محطة مهمة **جدًّا**، نستلهم منها أعظم الدروس والعبر التي نحن في أمسِّ الحاجة إليها في واقع حياتنا، بحكم انتمائنا للإسلام، وبحكم ما نواجهه في واقع هذه الحياة من مشاكل ومن تحديات، وما نتحمله

مـن مسـؤوليات، وإذا جئنـا إلى أي ذكـرى أو مناسـبة تذكرنـا برسـول اللـه محمـد ﷺ فـلا شـك أنهـا سـتكون المناسـبة الأهـم فيـما يمكـن أن نسـتفيده منهـا مـن دروس وعِـبَر، علاقتنـا- كأمـةٍ إسـلامية تنتمـي للإسـلام- بالرسـول مـن موقعـه كرسـول ﷺ كرسـول اللـه علاقـة وارتبـاط مهـم **جـدًّا**، علاقـة إيمانيـة، **وارتبـاط قائـم عـلى أسـاس:** التعليـمات، والتوجيهـات، والإرشـادات، وعـلى أسـاس العقيـدة والشريعـة... ومـا يتصـل بذلـك، علاقـة الهدايـة التـي تمتـد إلى كل شـئون حياتنـا، ونحـن في أمـسِّ الحاجـة للاسـتفادة منهـا والارتبـاط بهـا، وإلَّا لم يكـن ولـن يكـون البديـل إلَّا الضـلال، وإلَّا الضيـاع، وإلَّا التيـه.

في هـذا العـام حرصنـا أولًا عـلى إعـادة الـدروس التـي ألقيناهـا في العـام الماضي؛ لما تضمنته من مواضيع مهمة **جـدًّا** بحسب الظروف التي نعيشها والتحديات التـي نواجههـا، ثـم عـلى أسـاس أن نكمـل مـن حيـث انتهـى بنـا المطـاف في تلـك الـدروس، ونركـز عـلى بعـض المواضيـع المهمـة، وعـلى ضـوء الآيـات المباركـة مـن كتـاب اللـه المجيـد الكريـم، الـذي نسـتهدي بـه، ونسـتفيد منـه، ونسترشـد بـه، ونعـود إليـه كأهـم مصـدر نسـتفيد منـه في معرفـة الرسـول ﷺ ومعرفـة الرسـالة الإلهيـة في طبيعتهـا، في مضمونهـا، في دلالاتهـا... إلى آخـر مـا يتصـل بذلـك مـن المعـارف التـي نحتـاج إليهـا كمسـلمين، ولذلـك سـنحرص- إن شـاء اللـه- في هـذه المحـاضرة عـلى الحديـث عـلى ضـوء الآيـات المباركـة مـن أول سـورة الجمعـة.

يقـول اللـه ﷻ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة].

ابتدأت السورة المباركة بالحديث عن التسبيح لله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، استنفار شامل لجميع ما في السماوات وما في الأرض لتسبيح الله ﷻ تنزيهه وتقديسه عن كل عيب، عن كل نقص في مقام ربوبيته وكماله، والتسبيح لله ﷻ الذي هو دلالة على تنزيهه وقدسيته وكماله، وتنزيهه عن كل نقص في مقام ألوهيته، في مقام ربوبيته، يمتد إلى موضوع مهم **جدًّا**، ويتصل- في هذا السياق- بمواضيع في غاية الأهمية، **موضوع:** الهداية للعباد من جوانب متعددة، سنشير إلى البعض منها، وطبعًا النصوص القرآنية واسعة الدلالة وواسعة الهداية، وما يمكن أن نستفيده منها، أو نقدِّمه منها هو- بلا شك- شيءٌ محدود فيما فيها من الهدى الواسع **جدًّا**، فيما يمكن أن نستفيده، فيما قد قُدِّم من قبلنا، فيما يقدَّم من بعدنا، فيما يمكن أن نستفيده مجددًا في أي مناسبات، وبالتأكيد -أيضًا- بحسب الظروف والمراحل، وبحسب المناسبات.

الله ﷻ حكى عن نفسه بعض الأسماء الحسنى المهمة في هذا السياق: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، فهو جلَّ شأنه المنزه والمقدس من أن يترك عباده عبثًا، أن يخلق هذا الكون الفسيح، العجيب، الكبير، العظيم، المتقن في غاية الإتقان والإحكام والإبداع، وأن يخلق هذا الكائن البشري- الذي هو الإنسان- على هذه الأرض بدون هدف، بدون أن يرسم لهذا الإنسان هدفًا، بدون أن يرعى هذا الإنسان في مسيرة حياته، **ويترك البشرية في حالةٍ من العبث والفوضى:** لا مسؤولية محددة، ولا واجبات، ولا أهداف لمسيرة حياتهم،

ولا توجيهات وإرشادات تضبط لهم مسيرة حياتهم، فيعيشون في هذه الحياة في حالةٍ من الصراع والفوضى والنزاعات والاختلافات والتباينات، لا يرسم لهم منهجًا لضبط مسيرة حياتهم، ولا يكون هناك ما يدلهم على الخير والرشاد والصلاح لحياتهم، ولا يكون هناك حساب، ولا جزاء، ولا ثواب، ولا عقاب، الله منزه عن أن يفعل ذلك أبدًا، وكذلك منزه عن أن تكون طريقته في هداية عباده طريقة بعيدة عن الحكمة، أو بعيدة عن القدسية، أو بعيدة عن العزة، وهذا- أيضًا- ما سنشير إليه في الآية التي تلي هذه الآية.

المنهج الإلهي لإصلاح الحياة

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، هو جلَّ شأنه من مقام ربوبيته، ومن مسؤوليته كإله، وكملك وعزيز وحكيم، هو جلَّ شأنه (**الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**)، وهنا يجدر بنا أن نستفيد من هذا النص المبارك أننا في واقعنا البشري فيما نعيشه من: مشاكل، ومِحن، وأزمات، وهموم، وتضاربات، ورؤى متناقضة، واضطرابات كبيرة في واقعنا البشري، **يجب** أن نعي أن سبيل نجاتنا، وحل مشاكلنا، وصلاح حياتنا إنما يكون بالعودة إلى الله، والتطلع إلى الله ﷻ فيما يقدِّمه لنا؛ **ليرسم** لنا هو جلَّ شأنه مسؤولياتنا في هذه الحياة، سبيل الخير، سبيل النجاة، سبيل الفلاح الذي فيه صلاح حياتنا، وحل مشاكلنا في كل مناحي حياتنا، أن نتطلع إلى الله باعتباره جلَّ شأنه المصدر لذلك، لا سبيل إلى ذلك إلَّا بالعودة إليه، وهو جلَّ شأنه يبتدئنا أصلًا، لا تكون المسألة -مثلًا- تحتاج إلى أن نطالبه، أن نعمل مظاهرات في الأرض، **نتجمع ككائنات بشرية ونعمل مظاهرات في كل أنحاء الأرض:** [يا الله نحن نتظاهر لماذا لا ترشدنا، لماذا لا تدلنا على ما به حل مشاكلنا، على ما نصلح به حياتنا، على ما يضبط مسيرة حياتنا كمنهج وكنظام

لهذه الحياة، على على... كل ما يتصل بواقع حياتنا التي نعيشها]. إلا، الله ﷻ يبتدئ عباده منذ بداية وجودهم، أول ما خلق الإنسان، منذ آدم عليه السلام أتى إليه وحي الله، توجيهات الله، تعليمات الله ﷻ فهو **جلَّ شأنه** يبتدئ عباده، وعلى طول مسيرة التاريخ، منذ آدم عليه السلام وأتت الأجيال تلو الأجيال من البشر ويترافق معها نزول الهدى الإلهي، مجيء الهداية الإلهية إلى الواقع البشري، فالله يبتدئ عباده بالهداية، وتأتي إليهم الهداية منه وفق طريقته ووِفق سنته التي هي مرتبطة بحكمته، بعزته، بقدسيته ﷻ.

ثم ما يأتي منه ﷻ وهو مشروعه لعباده في أرضه من موقعه في الملك والربوبية والألوهية، هو معنيٌ بأمر عباده، ليس فضوليًا يتدخل في شئونهم وليس له علاقةٌ بهم، فيأتي البعض **مثلًا يقول:** [لماذا يريد الله أن يفرض علينا في حياتنا منهجًا معينًا، ويقدم لنا توجيهات وأوامر ونواهٍ... وغير ذلك]. إلا، هو **جلَّ شأنه** المعني بأمرنا؛ **لأنه** ربنا، ملكنا، إلهنا، وهو كذلك العزيز والحكيم، تأبى عزته، وتقتضي حكمته أن يكون له في واقع حياتنا تدخلٌ كامل، تأبى عزته أن يتركنا هملًا، وتقتضي حكمته أن يتدخل في كل شؤوننا بما فيه الخير لنا، فيرسم لنا منهجًا إذا سرنا عليه في هذه الحياة كان بذلك فلاحنا وخلاصنا وصلاح حياتنا، وكان بذلك فوزنا في الدنيا وفوزنا في الآخرة.

﴿هُوَ﴾ **جلَّ شأنه** من موقع ملكه، وقدسيته، وعزته، وحكمته، ﴿الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً﴾، ويتسم منهجه ورسالته هذه برحمته، بحكمته، مطبوعةٌ بطابع أسمائه الحسنى: بالرحمة، بالحكمة، بالعلم، بالخير، والعزة... إلخ. فليس فضوليًا، وليست مجرد مقترحات متروكة لمزاجنا، إن نحن رغبنا أن نعمل بها فلا بأس، وإن لم نرغب يمكن أن نتركها، ويكون الموضوع عاديًا وطبيعيًا. إلا، بل المشروع الإلهي هذا هو ملزم ملزم؛ **لأنه** من الله ﷻ

الـرب الملـك للسـموات والأرض وللنـاس، وإذا لم نعمـل ولم نقبـل بهـذه الرسـالة الإلهيـة هنـاك عقـاب، وهنـاك حسـاب، وهنـاك جـزاء، هنـاك عواقـب وخيمـة للرفـض لهـدي اللـه، والإعـراض عـن هـدي اللـه ﷻ في الدنيـا وفي الآخـرة.

السمة المهمة للمشروع الإلهي

ثـم- كذلـك- هنـاك نقطـة مهمة جـدًّا: أنَّ الهـدي الإلهي والرسـالة الإلهية ليسـت مجـرد توجيهـات جافـة ومنفصلـة عـن اللـه ﷻ ومشروعًا ينـزل إلى البشر يرسـم لهم طريـق الخـير والفـلاح **ثـم يـترك الأمر هكـذا:** إن أخـذوا بـه اسـتفادوا، وإن لم يأخذوا بـه يعاقبـوا في الدنيـا والآخـرة، هـذا المنهـج الإلهـي وهـذه الرسـالة الإلهيـة تتصـل باللـه ﷻ في تدبـيره، **يعنـي:** المـشروع الإلهـي هـو مـشروع تفاعـلي- إن صـح التعبير- يتصـل باللـه القيـوم المدبـر، واللـه ﷻ لم يفصـل هـذا المنهج عنـه، **يعني:** يفعـل فينا جميـلًا، ويقـدِّم إلينـا رؤيـةً جميلـةً حسـنةً وكفـى، وانتهـت المسـألة عنـد هـذا الحـد. إلا، المـشروع الإلهـي هـو مـشروع تفاعـلي يبقـى مرتبطًا باللـه ﷻ في كل الجوانـب، في كل المجـالات، في كل الاتجاهـات، وسـنذكر بعـض الأمثلـة عـلى ذلك:

مثـلًا، نجـد في القـرآن الكريـم الأمـر بالجهـاد في سـبيل اللـه ﷻ وهـو أمـرٌ بمـا فيـه خـيرٌ لنـا، عـزةٌ لنـا، كرامـةٌ لنـا، دفـعٌ للـشر عنـا، ودلالـةٌ عـلى عمـلٍ هـو لصالحنـا، فيـه دفـعٌ للظلـم عنـا، دفـعٌ للـشر عنـا، فيـه تحقيـقٌ للخـير لنـا، لكـن هـل تكـون المسـألة فقـط عنـد هـذا الحـد؟ إلا، المسـألة أكـبر، **اللـه يقـول:** ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: من الآية ٧]، المسـألة يرتبـط بهـا تدخـل إلهـي، تدبـير إلهـي، لاحـظ مثـلًا اللـه ﷻ يقـول: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣]، واللـه ﷻ عندمـا تتجـه أمـة أو قـوم أو أي نـاس مـن البـشر يجتمعـون لينفِّـذوا هـذا التوجيـه الإلهـي كيـف يتدخـل اللـه ﷻ فيؤلِّـف بـين قلوبهـم، هـو

جلَّ شأنه القائل: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[الأنفال: من الآية ٦٣]، هو القائل: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[آل عمران: من الآية ١٠٣]، كيف أنَّ الله يتدخل جلَّ شأنه في كل اتجاه نتجه لتطبيق هديه، لقبول توجيهاته، يتدخل على أساس تنفيذنا لذلك التوجيه؛ **فيمدنا** ﷻ بمدده في كل مقامٍ بما يقتضيه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[الأعراف: من الآية ٩٦]، يأتي التدخل الإلهي مع الهدى هذا، فالمشروع الإلهي والرسالة الإلهية لا تنفصل عن الله، ليست مجرد توجيهات طيبة وإرشادات جميلة ينزلها إلينا، ونستفيد منها بحسب إيجابيتها في الحياة فحسب، بل يرتبط بقيُّوميَّة الله وبتدبيره، ويكون لما ننفذه أو نطبِّقه من تعليمات الله ﷻ أثر في تدبير الله، في تدخل الله ﷻ ويمتد هذا إلى كل مجالات الحياة، كل واقع الحياة، وهذه مسألة مهمة **جدًّا**، هذه مسألة مهمة **جدًّا**.

كذلك على المستوى السلبي: حالة الإعراض، حالة الرفض لتوجيهات الله، والإعراض عن هدي الله ﷻ -أيضًا- يترتب عليها عقوبات من الله ﷻ: الشقاء، الضنك في المعيشة، عقوبات إلهية في الدنيا، وعقوبات في الآخرة.

فالرسالة الإلهية مشروعٌ إلهيٌ يتصل بتدبير الله ﷻ ومشروعٌ تفاعليٌ يرتبط به إجراءات- إن صح التعبير- من الله ﷻ وتترافق معه -أيضًا- إجراءات كثيرة من جانب الله، أمور كثيرة يفعلها الله ﷻ **وهذه سمة مهمة للمشروع الإلهي يجب أن نستوعبها جيدًا، وتمثِّل أهمية كبيرة جدًّا في انجذاب الإنسان إلى هذا المشروع الإلهي وادراكه لأهميته؛ لأنه** يمثِّل صلة ما بيننا وبين الله، نحظى من خلالها برعاية واسعة من الله في كل مجالات الحياة، والإعراض-

كذلك- يترتب عليه مخاطر كبيرة، وعقوبات شديدة من جانب الله ﷻ.

التجربة النبوية وأثرها في الواقع

﴿هُوَ﴾ **الله ﷻ بملكه، برحمته، بحكمته، بتدبيره، بقيوميته، بعزته،** ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، **(بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ):** الحالة التي كان يعيشها العرب، ويعيشها المجتمع البشري ما قبل بعث رسول الله ﷺ بالرسالة الإلهية إلى الناس، كانت حالة رهيبة **جدًّا**، الواقع العام الذي يعيشه البشر كان واقعًا سلبيًا وسيئًا بكل ما تعنيه الكلمة، واقعًا ظلاميًا، وواقعًا ممتلئًا بالظلم والفساد والجور، ومأزومًا (ممتلئًا بالمشاكل)، في الساحة العالمية كان الواقع العربي يتصف بالأمِّيَّة الشديدة والجهالة والبدائية، المجتمع العربي كان المجتمع الأكثر جهلًا، والأكثر أمِّيَّةً، والأكثر بداوةً- إن صح التعبير- وأتى الهدي الإلهي إلى هذا المجتمع وفي هذا عِبر مهمة، ودروس مهمة **جدًّا: أنَّ عظمة هدى الله ﷻ أنَّه يبني ويصلح المجتمع البشري، ويرتقي به إلى أرقى مستوى، حتى لو كان في أدنى وأضعف مستوى.**

عندما نجد أنَّ المجتمع العربي الذي كان مجتمعًا أمِّيًّا لا يمتلك ثقافةً، ولا يمتلك معرفةً، ولا يمتلك وعيًا، والأمِّيَّة العربية أمِّيَّة شاملة، ليست فقط أمِّيَّة في القراءة والكتابة، فتقول: المسألة أنهم كانوا يعانون أزمة في هذا الجانب فحسب، لا يستطيعون أن يقرؤوا، ليسوا أمة متعلمة تقرأ الكتب، وحالة نادرة في أوساطهم، وكذلك أمة لا تستطيع الكتابة، والكتابة في أوساطهم حالة بسيطة، ولم تكن هذه المسألة الرئيسية، ولذلك عندما بعث الرسول ﷺ لم يكن الموضوع الرئيسي في الرسالة الإلهية أن يكون له برنامج محو أمِّيَّة، يتجه فقط وبشكل رئيسي إلى أن يتعلم الناس كيف يكتبون وكيف يقرؤون وانتهى الموضوع، لم تكن المسألة هذا، الأمِّيَّة الأكبر من ذلك والأخطر- بكل ما تعنيه

الكلمة- أنهم لا يمتلكون رؤيةً صحيحة، ولا فهمًا صحيحًا، ولا معرفةً صحيحة بأشياء كثيرة **جدًّا**، ينقصهم الوعي، المعرفة الصحيحة، النظرة الصحيحة تجاه معظم الأمور التي تتصل بحياتهم، بمسؤوليتهم، وفي مختلف المسائل، الدينية منها في المقدمة، لديهم أفكار خاطئة كثيرة، تصورات مغلوطة، ومفاهيم مغلوطة كثيرة، ليست صحيحة، وخرافات كثيرة، مساحة واسعة من التصورات والمفاهيم كانت عبارة عن خرافات، ومفاهيم تنحرف بهم في واقع حياتهم، وضياع في هذه الحياة لا هدف ولا مسيرة صحيحة يتحركون على أساسها، وهذه الأُمِّيَّة كانت قائمة في الواقع العام البشري، **يعني**: لدى غيرهم من الأمم، ولكنهم كانوا أكثر أُمِّيَّةً من غيرهم، والأمم الأخرى والأقوام الآخرون كان لديهم نفس المشكلة وبقدر متفاوت، **يعني** البعض أيضًا كانت لديهم حالة من الضلال الرهيب، ولكن المجتمع العربي كان المجتمع الأكثر أُمِّيَّةً، والأكثر بدائيةً وجهلًا.

أتى هذا الهدى إلى هذا المجتمع؛ غيَّر واقع هذا المجتمع بشكلٍ كامل، وكان التغيير في هذا المجتمع من خلال هذا الهدى، من خلال هذا المشروع الإلهي الشامل الواسع، الحكيم والصحيح الذي -**فعلًا**- يمكن أن يُعتمد عليه لتغيير حقيقي، وتغيير مثمر، وتغيير مصلح، وتغيير مضمون نحو الأفضل، فأتى هذا الهدى إلى هذه الأمة بما تعيشه من أُمِّيَّة ليغيِّر واقعها تمامًا، تستبدل الخرافات، والمفاهيم المغلوطة، والأفكار والتصورات الباطلة، بمفاهيم صحيحة من نور الله، من هدي الله، من رسالة الله، بأفكار صحيحة، بمعارف صحيحة، توجيهات صحيحة، تعليمات صحيحة، إرشادات صحيحة، وتتغير في واقعها بشكلٍ جذري نحو الأفضل، ويتغير واقع حياتها بشكلٍ تام.

ولذلك علينا أن ندرك أنَّ هذه التجربة التي وقعت بالفعل، ولم تكن مجرد نظرية قدِّمت في كتاب، بل طُبِّقت على أرض الواقع، وأثمرت تغييرًا

جذريًا غيَّر واقع هذه الأمة التي كانت أمِّيَّة وبدائية إلى أن ارتقت وتفوقت على سائر الأمم، وتطلَّعت إليها بقية الأمم، لترى فيها أنها أصبحت أرقى نموذج قائم في واقع الأرض فيما لديها من فكر، فيما لديها من ثقافة، فيما لديها من معالم في هذه الحياة، من اهتمامات، من تصورات، فيما تحمله من مشروع في هذه الحياة، وتحت قيادة رسول الله ﷺ .

رسول الله هو تحرك بهذا المشروع الإلهي، بعد سنوات معينة، بعد فترة زمنية محدودة تغيَّر هذا الواقع ليكون هو الواقع الأرقى- آنذاك- في الأرض بكلها، وليكون ذلك العربي- هنا أو هناك، في تلك المنطقة أو تلك- الذي كان رأسه مليئًا بالخرافات والمفاهيم الخاطئة، وكانت نظرته في هذه الحياة إلى واقعها ومشاكلها وأمورها، وكانت -كذلك- مفاهيمه تجاه كثير من الأمور مغلوطة وخاطئة وخرافية، قد أصبح متنورًا، لديه مفاهيم صحيحة، لديه نظرة صحيحة، لديه اهتمامات صحيحة، وطبعًا هذا بقدر تفاعل مَنْ تفاعل مع هدى الله، بقدر الاستجابة، بقدر ما كان هناك من ارتباط، من علاقة بهذا الهدى، من تفاعل وتأثر مع هذا الهدى، وبهذا الهدى.

فحدثت نقلة هائلة، نقلة كبيرة **جدًّا** في الواقع الأمِّي العربي، من حالة أمِّيَّة فظيعة ومتدنية **جدًّا**، إلى أمة تمتلك ثقافة هي أرقى ثقافة، تمتلك وعيًا هو أرقى وعي، بين يديها نور الله وهديه وتعليماته التي لا يساويها شيءٌ في كل الدنيا، فهذه النقلة الهائلة والكبيرة تمثِّل نعمةً عظيمةً من الله ﷻ أنعم الله بها.

الجاهلية الأخرى وسبل الخلاص

ولاحظوا ما تعيشه البشرية في هذا العصر من أمِّيَّة، في هذا الزمن لا يمكن أن يعالج مشكلة الأمِّيَّة التي نعيشها كعرب في المقدمة قبل كل الشعوب وقبل كل الأمم، ثم من حولنا بقية الأمم، نعيش حالة رهيبة وفظيعة **جدًّا** من الأمِّيَّة، غير أمِّيَّة الكتابة، وغير أمِّيَّة القراءة، المفاهيم الظلامية والخاطئة، المنتشرة بشكل كبير، والتي لها من يروِّج لها، من ينشرها، والتي لها حضور كبير في المناهج التعليمية الرسمية، وفي وسائل الإعلام، وفي الأنشطة التثقيفية والتعليمية بمختلف أنواعها، حضور واسع **جدًّا**، لا يمكن أن تتغير هذه الأمِّيَّة التي جعلت الأمة في حيرة وفي تخبط، وانعكست بآثارها السلبية على واقع الحياة، وعلى واقع الإنسان في نفسه، الحالة التربوية، الحالة الأخلاقية، الواقع العملي، الاهتمامات، التصرفات... تأثرت بالثقافة السائدة، وهي ثقافة جعلت الأمة في حالةٍ من الأمِّيَّة الشديدة، أمِّيَّة حينما لا يمتلك الناس الفكرة الصحيحة، الرؤية الصحيحة، الرؤية الرشيدة، التوجه الصحيح، النظرة الواعية إلى الأمور، هذه مفقودة في واقع الأمة إلى حدٍ كبير، ولا يمكن أن يعالجها إلَّا هدى الله، إلَّا الرجوع إلى هذا الهدى، هذا الهدى الذي أنقذنا- فيما سبق- في الجاهلية الأولى، وغيَّر الواقع بشكلٍ جذري، هو فقط الكفيل في الجاهلية الأخرى بإنقاذ الأمة والانتقال بها وانتشالها من هذه الحالة؛ حتى تمتلك- من جديد- رؤيةً صحيحة، رؤية في واقع حياتها، في شئون حياتها، في مواقفها، لمعالجة مشاكلها، لإصلاح وضعها، رؤيةً صحيحة، رؤيةً إلهية، رؤيةً ربانية من هدى الله ﷻ.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، بعث رسولًا، الله ﷻ لم يوكل مهمة تغيير الواقع الذي عانى منه المجتمع العربي والمجتمع البشري من حوله، البشرية بكلها؛ **لأن** رسول الله هو إلى الناس كافة، وليس فقط

إلى العرب، في المقدمة كبيئة أولية انطلقت فيها التعاليم الإلهية، وأتت إليها الرسالة الإلهية لتنطلق من خلالها إلى بقية العالم، لم يوكل المهمة الانقاذية أمام ذلك الواقع المأزوم والظلامي الذي يعاني فيه الناس، لا يمتلكون حتى الفكرة الصحيحة للخروج من ذلك الوضع، ولا لإصلاح ذلك الواقع، لم يوكل هذه المهمة -مثلًا- إلى زعيمٍ وطني، **فيقول مثلًا:** [هو الذي بعث في الأميين زعيمًا وطنيًا]، أو [زعيمًا قوميًا]، **أو مثلًا يقول:** [هو الذي بعث في الأميين عالمًا دينيًا]، أو بأي تعبيرٍ من التعبيرات الأخرى.

أهمية الرموز في الواقع البشري

عندما نتأمل في الواقع البشري في هذا الزمن وقبل هذا الزمن، عبر التاريخ بكله نجد أن الواقع البشري دائمًا ما يكون متأثرًا بأشخاص معينين كرموز، ويعتمد عليهم فيما صدر منهم من تعليمات، أو فيما تبنوه من رؤى وأفكار، الواقع البشري قائم على هذا الأساس، ولو تأتي اليوم لتتأمل الواقع البشري في أنحاء المعمورة، في الغرب والشرق، من أمريكا إلى الصين، إلى روسيا، إلى كوريا، إلى الواقع العربي، إلى... بقية البلدان العربية، يتجه الناس في شؤون حياتهم فيما يعتمدونه من نظام، فيما يحملونه من تصورات، فيما يعتمدون عليه لنظم أمرهم، فيما ينظرون من خلاله إلى الوقع من حولهم على أساس رؤى معينة من هنا أو من هنا، أفكار من هنا أو هناك تنبع من خلال رموز معينين منهم، فقوم هناك -مثلًا- يعتمدون الفلسفة الشيوعية، ولها رمزها (فلان)، هناك الرأسمالية، ولها رموزها (فلان وفلان)، هناك رؤية معينة تقوم عليها حياة الناس فيما هم فيه من نظام وواقع وأمور كثيرة **جدًّا** يرتبطون بها، ورمزهم فيها (فلان) زعيم وطني، زعيم قومي، إنسان متفلسف، إنسان مفكر، إنسان منظِّر... هذه مسألة معروفة في الواقع البشري،

والشيء العجيب أنك تجد في الواقع البشري وفي التجربة البشرية أنهم دائمًا ما ينطلقون بتفاعل كبير **جدًّا**، وتمسك وتشبث إلى حد كبير، يؤمنون برمز معين قدَّم فكرة معينة، أو رؤية معينة اعتمدوا عليها في شؤون حياتهم، أو في مواضيع معينة، أو في نظامهم، ويتعصبون لتلك الرؤية، يتشبثون بها، يؤمنون بها، ويمجدون ذلك الرمز، ويعتبرون تلك الرؤية، أو تلك الفكرة، أو ذلك المشروع الذي قدمه أنه يمثل مشروعًا راقيًا لا أرقى منه في هذه الحياة، وأنه ينبغي الالتزام به، والسير على أساسه، والتمسك به في هذه الحياة، والعمل على أساسه، وهكذا يصبح هو الذي يعتمدون عليه، هذه الحالة قائمة في الواقع البشري بشكل كبير، وعندما نتأمل- مثلًا- في حال الكثير من الرموز الذين فعل البشر معهم **هذا الفعل:** آمنوا بهم، بنظرياتهم، برؤاهم، بأفكارهم، بأطروحاتهم، واعتنقوها، وذابوا فيها، وتفاعلوا معها، والتزموا بها، والبعض يتجه إلى الآخرين بعدائية شديدة لماذا لم يقبلوا بها، ويراها هي الأقوم لهذه الحياة، والأصلح لهذه الحياة، وتجد أن كثيرًا من تلك الرموز كانت في واقعها النفسي والبشري في واقعٍ سلبي، البعض -مثلًا- كان طاغية، والبعض كان جاهلًا، والبعض كان متأثرًا بثقافة معينة، بواقع معين، يمتلك قليلًا من المعرفة والثقافة، لكنه يمتلئ جهلًا، البعض -مثلًا- كان له رصيد سلبي **جدًّا** في واقعه السلوكي وأدائه العملي، واقعًا سلبيًا، معظم الرموز الذين اعتمد عليهم البشر، فآمنوا برؤاهم، واعتنقوا أفكارهم، وتشبثوا بأطروحاتهم، وساروا عليها في هذه الحياة، معظمهم سيئون، كثيرٌ منهم، وكثيرٌ منهم إما كان طاغية، إما كان ظالمًا، إما كان جاهلًا، إما كان مبتعدًا عن واقع الحياة، جاهلًا بواقع الحياة، أو ينطلق من اعتبارات مصلحية شخصية، أو فئوية، أو قومية في إطار محدود **جدًّا** وضيق، ونابعة من رؤية معينة متأثرة بواقع شخصي وحسابات معينة.

أما الله ﷻ فمشروعه وهديه يأتي عبر مَنْ؟ والخلاص للبشرية والانقاذ للبشرية أتى عبر مَنْ؟ رسول من الله ﷻ وفي هذا دروس مهمة جدًّا، ونقاط وإيجابيات عظيمة **جدًّا**، لا توجد في أي اعتبار آخر:

الإعداد الإلهي لحمَلة الرسالة

أولًا الرسول- وهنا يتحدث عن رسول الله محمد ﷺ وهذه سنة إلهية، والرسول محمد هو آخر الرسل، خاتم النبيين، وقبله الكثير من الرسل في الحقب البشرية الماضية- أولًا الرسول يحظى بإعداد إلهي وصناعة إلهية، يصطفيه الله ﷻ ويعده خصيصًا لحمل هذه المهمة، والنهوض بهذه المسؤولية، يعده على المستوى الذهني والنفسي، فيمتلك في واقعه النفسي والذهني من المؤهلات ما يجعله في مستوى هذه المسؤولية، فيكون أرقى إنسان لحمل هذه المسؤولية والنهوض بها، على المستوى النفسي، على المستوى الذهني، القدرات الذهنية، والقدرات النفسية والملكات التي يعطيه الله ﷻ ولهذا قال عن موسى عليه السلام: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه: الآية ٤١]، هذا الإعداد يدخل حتى في عملية الخلق والتكوين، أنه يمنح هذا المخلوق الذي يريده رسولًا مؤهلات معينة، يحتاج إليها هذا الإنسان الذي سيتحمل هذه المسؤولية؛ **لأنها** مسؤولية كبيرة وعظيمة ومهمة، ولها مواصفات ومؤهلات ومعايير خاصة بها، تفوق واقع أي إنسان من البشر ممن لم يخلقه الله لهذه المهمة، ولم يصطفه لهذه المهمة، ولم يعده لهذه المهمة، هذا أولًا في عملية الخلق والتكوين.

ثم كذلك في الاعداد والتربية الإلهية يحظى بعناية خاصة ورعاية خاصة، ولذلك عادةً ما يكون الرسل والأنبياء هم صفوة البشر، خير البشر، أزكى البشر، أطهر البشر، ويكون سجلهم في الحياة ورصيدهم السلوكي والعملي نظيفًا وطاهرًا ومتميزًا وصالحًا وسليمًا، ويحظون بالعصمة الإلهية، ويحظون

بإعداد إلهي خاص، وبالتالي عندما يأتي الرسول أو يأتي النبي لا يكون في واقعه النفسي متأثرًا بما يتأثر به بقية البشر، لا يكون محكومًا بالمصالح الشخصية، ولا الاعتبارات النفسية التي يعاني منها بقية الناس، فلا ينطلق من خلال ما يتأثر به بقية الناس وهو يؤدي رسالة الله، بل يؤدي الرسالة الإلهية بتجردٍ تام، غير خاضع أو متأثر بأي اعتبارات أخرى خارج مضمون هذه الرسالة، خارج مضمون هذا الهدى، خارج ما يدل عليه هذا الهدى، وما تحمله من مضامين وتوجيهات، بل إنه هو يكون أول من يلتزم بتلك الرسالة، من يؤمن بها، من يتأثر بها، من يتحرك من موقع القدوة في تطبيقها والالتزام بها، والتأثر بها، والعمل بها، فيمثل هو في واقعه أرقى نموذج لحمل تلك الرسالة عقيدةً، فكرةً، روحيةً، التزامًا عمليًا وسلوكيًا...الخ. ولهذا يمتاز الرسل بما لا يوجد في غيرهم، ويمثل هذا عاملًا جاذبًا، فيفترض بنا أن ننشد إلى الرسل، وأن ننشد إلى رسول الله ﷺ ونحن ندرك هذه الميزة التي لن نجدها في غير الرسل والأنبياء من بقية الناس، **مثلًا:** قد يتجه الناس إلى زعيم وطني، أو زعيم قومي، أو متفلسف، أو مفكر هنا أو هناك، في الشرق والغرب، لكن كيف كان ذلك المتفلسف، كيف كان ذلك الزعيم الوطني، ذلك الزعيم القومي، كيف كانت نفسيته، روحيته، رصيده السلوكي، اهتماماته، اتجاهاته؟ هل يمتلك ذرة من الرحمة التي تحلى بها الرسل والأنبياء، والذين هم أرحم الناس بالناس بعد الله، هل يمتلك تلك الحكمة، ذلك النقاء، ذلك الصفاء، تلك الطهارة، تلك المواصفات الكثيرة والكثيرة؟

فالله ﷻ لم يجعل هذه المهمة الانقاذية موكوله إلى زعيم وطني، أو إلى شخصية هنا أو شخصية هناك، أو متفلسف هنا أو متفلسف هناك، كذلك لم يتركها -مثلًا- إلى حبر من الأحبار، المجتمع- آنذاك- فيه أحبار من بني إسرائيل ممن يقدمون

أنفسهم على أنهم أتباع للرسالة الإلهية، أو كذلك- مثلًا- قساوسة من النصارى، لم يجعل المسألة الانقاذية هذه متروكة إلى قِس هناك أو إلى حَبر من أحبار بني إسرائيل هناك، **فيقول:** [إليك هذه المهمة]؛ **لأنهم** بأنفسهم من بقي من أحبار وقساوسة كانوا في واقعهم -أصلًا- قد تحولوا إلى جزء من المشكلة القائمة في الواقع البشري، أحبار سيئون، لم يعودوا هم بمستوى حمل المسؤولية ولو خارج مستوى أداء الرسل، كأتباع للرسالة الإلهية، باتوا يعيشون حالة الانحراف والتحريف، وباتوا جزءًا من المشكلة، وباتوا هم مسهمين سلبًا في ذلك الواقع، قساوسة وأحبار لم يعودوا ملتزمين بهدى الله ولا بتعليمات الله، وأصبحوا يتحركون فيها بمنطلقات، وتأقلموا مع ذلك الواقع؛ **فكانوا** جزءًا من مشكلته.

نكتفي اليوم بهذا المقدار، ونتم الحديث- إن شاء الله- في الغد على ضوء هذه الآيات المباركة.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، وأن يوفقنا للاهتداء بهدية، والاتباع لرسالته، والاقتداء برسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

المحاضرة الثانية ١٠ ربيع الأول

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

نواصل الحديث على ضوء الآيات المباركة من سورة الجمعة في الحديث عن نعمة الله سبحانه وتعالى ومنَّته الكبرى ببعثة الرسول صلوات الله عليه وعلى آله ومرَّ بنا- بالأمس- الحديث عن نقاط مهمة وأساسية، وتحتاج الأمة إلى استيعابها بشكلٍ جيد؛ لتبني عليها تفاعلها المطلوب مع الرسالة الإلهية.

صلة التدبير والرعاية الإلهية بالهداية

الله جلَّ شأنه عندما قال في كتابه المبارك: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: الآية ٢]، الرسالة هي رسالة الله، والرسول هو رسول الله، والمنهج هو منهج الله ﷻ برحمته، فما فيه من توجيهات وإرشادات وتعليمات من منطلق رحمة الله، من منطلق حكمته، من منطلق عزته، وله هذا الأثر في حياة الناس، إذا تمسكوا بهذه الرسالة فهي رسالة تتسم بالعزة، بالرحمة، بالحكمة، بالخير، بالصلاح، بالفلاح، يستفيد الناس منها، وليس هناك أي بديل يساويها- أبدًا، أو يكون هناك مبرر للتمسك به بدلًا عنها، ثم أضف إلى ذلك أنها ترتبط بملك الله جلَّ شأنه لأنه هو ملك السماوات والأرض، ملك هذا العالم بكله، وهو -**أيضًا**- ملك الناس الذي له حق الأمر والنهي فيهم، والتشريع لهم، وإليه هدايتهم، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: الآية ١٢]، كما قال جلَّ شأنه في كتابه الكريم، هي مسألة تعود إلى الله ﷻ والبشر يحتاجون إلى الله جلَّ شأنه في الهداية كما يحتاجون إليه في بقية أمور حياتهم، كما وهبهم الحياة، كما وهبهم الرزق، كما منَّ عليهم بسائر النعم المادية، والنعم المتنوعة والمتعددة التي لا تحصى ولا تعد، **يحتاجون إليه في هذا الأمر:** فيما يتعلق بالهداية، الهداية المتصلة بمسؤوليتهم في هذه الحياة، وواجباتهم في هذه الحياة، ونظم هذه الحياة بمنهج يتحدد لهم فيه ما يعملون وما يتركون، ثم المسألة يرتبط بها ثوابٌ وعقاب وجزاء، جزاءٌ على الإحسان بالإحسان، وجزاءٌ على الإساءة بالعقاب؛ **لأن** الله هو الملك، ومن عزته أن يجازي، وأن يعاقب، ولا يمكن أن يهمل، وأن يتركهم في هذه الحياة في حالةٍ من الفوضى والعبث.

ثم- كما أكدنا على نقطة أخرى بالأمس- المنهج الإلهي والرسالة الإلهية هي من جهة في كل ما فيها من: مضامين، وتوجيهات، وأوامر،

وتشريعات، خيرٌ للإنسان، وصلاحٌ للإنسان، توجيهات حكيمة ورحيمة وخير لهذا الإنسان، وهي -**كذلك**- يرتبط بها جزاءٌ على الخير بالخير، وعلى الإساءة بالعقاب، وهي -**كذلك**- متصلة بتدبير الله ورعايته، **يعني**: ليست المسألة منحصرة في أنها توجيهات إيجابية للأخذ بها أثر إيجابي في واقع الحياة، **وكذلك يتصل بها الجزاء في الآخرة:** إما بالجنة ومرضاة الله، وإما بالنار وسخط الله إذا انحرف الإنسان وخالف نهج الله ورسالته.

المسألة -أيضًا- يتصل بها تدبير إلهي مباشر في كل نواحي الحياة، كما تحدثنا بالأمس على هذه النقطة، وضربنا بعض الأمثلة، من مثل قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: من الآية ٩٦]، نجد هذه الرعاية الإلهية الواسعة والشاملة التي تدخل إلى كل شؤون حياتهم، إلى أرزاقهم، إلى مرافق حياتهم، تأتي مرتبطةً بهذا التفاعل الإيماني، والتقوى في التعامل مع رسالة الله ﷻ والالتزام بها، نجد مثل قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، نجد مثل قوله ﷻ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ [المائدة: من الآية ١٦]، وهكذا نجد كثيراً من الآيات المباركة من مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: من الآية ٦٩].

فيأتي التدبير الإلهي والرعاية الإلهية متصلة بهذا الهدى، بهذا النور، بهذه الرسالة الإلهية، كلما اتجه الإنسان في جانبٍ من الجوانب يجد في ذلك رعاية إلهية تسانده، تُمِدُّه، تعينه، تيسر له، تحقق له الكثير من النتائج، هذا جانب مهم **جدًّا** وجذاب للغاية، جذاب بشكل كبير إلى الإتباع لهدى الله، إلى التمسك برسالة الله ﷻ وليس هناك فيما يتجه إليه البشر من بدائل،

أي شيء من هذا القبيل ليس له كل هذه المميزات الثلاث الكبرى، بحيث أن له إيجابية كبيرة **جدًّا** في واقع الحياة، إذا نُفِّذ، إذا طُبِّق، إذا أُلتزم به، **وله نتائج عظيمة في الآخرة:** سلامةٌ من عذاب الله، وفوزٌ بأعظم نعيم بالحياة السعيدة الأبدية، الجنة التي عرضها السماوات والأرض، التي هي مستقر أولياء الله، وعباد الله الذين استجابوا له في هذه الحياة، واتبعوا رسالته.

فإذًا، ليس هناك أي بدائل لهذه الإيجابية، لهذه القيمة، لهذه الأهمية، ويتصل بها رعاية إلهية مباشرة، وتدبير من الله ﷻ متصلٌ بها، تنفذ توجيه الله ﷻ مع تنفيذك لذلك التوجيه الإلهي تحظى برعاية مباشرة من الله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وهكذا تجد كثيرًا من الآيات المباركة التي تؤكِّد على هذا الجانب.

ما الذي يصرف الناس إلى بدائل ليس لها أي قيمة في جنب القيمة والإيجابية العظيمة للرسالة الإلهية، نجد هنا أيضًا في قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً﴾[الجمعة: من الآية ٢]، أنها من أعظم النعم الإلهية أن يبعث الله رسولًا، فلا خلاص، ولا مناص، ولا حل لمشكلة البشرية فيما تعاني منه باتباعها لرموز آخرين، ولبدائل من الأطروحات والثقافات والقرارات والتوجهات والنظم كبدائل عن رسالة الله ﷻ وبدائل عن رسل الله، لا خلاص لها بذلك، ولا فلاح، ولا خير، ولا نجاح.

نجاة البشرية، وفلاح البشرية، وصلاح البشرية، وحل مشاكل البشرية يتوقف على اتباع الرسالة الإلهية، وخلاصهم عن طريق الرسل والأنبياء، وما أتوا به، كل البدائل الأخرى هي ضياع، وتصنع المزيد من المشاكل، مهما امتلكت من إمكانات، مهما كانت سيطرتها في الأرض، في عصرنا هذا، في زمننا هذا جُرِبت

بدائل لا تزال بعضٌ منها قائمة في واقع الحياة، وسلبياتها كبيرة **جدًّا**، جُرِبت الشيوعية بإخلاص وبقوة وبسطوة وبجبروت؛ **فكانت** نتائجها كارثية في كثيرٍ من أقطار العالم، وفي الأخير اضمحلت إلى حدٍ كبير، ودخلتها تعديلات كثيرة كثيرة كثيرة، حتى أصبحت بشكلٍ آخر، أضف إلى ذلك الرأسمالية- اليوم- التي تطبق على نطاقٍ واسع في واقع البشر، سلبياتها كثيرة **جدًّا**، مفاسدها كبيرة **جدًّا**، المشاكل الناتجة عن تطبيقها في واقع الحياة مشاكل كبيرة **جدًّا**، الانحرافات التي حصلت في ساحتنا الإسلامية إما انحرافات محسوبة على الإسلام نفسه، وهي محسوبةٌ بالخطأ، بالغلط، لا تمثِّل حقيقة الإسلام وحقيقة تشريعاته وتوجيهاته كما هي في القرآن الكريم، وكما أتى بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بل هي نتائجٌ لتحريف، ولتضليل، ولأخطاء، ولغلط، وإما التأثر- أيضًا- بما يأتي من جانب الآخرين من خارج الأمة الإسلامية، من خارج الإسلام، كانت نتائجها سلبية كبيرة في واقع حياتنا كمسلمين، سلبية، ومعاناتنا منها إلى اليوم معاناة كبيرة، وتزداد يومًا بعد يوم، تتفاقم المشاكل وتعظم، وتطغى الحالة السلبية على واقع الحياة.

حكمة الله في إعداد الرسل

فيجب أن ننظر إلى أن نعمة الله عظيمة بالرسل، الرسل الذين يحظون بإعدادٍ إلهي، هم بهذا الإعداد لا يخرجون عن واقعهم كبشر، الرسول هو بشر، وهذه نعمة أنه من البشر؛ **لأنه** يعيش الجو البشري والواقع البشري في همه، في معاناته، في ظروفه، إضافة إلى الأنس به كإنسان من البشر يتحرك بواسطة الرسالة الإلهية فيما بينهم، ثم لأنه هو في واقعه في الحياة، وفي واقعه العملي يكون معنيًا أن يكون هو القدوة في الالتزام بهذه الرسالة، في التطبيق لهذه الرسالة، في أن يكون هو على رأس الأمة، على رأس البشرية ملتزمًا، معبِّدًا نفسه لله سبحانه وتعالى مؤمنًا، ولهذا يأتي في الآية القرآنية من مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأُمِرْتُ

﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: الآية ١٢]، وهكذا يأتي التعبير بـ **أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**، **أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوَّلَ مَن أَسلَم**، بهذه التعبيرات القرآنية التي تجعله هو القدوة في الالتزام، في التطبيق، في العمل، ليس كما هو حاصل في واقع البشرية، يأتي طاغية يفرض على الناس أنظمة وقوانين ولا يلتزم هو بها، ويكون هناك بعيدًا عن التزامات من هذا النوع، أما في واقع الرسل فهم الأكثر تعبيدًا لأنفسهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأعظم طاعةً، الأكثر التزامًا، القدوة في الالتزام والتطبيق والخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واتجاههم إلى البشر من حولهم لا يكون قائمًا على أساس الاستعلاء، ولا التكبر، ولا الطغيان، ولا الاستبعاد، ولا الاستغلال. أبدًا، هو يتحرك كعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو القدوة في تعبيد نفسه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يبلغ رسالة الله إليهم، وفي نفس الوقت يتعامل مع الناس، يكون هو رحيمًا بهم، محبًا لهم، مريدًا للخير فيهم، لا مثيل له بينهم في مستوى الرحمة، واللين، والإحسان، والحرص على خلاصهم، وإرادة الخير لهم، مميزات مهمة لا توجد عند غير الرسل والأنبياء.

﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾، **وكونه منهم هي نعمة عليهم**، وحجة عليهم، ومسؤولية عليهم، هذا الرسول هل يتحرك مع ما أعطاه الله من كمال: ذكاء على مستوى عالي، ملكات ذهنية وفكرية على مستوى عظيم، حرص على الناس، حرص على إرادة الخير لهم، رحمة بهم، حكمة عالية، نظرة ثاقبة للأمور، وعي عالٍ... ملكات مهمة **جدًا، ويتحلى بأمانة كبيرة:** مؤتمن على التبليغ، ومؤتمن على المسؤولية، ومؤتمن تجاه الناس فيما يريده لهم ومنهم، مؤتمن أمانة كاملة وشاملة وتامة. مع ذلك هل يتحرك من تلقاء نفسه بأطروحات شخصية، بأفكار شخصية، باتجاهات شخصية ابتكرها هو، اخترعها هو، من تفكيره، من نتاجه الشخصي، أو لحسابات شخصية يتحرك ليحقق لنفسه مصالح ومكاسب معينة مادية من الناس، أو معنوية، أو فئوية (لفئته)، أو

قومية (لقومه، قبيلته، أو أوسع من إطار قبيلته)، مثلًا: هل كان يهم رسول الله ﷺ أن يتحرك لمصالح عربية على حساب بقية الشعوب والأمم، أو بأي اعتبارٍ كان؟ إلا، الرسل يتحركون بتجردٍ تام عن كل هذه الأمور، لا يتحرك على أساس رؤية شخصية من ابتكاره ونتاجه الشخصي البشري، الذي سيبقى قاصرًا مهما كان إذا كان منفصلًا عن الله ﷻ لأن الواقع البشري محدود مهما كان، الإنسان كإنسان هناك حدود: حد لقدرته، حد لعلمه، وتتفاوت حتى في الواقع البشري، يمتلك هذا من العلم أكثر مما يمتلك الآخر، هناك ذكي، هناك من هو أذكى، هناك عالم، هناك من هو أعلم... وهكذا ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف: من الآية ٧٦]، حتى تصل المسألة إلى الله، والله هو الذي له الكمال المطلق، أما الواقع البشري فكل شيءٍ فيه محدود: القدرات الذهنية، الملكات الفكرية، كل القدرات لدى الإنسان، كل الملكات، كل ما يمكن أن يحصل عليه مكتسبًا أو من الأساس شيء محدود محدود محدود، محدود كبشر.

مميزات حركة الرسل

فالرسل لم يكونوا يتحركون على أساس رؤية شخصية، اتجاه شخصي، ولا لحسابات شخصية: أنَّه يريد مصالح له، كانوا يقولون -دائمًا- لأقوامهم: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾، لا أريد من وراء تبليغي للرسالة إليكم أي أجر منكم، أي مقابل منكم تعطوني شخصيًا، لا مال، ولا منال، ولا منصب، ولا أي شيء شخصي تقدِّمونه لي كمكافئة على أن أوصلت إليكم الرسالة الإلهية، ولا لحسابات- أيضًا- فئوية، أو شخصية، أو حزبية، أو قومية... يكونون متجرِّدين من كل هذه الاعتبارات، ولهذا- كما نكرر- الإيجابيات عظيمة ومهمة **جدًّا** للرسالة الإلهية، هذا لا يوجد خارج إطار رسالة الله ﷻ اذهب إلى أي رؤية يتبعها البشر في أي بلدٍ هنا أو هناك، **قدَّمها لهم رمزٌ معين:** زعيمٌ وطني، أو زعيمٌ قومي، أو

مفكر، أو فيلسوف، أو منظِّر... أياً كان، أولًا ستكون نتاجًا شخصيًا بحدود قدراته، وستكون متأثرةً بواقعه هو في نفسيته، في اهتماماته، في واقعه بشكلٍ عام، ثم سينظر من منظار معين، البعض ينظر من منظار مصلحة شعبه، أو بلده، أو حزبه، أو قومه، أو عشيرته... أو أي اعتبار، كلها مؤطَّرة، كلها لها حدودها، لها اعتباراتها، أما رسالة الله فهي الوحيدة التي تصلح لأن يلتقي عليها كل البشر، وأن يجتمع عليها كل الناس، هي الصالحة لوحدها أن تكون للناس جميعًا؛ **لأن** فيها الخير للناس جميعًا، ليست مؤطَّرة بأي أطر تجعل منها مصلحةً شخصيةً لشخص، أو مصلحةً قوميةً لقوم، أو مصلحةً محدودةً بحدود جغرافية، أو بحدود سياسية معينة. إلا، لها هذه الإيجابية الكبيرة والعظيمة والمهمة.

فيأتي الرسول كنعمة من الله ﷻ برؤية إلهية، يأتي ليتحرك- ضمن مسؤوليته ووظيفته الرئيسية- لهداية الناس بهدى الله، ودعوتهم إلى الله ﷻ هو قناة وصل مع الله، يوصل إلى الناس التوجيهات الإلهية، ويتحرك بهم على أساسها، **يوصل رسالة الله في مضمونها الشامل والكامل:** من عقائد، من تشريعات، من حقائق، من... كل ما يتصل بهداية هذا الإنسان، وتربية هذا الإنسان، وتزكية هذا الإنسان، وحياة هذا الإنسان.

﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، فهو يتحرك على هذا الأساس، الآخرون الذين يرتبط بهم البشر ويعتمدون عليهم ويتمسكون بما هو منهم وكبدائل- المصيبة هذه- كبدائل عن الرسالة الإلهية، ليس لديهم هذه الميزة المهمة، الرسول هو فقط يوصل إلى الناس ما هو من الله ﷻ قناة وصل ما بينهم وبين الله ﷻ لا يأتي ليستغل الناس لمكاسب شخصية، ولا حزبية، ولا فئوية، ولا قومية... ولا لأي اعتبار، ولا يأتي بنتاجه الشخصي، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، **(يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)** آيات الله ﷻ **(آيَاتِهِ)** في حركة الرسول محمد ﷺ

والـكلام هنـا يركـز عـن بعثـة اللـه لـه كنعمـة عظيمـة، الآيـات المباركـة آيـات القـرآن الكريـم، ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الرسـول ﷺ لم تكـن مسـألة تلاوتـه لآيـات اللـه عـلى النـاس كالحالـة السـائدة الروتينيـة المعتـادة، الحالـة السـائدة- الآن- لـدى الكثـير مـن النـاس أنَّ مسـألة تـلاوة الآيـات هـي عبـارة عـن قـراءة اعتياديـة روتينيـة، يرغـب الكثـير أن تكـون بصـوتٍ حسـن، وأحيانًـا تتحـول مسـألة الصـوت الحسـن إلى مسـألة أساسـية ورئيسـية، **(يَتْلُـو عَلَيْهِـمْ آيَاتِـهِ)** لهدايتهـم بهـا، هـذه الآيـات بمـا فيهـا مـن هـدى، بمـا فيهـا مـن نـور، بمـا فيهـا مـن بصائـر، بمـا تصنعـه مـن وعـي، بمـا تصححـه مـن مفاهيـم، بمـا تقدِّمـه مـن تشريعـات، مـن توجيهـات، مـن تعليـمات، بمـا فيهـا مـن عقائـد، بمـا فيهـا مـن أحـكام، بمـا فيهـا مـن بصائـر واسـعة تمتـد إلى شـتى شـؤون الحيـاة، إلى كل مـا لـه علاقـة بهدايـة هـذا الإنسـان، مـا يحتـاج هـذا الإنسـان إلى معرفتـه ليهتـدي إلى مـا فيـه الخـير لـه في الدنيـا والآخـرة؛ **فلذلـك** تـأتي تلـك الآيـات لتكـون هـي- فيـما تحملـه مـن: فكـرة، ورؤيـة، وتشريعـات، وأحـكام- لتكـون هـي التـي يتجـه إليهـا النـاس للاهتـداء بهـا، للانتفـاع بهـا، للاسـتنارة بنورهـا، يحملـون مـا تقدِّمـه مـن أفـكار لتكـون هـي البديـل عـن الأفـكار الظلاميـة، والأطروحـات الأخـرى التـي كانـت رائجة في السـاحة.

النـاس لا يبقـون في حالـةٍ مـن الفـراغ، دائمًـا مـا تكـون لديهم كثـير من التصـورات، والأفـكار، والنظـرة، والرؤيـة تجـاه مسـائل كثـيرة، وهـذه حالـة كانـت قائمـة سـواءً في الواقـع العـربي، أو في الواقـع العالمـي بكلـه، بقيـة المجتمعـات البشريـة لديهـم عقائـد بـدءًا مـن عقائدهـم نحـو اللـه ﷻ عقائـد باطلـة كثـيرة، وكانـت ظاهـرة الـشرك في مقدمتهـا، الـشرك باللـه ﷻ ثـم الكثـير مـن العقائـد الباطلـة، التصـورات الخاطئـة، الأفـكار الضالـة، الكثـير والكثـير مـما هـو باطـل بشـكل عقائد، بشـكل رؤية في الحيـاة، بشـكل عـادات وتقاليـد، بشـكل مواقـف، بشـكل تصرفـات وسـلوكيات.

آيات الله تحكم واقع حركة رسول الله في كل الجوانب

الآيات تأتي وما أتت به ليكون هو المتَّبع، الثقافة تكون هي الثقافة القرآنية، الفكرة تكون هي تلك التي قدمها القرآن الكريم، العقيدة تكون هي تلك التي قدمها القرآن الكريم، السلوكيات تكون منضبطة ملتزمة على أساس تلك المضامين القرآنية والتوجيهات التي أتت في القرآن الكريم، وهكذا كانت حركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن تلاوته مجرد تلاوة صوتية يستمع الناس إليها ليستحسنوا ذلك الصوت الجميل، أو مجرد تلاوة يتأثر الناس بها وجدانيًا فحسب وينتهي الموضوع. إلا، ما يقدم للواقع العملي ليتم الالتزام به عمليًا، يعني: تلاوة لهدى يسير الناس عليه، يتمسكون به، يلتزمون به، مشروع للحياة، منهج للحياة، وهكذا كانت حركة رسول الله من موقعه كرسول، موقعه في الرسالة الإلهية كرسول يتحرك ويقدم هذا الهدى إلى الناس، يتلو عليهم آيات الله ليهتدوا بها، فيغير بتلك الآيات الكثير من الأفكار الظلامية والخاطئة، والرؤى الخاطئة، وليصلح بها في واقع هذه الحياة، وليقدم بها تعليمات وتوجيهات وأوامر من الله سبحانه وتعالى إلى ميدان الحياة وإلى واقع الحياة، وهذا ما **يجب** أن نركِّز عليه في واقعنا من جديد، واقعنا العربي، واقعنا الإسلامي الذي ابتعد كثيرًا عن طبيعة هذه العلاقة مع آيات الله، علاقة الاهتداء والاتباع، كم هناك من أفكار، من أطروحات تقدَّم في الساحة بعيدًا عن القرآن الكريم، كم هناك من مواقف لدى الكثير من الناس والأطراف والجهات بعيدة عن القرآن الكريم، كم هناك من ولاءات وعداوات وتوجهات، كم ظهرت في الساحة من مشاكل نتيجة هذا الابتعاد عن القرآن الكريم.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، فهو كان- كرسول من عند الله- قناة وصل مع الله، لا يقدم من تلقاء نفسه، وليس له أهداف شخصية أبدًا، يدعو إلى

الله، ويأتي بهدى الله، ويتحرك على هذا الأساس، آيات الله، كلماته، نوره، هديه، الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، آيات الله التي هي من كتابه الحكيم، كلها آيات أحكمت، كلما فيها: حكمة، وحق، وخير، وهداية، ونور، آيات الله التي ينقذنا بها، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[الحديد: من الآية ٩]، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم: من الآية ١]، الظلمات بشكل مفاهيم مغلوطة، أفكار ضالة، اتجاهات خاطئة، عقائد باطلة، سلوكيات منحرفة، كلها ظلمات يحتاج الإنسان إلى الإنقاذ منها، تؤثِّر على حياة الإنسان، وتشكِّل خطورة على الإنسان في الدنيا وفي الآخرة.

الرؤية القرآنية هي الحل لكل مشاكل الحياة

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، الآيات التي تضمنها القرآن الكريم، وهي نور، وهي هدى، وهي حقٌّ محضٌ لا باطل فيه، وهي التي تقدِّم لنا البصائر والحقائق في كل أمور الحياة المهمة ذات الصلة بمسؤوليتنا، وما يترتب عليه في حياتنا خيرٌ أو شر، تقدِّم لنا في ذلك الهداية اللازمة التي فيها الخير والصلاح والفلاح، ثم تمثِّل تلك الرؤية حلًا لمشاكل الحياة في كل اتجاهاتها، عندما جاء الإسلام كم كان هناك من مشاكل وأزمات في الواقع العربي، ثم في الواقع العالمي، مشاكل كثيرة كانت قائمة، وكثيرٌ منها باتت اليوم قائمة، بقدر ما ابتعدت الأمة عن القرآن، بقدر ما خالفت منه، بقدر ما جهلت من هديه؛ **نشأت** مشاكل كثيرة، آنذاك كانت هناك مشاكل كثيرة، **أزمات كثيرة:** المشاكل السياسية، المشاكل الاقتصادية، المشاكل الاجتماعية... كثير من المشاكل كانت قائمة، آيات الله بما فيها من هدى، بما فيها وبما لها من عطاء تربوي، وبما فيها من

تشريعات وتوجيهات وتعليمات مثَّلت حلًا للمشاكل التي يعاني منها الناس، مشكلة الاختلاف، والتناحر، والعداوات، والتشرذم، كانت من أبرز المشاكل في الواقع العربي، العرب فيما بينهم كانوا مختلفين ومتشرذمين ومتباغضين، وكانت تسودهم العصبية، كانت سائدة في الواقع العربي- إلى حد كبير- العصبية بكل أشكالها، كانوا يختلفون على المستوى الديني في كثيرٍ من العقائد، حتى في الأصنام، قبيلة معها صنم، وقبيلة معها صنم آخر، وقبيلة معها صنم ثالث، أولئك اسم صنمهم (اللات)، والآخرون (العزى)، والآخرون (مناة)، والآخرون (هُبل)، والآخرون... قائمة طويلة من أسماء الأصنام، يختلفون في كثيرٍ من المواقف، العصبيات فيما بينهم، **العصبيات العنصرية:** بنو فلان، وبنو فلان، وبنو فلان... أو القبيلة: قبيلة كذا، وقبيلة كذا، وقبيلة كذا... الخلافات بكل أشكالها كانت موجودة في الواقع العربي، كلها عالجها الإسلام عندما التقت الأمة على رؤية واحدة، ليس فيها أحد يستغل أحدًا، الكل عبيدٌ لله ﷻ الكل يتجهون ليس على أساس رؤية لطرف يستغل بها طرفًا آخر. إلا، هدى الله الذي هو خيرٌ للناس جميعًا، هدي الله الذي يلتقي عليه الكل من الله ﷻ السقف واحد (العبودية لله ﷻ)، فكانت تمثل حلًا لمشاكلهم، وصلاحًا لحياتهم، وإذا جئنا لنقيِّم النتائج، ماذا بعد أن تحرك الرسول بتلك الآيات في الواقع؟ سنأتي لنشير إلى ذلك -إن شاء الله- بعد أن نصل إلى هذا الموطن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، بعد أن نستكمل هذه نعود إلى تقييم كيف كانت النتائج.

ضرورة التوازن بين البناء المعرفي والتهذيب النفسي

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، يتجه -أيضًا- ليس فقط ليقدِّم لهم التوجيهات كمعارف ومعلومات، وتنتهي المسألة عند هذا الحد، أو حتى كمنهج للحياة يلزمون به عمليًا هكذا من دون أن يؤخذ بعين الاعتبار تزكية النفس البشرية، مهما قُدِّم للإنسان من أفكار عظيمة، من توجيهات صالحة، مهما طُلِب منه من أعمال إيجابية، أو مواقف إيجابية، إذا لم يلحظ جانب التزكية للنفس تبقى هذه مشكلة كبيرة **جدًّا** لدى الإنسان، يمكن أن يعرف الإنسان أشياء مهمة في هذه الحياة ذات قيمة أخلاقية وإنسانية كبيرة، ولها إيجابية في واقع الحياة وأثر طيب في واقع الحياة، فيها خير، فيها مصلحة، ولكن إذا لم تكن نفسه زاكية، وإذا لم يتجه بدافع هذا الزكاء في النفس للأعمال الزاكية، يمكن أن ينحرف، يمكن أن يتعمد التوجه للأعمال السيئة، والأعمال السلبية، والسلوكيات السلبية، وهو يعرف أنها أعمال سيئة، وأنها تصرفات سيئة، ويتعمد فعل ذلك، لماذا؟ لأن عنده خلل في زكاء نفسه.

النفس البشرية خلقها الله ﷻ وجعل فيها قابلية للزكاء والخير والصلاح، وقابلية للفساد، وللانحطاط، وللظلم والظلام والانحراف، يمكن أن تزكو هذه النفس، ويمكن أن تتدنس هذه النفس، وتفسد هذه النفس، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، فالنفس البشرية قابلة لأن تزكو، لأن تصلح، لأن تطهر، لأن تسمو، لأن تنمو فيها البذور التي فطرت النفس البشرية عليها (بذور الخير)، الإنسان في فطرته يحب الخير، يحب السمو، يحب الشرف، يحب مكارم الأخلاق، يشعر بعظمتها، بقداستها، ينجذب إليها، ولهذا نجد في الساحة البشرية والواقع البشري حتى الأشرار كيف يسعون دائمًا أن يقدِّموا لما

هم عليه عناوين إيجابية، **مثلًا:** لا يحبِّذون أن يرفعوا عنوان الباطل صراحةً، فيسمون باطلهم بحق، ويقدِّمون أنفسهم أنهم أهل الحق؛ **لأن** الإنسان في فطرته مفطور على أن يتبع الحق، وأن يعظِّم الحق، وأن يؤمن بأن الشيء الصحيح الذي يفترض أن يتبع في هذه الحياة، وأن يلتزم به هو الحق، ولذلك كل فئات الباطل لا تأتي لتعترف على نفسها بصراحة على أنها جهات باطل، إذا كانت هي حالات نادرة وشاذة لا اعتبار لها ولا حضور لها في الواقع البشري بشكلٍ كبير، ولكن يحاولون، حتى فرعون يقول لقومه: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر: من الآية ٢٩]، يرفع عنوان الهداية، ويرفع عنوان الرشاد، تجد كذلك عناوين لفسادهم بالإصلاح، يحكي الله عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة: الآية ١١]، فيسمون فسادهم بالصلاح.

الواقع البشري يعترف بسمو القيم والأخلاق العظيمة، والأشياء السيئة يعترف البشر بسوئها وقبحها، إنما يشتغلون على تبريرات لها، أو فلسفات، أو عناوين، ويتعبون في ذلك، يتعبون في التبرير لها، وفي التفلسف لها.

فالنفس البشرية قابلة للزكاء، لكن إذا لم يكن هناك اهتمام بتزكيتها تفسد، وإذا فسدت انحرف الإنسان وكان عنده اندفاع داخلي للانحراف، اندفاع نفسي نحو الانحراف، وحينئذٍ لا ينفع فيه معرفة الحق، ولا معرفة الخير.

عملية التزكية هذه التي تتجه نحو الإنسان لإصلاح نفسه، ولتنمية مشاعر الخير في نفسه، ولتنمية الاتجاه الإيجابي في نفسه، الاتجاه نحو القيم الفضلى، ونحو مكارم الأخلاق، ونحو الحق، ونحو السمو، ونحو الأعمال الزاكية، الإصلاح للنفس البشرية لإبعادها عن الخبائث من الأعمال والتصرفات والسلوكيات، وإبعادها عن الرذائل، وإبعادها عن المفاسد،

والسمو بها حتى تحمل اهتمامات زاكية، واتجاهات زاكية، وميول صالحة، تحب مكارم الأخلاق، تعشق حميد الصفات، تنشد إلى ما فيه خيرٌ وسموٌ وشرف، تترفع عن الرذائل والخسائس والنقائص المسيئة للإنسان في أخلاقه وشرفه وفي حياته، والمضرة بواقع حياته، يحتاج الإنسان إلى جهد.

رسالة اللّه أعظم برنامج لتزكية النفس

أعظم برنامج لتزكية النفس البشرية هو في رسالة الله، أشياء كثيرة في رسالة الله ﷻ تتجه نحو تزكية الإنسان، وتترك أثرًا عظيمًا في تزكية نفسه، بدءًا بإيمانه بالله ﷻ الإيمان الصادق، الإيمان الواعي، الإيمان الفعلي الذي يترك أثرًا عظيمًا في مشاعر الإنسان، تمتلئ بالمحبة لله ﷻ هذا له أثر في طهر المشاعر، في نقائها، في صفاء الوجدان الإنساني إلى حدٍ كبير، إذا سكنت في مشاعرك المحبة لله ﷻ ونمت وعظمت؛ **تركت** أثرًا إيجابيًا في شعورك ووجدانك واتجاهك في هذه الحياة، وسمو روحك، الخوف من عذاب الله ﷻ التعظيم لله والاستشعار لعظمته ولرقابته، الإيمان بالمعاد والحساب والجزاء، كل هذا له أثر مهم في تزكية النفس البشرية، والانطلاقة في هذه الحياة بمسؤولية، وإدراك لقيمة هذا الوجود البشري، وماذا يعنيه، وما هو دور هذا الإنسان في هذه الحياة، وما ينتظره من حساب ومن مستقبل كبير **جدًّا**: إما في الخير، وإما في العقاب.

ثم كثيرٌ من العقائد، كثيرٌ- أيضًا- مما ورد في القرآن الكريم مما يحبب للإنسان الخير، مكارم الأخلاق، ما ورد عنها مما يحببها لهذا الإنسان، مما يشده نحوها، مما يرغبه فيها، فيما ترى فيها من إيجابية في هذه الحياة، فيما يترتب عليها من نتائج، فيما تمثِّله من سمو للإنسان وزكاء وارتقاء وصلاح لحياته، ثم كذلك التدخل الإلهي، الرعاية الإلهية التي تساعد في صلاح هذا الإنسان، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:الآية ١٧]، الله

ﷻ يقول: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النور: من الآية ٢١]، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ [النور: من الآية ٢١]، الله بفضله وبرحمته هناك جانب أساس من رعايته يتجه نحو الإنسان لتزكيته، عطاء إضافي من الله ﷻ.

تشريعات- كذلك- مهمة، تحميك من الأشياء التي تدنِّس نفسك، تلوث مشاعرك، تصيب قلبك ومشاعرك ووجدانك بالرجس، فتأتي كثيرٌ من التشريعات لتحميك منها، وتبعدك عنها؛ **فتصونك،** وتحافظ على وجدانك ومشاعرك، كثير من التشريعات الإلهية والأعمال المهمة التي يأمرنا الله بها، أو يرشدنا إليها ويحثنا عليها، تترك أثرًا من الزكاء في نفس الإنسان، وهكذا برنامج واسع يساعد على تزكية هذا الإنسان.

والرسول ﷺ **من موقعه في الرسالة** فيما يدعو إليه، فيما يربي عليه، فيما يحرك الأمة فيه، فيما يقدمه من إرشادات وتوجيهات وتعليمات ليزكي الأمة، **مسار رئيسي في حركة الرسالة وفي مضمونها يتجه نحو تزكية الإنسان،** إذا لم تتزك نفسية الإنسان- لو بلغ ما بلغ- يمكن أن يصل إلى مستوى عالم ديني بالمفهوم السائد، **يعني:** يحمل كثيرًا من المعلومات عن الدين، عن الشرع الإلهي، عن المعارف الدينية، وفي نفس الوقت يكون في غاية السوء مثلما سيأتي ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ [الجمعة: من الآية ٥]، **(كَمَثَلِ الْحِمَارِ) هل يمكن أن تقول:** أن الحمار يحمل نفسا زاكية، وتوجهات زاكية، وأخلاقا فاضلة، ويحمل من مضمون ما يحمل من كتب، حتى لو حمَّلوه أسفار التوراة، هل سيحمل مضمونها الأخلاقي والعملي في نفسيته، وشعوره، وسلوكياته، وفهمه، وبصيرته؟ |لا|، حمار، ولذلك هذا الجانب أساسيٌ **جدًّا،** حتى في الواقع العملي والاستقامة العملية لا تتحقق

إلَّا بهـذا، إذا أُهمِـل هـذا الجانـب لا تنفـع الجوانـب الأخـرى. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويريـد اللـه للمجتمـع المسـلم أن يكـون مجتمعًـا زاكيًـا في النفسـيات والتصرفـات والأعـمال، أن يبتعـد هـذا المجتمـع عـن المفاسـد، عـن الرذائـل، عـن القبائـح، عـن الفواحـش، عـن الجرائـم، يتـزكى فيبتعـد عـن ذلـك حتـى بدافـع نفـسي.

عملية التعليم في حركة الرسول الأكرم

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ **(وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ):** كيـف كانـت عمليـة التعليـم هـذه مـن رسـول اللـه ﷺ؟ هـل هـي كالحالـة الروتينيـة التـي سرنـا عليهـا [مـدارس لتعليـم القـرآن الكريـم وتحفيـظ القـرآن الكريـم، يتـم الاهتـمام فيهـا بحفـظ النـص القـرآني، أو قـراءة النـص القـرآني، ثـم المرحلـة التـي تـلي ذلـك التجويـد وأحـكام التجويـد، فـإذا تـم القفـز إلى مرحلـة أعـلى، فتلـك المرحلـة هـي بعـض المعـاني للمفـردات، ويتدخـل الكثـير مـن اتجاهـات المذاهـب بأفكارهـم، بتوجهاتهـم في بعـض المعـاني لفرضهـا كمعـاني للنـص القـرآني، مـما يلائـم مـا هـم عليـه مـن مذاهـب وأفـكار واتجاهـات، وتحسـب عـلى القـرآن، عـلى أنهـا تفسـيرٌ لمعانيـه وهـي بعيـدة]، وهـذه الحالـة لم تؤثـر- في واقعنـا البـشري، في واقعنـا في السـاحة الإسـلامية- الأثـر المفـترض للقـرآن الكريـم، الأثـر العظيـم الـذي يصلـح واقـع الحيـاة، الـذي يجعلنـا أمـةً مسـتنيرة، مبـصرة، واعيـة، تـرى الكثـير ممـن يتجهـون هـذا الاتجـاه، ممـن لديهـم هـذه المنهجيـة يتجهـون في واقـع الحيـاة في مواقفهـم، في تصرفاتهـم بعيـدًا عـن القـرآن الكريـم.

الرسـول في عمليـة التعليـم هـذه كان ضمـن مسـيرة عمليـة ارتبـط بهـا واقـع عمـلي، لم يعمـل لـه -مثـلًا- مدرسـة معينـة ويجلـس فيهـا ليبـدأ بعمليـة التعليـم، يُقَـرِّئ مـن بجنبـه سـورةً سـورة، أو صفحـةً صفحـة، مـن أول القـرآن مـن سـورة

الفاتحة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:١-٢]، إلى سورة الناس ويختم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾[الناس: الآية ٦] وانتهى الموضوع، وعلَّمهم الكتاب وانتهت المسألة، **عملية تعليم الكتاب كانت عمليةً مرتبطةً بواقعٍ عملي، وهذا ما يجب على الأمة أن تلحظه: كيف يعود ارتباطنا العملي بالقرآن الكريم ضمن مسيرة عملية**، طيب أن يكون هناك اهتمام بتعليم القرآن، واهتمام بتحفيظ القرآن، وعناية بحفظ النص القرآني، وعناية بالقراءة للنص القرآني، هذا أمرٌ مطلوب، **نحن لا نقول:** أنه خطأ في نفسه بحد ذاته، الخطأ هو الاقتصار عليه، الخطأ عندما يتحول هو المفهوم عن عملية تعليم الكتاب حصرًا، الخطأ عندما يتم الاقتصار عليه كمسار يكفي في طبيعة العلاقة مع القرآن الكريم.

الرسول ﷺ **تَنَزَّل عليه القرآن الكريم** ضمن مسيرة الرسالة على مدى سنوات طويلة، منذ أن بُعِثَ حتى العام الذي توفي فيه، وكان القرآن يأتي ضمن واقع عملي في كثيرٍ من الحالات، وكان يقدِّم القرآن الكريم مرتبطًا بواقعٍ عملي، عندما تأتي آيات النفير للجهاد تُقرَأ على الناس، لماذا؟ ليحفظوها وينتهي الأمر عند حفظها؟! ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾[التوبة: من الآية ٤١]، ويهتمون فيها بأحكام التجويد والإدغام... وما إلى ذلك وانتهى الموضوع؟! أو عند حد التفسير للمفردات، ماذا تدل عليه مفردة النفير؟ كانت تأتي لتدفع الناس إلى الميدان ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً﴾، فيتحرك الناس، تعليم يرتبط به عمل، يرتبط به تطبيق، يرتبط به اتجاه في الحياة للالتزام بهذا الكتاب بما فيه من تعليمات، كانت تأتي آيات تصلح للناس كثيرًا من أفكارهم، **تأتي إلى واقعهم في الحياة فيما فيه من مشاكل:** آية تحل مشكلة، آية تدفع إلى عمل، آية لتحدد موقفًا، وعليهم أن يتبنوه، آية لتصحح مفهومًا خاطئًا ويعرف الناس أن عليهم أن يحملوا ذلك المفهوم القرآني، ولا يتشبثوا بذلك المفهوم الخاطئ

الذي هو مفهوم ظلامي، وأن ينبذوه ويتركوه، آية تنهاهم عن تصرف معين، آية تحل حلالًا معينًا ليلتزم الناس به، وآية تحرم حرامًا معينًا ليتركه الناس.

تأتي آية: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[البقرة: من الآية ٢٧٨]، تأتي آيات النهي عن الربا ليلتزم الناس فيتركوا الربا، وهكذا ارتبطت عملية التعليم بمسيرةٍ عملية، وبواقعٍ عملي، وبالتزامٍ عملي، ونزلت إلى واقع الحياة؛ **لتربي**، لتصلح، لتحل المشاكل، لتعالج الواقع، لتبني الحياة، لتبني الحياة، فهكذا كان يُعَلِّم، هكذا كان تعليم رسول الله ﷺ ولم يكن تعليمًا نخبويًا اقتصر على مجموعة طلاب، وتم تسجيلهم في كشف، وأدخلوا إلى المدرسة، وحددت لهم رسوم، وانتهى الموضوع، مشروع الرسالة الإلهية يتجه إلى الناس جميعًا، إلى الجميع، يوجَه لهم الهدى، ثم تأتي الاستجابة ممن يتوفق للاستجابة، تتفاوت مستويات الاستجابة في واقع الناس بين مطيعٍ وعاصٍ، وبين مطيعٍ بشكلٍ جيد، بين مطيعٍ بشكلٍ أفضل، بين أكثر طاعة، أكثر استجابة، أكثر إيمانًا، ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٣]، كما في الآية المباركة، ولكن يكون هناك واقع هو هذا الواقع فيه أمر بمعروف، نهي عن منكر، تواصي بالحق، تواصي بالصبر، دعوة إلى الخير، دفع بالناس نحو هذا الاتجاه فيكون هو الاتجاه السائد والقائم.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما يرضيه عنا، وأن يهدينا بكتابه، ولاتباع رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

رحمة للعالمين

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

المحاضرة الثالثة ١١ ربيع الأول

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

نواصل الحديث على ضوء الآيات المباركة التي تحدثنا عن نعمة الله ومنَّته علينا، على عباده الأمين ببعثة رسول الله، خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد صلوات الله عليه وعلى آله إليهم، الرسول الذي هو رحمة للعالمين كما قال الله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: الآية ١٠٧]، الذي جعل الله به وبما أنزل معه من الهدى الخلاص للبشرية، الفرج، الفوز، السعادة، الخير في الدنيا والآخرة.

العناية الإلهية بالنص القرآني

سبق في الآيات المباركة حديث مهم عن الرسالة الإلهية في مضمونها المهم، المتمثل بكتاب الله، بآياته المباركة، وحركة الرسول ﷺ على هذا الأساس، حركته بالرسالة، حركته بالقرآن الكريم، بآيات الله التي يتلوها على الناس، آيات الله التي هي أعلام على حقائق: حقائق من النور، حقائق من البينات، حقائق من الواقع، حقائق من التشريعات، حقائق من العقائد، آيات الله ﷻ **تمتاز بهذه الميزة:** أنها كلها حقٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: من الآية ٤٢]، كتاب الله هو حقٌ محضٌ خالصٌ لا تشوبه أي شوائب أبدًا، ومن نعم الله أن حفظ لنا القرآن الكريم في نصه سليمًا من أي تحريف، ولذلك عَمِدَ الآخرون من المضلين والمبطلين والمفترين إلى التركيز على أسلوب آخر، عندما كانوا عاجزين عن تحريف النص القرآني، ولم يتمكنوا من ذلك كما فعلت اليهود في السابق فحرفوا التوراة، وكما فعلوا أولئك المضلون الذين حرفوا الإنجيل، أو كادوا أن يضيعوه بشكلٍ كبير، كان هناك عجز لدى كل فئات الضلال من المحسوبين على الإسلام، ومن خارج الأمة الإسلامية، كل فئات الضلال عجزت عن تحريف النص القرآني؛ لحفظ الله له، كما قال الله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: الآية ٩]، هذه نعمة عظيمة **جدًّا**، الرسول تحرَّك يتلو آيات الله التي هي حقٌ وصدقٌ وعدل، ليس فيها ما يجافي الحقيقة، أو يتجاوز الحقيقة، وينقص عن الحقيقة، كما قال الله جلَّ شأنه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: من الآية ١١٥]، حقائق لا يستطيع أحد أن يبدِّلها- أبدًا، ولا يأتي في الواقع- حتى عبر الزمن في امتداده إلى قيام الساعة- لا يأتي ما يدل على بطلان تلك الحقائق التي نصت عليها آيات القرآن

الكريم؛ **لأنها** آيات الله جلَّ شأنه التي هي من منبع علمه وحكمته، وهو جلَّ شأنه عالم الغيب والشهادة، يعلم السر في السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيءٌ أبدًا في واقع الخلق والحياة، لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل.

حركة الرسول بالقرآن الكريم

فالرسول تحرك بهذه الآيات التي هي تدل على الحق، تدل على الخير، تدل على الصلاح، تدل على ما فيه حل لمشاكل الناس، تدل على ما يوجه الله إليه ويأمر به مما هو من دينه ﷻ تدل الناس على الخير في الدنيا والآخرة، وعلى سبيل النجاة من عذاب الله وسخطه، وإلى ما فيه مرضاته ﷻ **وآيات لا ريب فيها ولا شك فيها:** لا في أنها من الله، هذا أمرٌ محتومٌ وثابتٌ وقاطع، ولا فيما تضمنته باعتباره حقًا وحقائق، وباعتباره خيرًا ورشدًا لهذا الإنسان، وحركة الرسول ﷺ بالكتاب، يتلو آيات الله- وكما قلنا- تلاوة مرتبطة بمسيرة عملية، تلاوة للآيات التي يهدي بها هداية تتصحح من خلالها أفكار الناس، ثقافاتهم، مفاهيمهم، تصحيح للواقع، إصلاح للواقع، تغيير للواقع نحو الاتجاه الصحيح.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وتحدثنا بالأمس عن أهمية التزكية للنفس البشرية، وأنها ركنٌ أساس في تغيير واقع الناس وفي إصلاحهم وإصلاح واقعهم، وركنٌ أساس في المشروع الإلهي، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، تحدثنا -كذلك- عن كيفية هذا التعليم.

الحكمة وموقعها في الدين الإسلامي

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ .**وصلنا إلى هذه النقطة: موضوع الحكمة،** وهو- أيضًا- موضوع رئيسي، **ومن أعظم ما في القرآن الكريم، من أعظم ما في الرسالة، من أعظم ما تستفيد منه الأمة من رسول الله ﷺ الحكمة**، الإنسان كإنسان، حتى كفرد، والأمة كأمة في أمسِّ الحاجة إلى الحكمة؛ **لتكون** تصرفاتهم حكيمة، لتكون مواقفهم حكيمة، لتكون أعمالهم حكيمة، لتكون أقوالهم حكيمة، لتكون رؤاهم حكيمة، الإنسان يحتاج إلى الحكمة كرؤية، كفكرة؛ **لأنه** ينطلق على أساس رؤية عملية معينة، عنده فكرة معينة يتحرك في هذه الحياة على أساسها، أو يتخذ موقفًا بناءً عليها، إذا كانت تلك الرؤية والفكرة خاطئة، غير صحيحة، غير صائبة؛ **ينتج** عن ذلك تصرف غير صحيح، أو موقف غير صحيح، أو عمل غير صحيح، غير صائب، البديل عن الحكمة هو الحماقة، البديل عن الحكمة العشوائية، الخطأ، الفوضى، ينحرف الإنسان لا تكون تصرفاته صائبة، ولا ناجحة، يخطئ، هذا هو البديل عن الحكمة.

فالإنسان بحاجة إلى أن يتعلم الحكمة؛ ليكون حكيمًا في رؤيته، في فكرته، في تصرفه، في أقواله، في أفعاله، في اتجاهاته العملية، يحتاج إلى الحكمة، وهذا من أهم المواضيع أساسًا في الدين الإسلامي، **ونحن نقول:** أنَّ من أكبر الخسائر التي تكبَّدتها الأمة في إعراضها عن القرآن الكريم فيما يهدي إليه من: مواقف، وأعمال، وتصرفات، ورؤى، من أكبر الخسائر الكبيرة التي تكبَّدتها الأمة أنها فقدت الحكمة، وأصبحت في كثيرٍ من تصرفاتها ومواقفها العامة تخطئ، وتتصرف بطريقة خاطئة تمامًا، وتتبنى مواقف خاطئة، كثير من الزعماء، كثير ممن تناط بهم مسؤوليات وأدوار، **ولهم نفوذ في واقع الناس:** رئيس، ملك، زعيم، أمير، قائد... لا يمتلكون الحكمة؛ **فتكون** الكثير من قراراتهم قرارات خاطئة، الكثير

مـن مواقفهـم مواقـف خاطئـة، الكثـير مـن تصرفاتهـم خاطئـة ومغلوطـة وباطلـة وفاسـدة وظالمـة، يترتـب عليهـا كـوارث في واقـع حياة النـاس، إذا فقد النـاس الحكمة تـضرروا، **النتيجـة هـي:** أن تكـون العواقـب السـلبية والسـيئة لخياراتهـم الخاطئـة، ومواقفهـم الخاطئـة، وتوجهاتهـم الخاطئـة... عواقب وخيمـة عليهم في واقـع الحياة.

أحيانًـا إذا اتجـه النـاس في بلـد معـين، أو في منطقـة معينـة لاتخـاذ خيـار خاطـئ غـير حكيـم، واتجـاه خاطـئ غـير صائـب ولا حكيـم، وموقـف خاطـئ غـير صائـب ولا حكيـم... يدفعـون ثمـن ذلـك الخيـار الخاطـئ والاتجـاه الخاطـئ عـلى مـدى أجيـال، يرزحـون بسـبب ذلـك في ظلـمٍ وعنـاءٍ شـديد **جـدًّا**، يهانـون، تمتهـن كرامتهـم، يتـضررون بشـكل كبـير، في نهايـة المطـاف يصلـون إلى قناعـة أنَّـه لا خيـار لهـم إلَّا ذلـك الخيـار الـذي أعرضـوا عنـه في البدايـة، فرَّطـوا فيـه في البدايـة.

مثـلًا: لـو اتخـذ الشـعب الفلسـطيني والأمـة الإسـلامية خيـارًا حكيـمًا في التصـدي للكيـان الصهيـوني في بدايـات سـعية لاحتـلال فلسـطين، وهـو- آنـذاك- بـدأ تحركـه بشـكل جماعـات، مجموعـات، وعصابـات معينـة، عصابـات منظَّمـة تمـارس الإجـرام بحـق الشـعب الفلسـطيني، ترتكـب الجرائـم، وفي تلـك المرحلـة المبكـرة مـن ذلـك النشـاط اليهـودي في بداياتـه الأولى ومسـاعيه الأولى لاحتـلال فلسـطين، لـو اتخـذ الخيـار الحكيـم والقـرار الحكيـم والموقـف الحكيـم الـذي يرشـد إليـه القـرآن في ظـروفٍ كتلـك، وهـو الجهـاد في سـبيل اللـه، **الجهـاد في سـبيل اللـه هـو الخيـار القـرآني عندمـا يكـون هنـاك تهديـد للأمـة مـن عـدوٍ مـن أعدائهـا، يريـد أن يجتاحهـا، يريـد أن يحتـل أرضهـا، يريـد أن يسـيطر عليهـا، يريـد أن يتحكـم بهـا، الجهـاد في سـبيل اللـه هـو الخيـار لظـروفٍ كهـذه؛ ليشـكِّل حمايـةً للأمـة، منعـةً للأمـة، وهـو خيـار حـق وحكيـم وإنسـاني وفطـري،** ولكـن أغلبيـة النـاس آنـذاك- الأغلبيـة في داخـل الشـعب الفلسـطيني، والأغلبيـة في داخـل الأمـة

العربيـة والإسـلامية- **كان خيارهـم، خيـارًا آخـر:** الصمـت، اللامبـالاة، الإهـمال، عـدم التقديـر للمسـألة بمسـتوى مـا هـي فيـه مـن الخطـورة؛ **لأن** الحكمـة أيضًـا يدخـل فيهـا النظـرة إلى الأمـور، التقييـم للواقـع، التقديـر للموقـف، إذا لم تمتلـك الحكمـة قـد تكـون تقديراتـك للموقـف تقديـرات خاطئـة، تستبسـط أمـورًا خطـيرة، وتتسـاهل تجـاه أمـور كارثيـة؛ **فيحصـل** عليـك كارثـة، يحصـل عـلى شـعبك كارثـة، يحصـل عـلى أمتـك كارثـة، **أنـت تحتـاج إلى الحكمـة ليـس فقـط حـين اتخـاذ القـرار، بـل مـا قبـل اتخـاذ القـرار، ومـا قبـل تحديـد الخيـار، في تقديـرك للأمـور، في فهمـك للأمـور، الفهـم الصحيـح، النظـرة الصحيحـة، التقييـم الصحيـح، الإدراك لمسـتوى الخطـر، لمسـتوى مـا يترتـب عـلى التفريـط تجـاه موضـوع معـين.**

مثـلًا: أمـام هـذا العـدوان عـلى بلدنـا، لـو اتجـه الشرفـاء والأحـرار في هـذا البلـد إلى خيـار الاستسـلام عندمـا بـدأ العـدوان، وتمكَّـن الأعداء مـن اجتياح بلدنـا دفعةً واحـدة، كيـف كان وضعنـا منـذ تلـك الفـترة إلى اليـوم؟ لكانـت المأسـاة رهيبـة وفظيعـة وتفـوق الخيـال، وتمكَّنـوا مـن السـيطرة عـلى البلـد بكلـه، عـلى الشـعب بكلـه، وحوَّلـوا الكثـير مـن أبنـاء هـذا البلـد إلى عبيـد لهـم، يرسـلونهم إلى حيـث يشـاءون ويريـدون؛ **ليقتلـوا** في سـبيل تمكينهـم من السـيطرة أكـثر، لامتهنـوا الأعراض بشـكل فظيـع، لكانـت المأسـاة في اسـتعباد هذا الشـعب وإذلالـه وإهانتـه قد بلغت إلى حـدٍ نخسـر فيـه أي ذرة مـن الكرامـة والحريـة والاسـتقلال، لوجد الناس أنفسـهم عبيـدًا لأسـوء النـاس، مسـتذلين، مقهوريـن، مهانـين، مسـحوقين؛ **خسـروا حريتهـم،** وكرامتهـم، وعزتهـم، واسـتقلالهم، وشرفهـم، وأمنهـم، واسـتقرارهم... وكل شيء، لا ديـن ولا دنيـا، ولا كرامـة عنـد اللـه ﷻ ولا عنـد خلقـه، ولا مسـتقبل لا في الدنيـا ولا في الآخـرة، ولمـا أمكـن أن يتخلـص النـاس مـن وضعيـة يمكنـون هـم أعدائهـم مـن أنفسـهم فيهـا إلَّا بعنـاء شـديد **جـدًّا جـدًّا**، ربمـا عـبر أجيـال كثـيرة، وبثمـن باهـض،

وبعد أن يذوق الناس الهوان على أسوء ما يمكن أن يتوقعوه وأن يتخيلوه.

الحكمة.. في حركة الرسول الأكرم

فإذًا، الإنسان كفرد، والأمة كأمة بحاجة إلى الحكمة في فهمهم للأمور، ونظرتهم إليها، وتقديرهم للمواقف، وقراءتهم للواقع، ونظرتهم إلى الواقع، وبحاجة إلى الحكمة في اتخاذ القرارات، في تحديد الخيارات، وبحاجة إلى الحكمة كسلوك، بحاجة إلى الحكمة في التصرف، في المعاملة، في القول، في الفعل، الإنسان بحاجة إلى الحكمة، **من أعظم ما في دين الله، في الإسلام، في الرسالة الإلهية، هو أنك إذا ارتبطت به بشكل صحيح يعلِّمك الحكمة؛ فتكون حكيمًا في تصرفاتك، في أعمالك، في مواقفك، ومن أعظم ما يجب أن نفهمه- وهو في غاية الأهمية- أن حكمة الرسالة الإلهية، حكمة القرآن، وحكمة الرسول هي مستمدةٌ من حكمة الله ﷻ الذي هو أحكم الحاكمين، هي الحكمة في أعظم مصاديقها ومفاهيمها وكمالها، حكمة كاملة، حكمة الله التي علَّمها نبيه، حكمة الله التي أودعها في كتابه؛ ولذلك** يسمي القرآن بأنه حكيم، وتكرر في القرآن الكريم الوصف للقرآن الكريم بالحكيم، الوصف للنبي- أيضًا بناءً على ذلك- بالحكيم، بل هو معلِّم الحكمة، ليس فقط حكيمًا، بل حكيمًا ومعلِّمًا للحكمة، على درجة عالية من الحكمة، وهو يعلم الحكمة فيما حدده من مواقف، في تصرفاته، في قراراته، في مواقفه، في سيرته العملية، في إرشاداته وتوجيهاته، **وأعظم ما اعتمد عليه الرسول** ﷺ **في مسألة الحكمة والتزكية والهداية على القرآن الكريم؛ ولهذا ارتبطت مهمته بالقرآن بشكل رئيسي.**

ولهذا عندما نتأمل النص القرآني: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، نجد في هذا النص ربطًا بشكل قوي **جدًّا** ما بين الرسول والقرآن، فالرسول تحرك بهذا القرآن، ومهمته اقترنت بهذا الكتاب بشكل

رئيسي لا فكاك ما بين الرسول والقرآن.

التلازم التام بين الرسول والقرآن وخطورة الفصل بينها

ولذلك كانت عملية الفصل بين الرسول والقرآن منفذًا لبعض المضلين والمبطلين في تحريفهم للإسلام ومفاهيمه، تحريفهم لمفاهيم الإسلام وافتراءاتهم على الرسول ﷺ فاختلقوا بعضًا من الروايات المكذوبة وغير الصحيحة، افتروها واختلقوها كذبًا وزورًا ونسبوها إلى رسول الله ﷺ وقدَّموا من خلالها ما يخالف القرآن: مفاهيم مخالفة للقرآن، أحكامًا وتشريعات مخالفة للقرآن، عقائد مخالفة للقرآن، ثقافات مخالفة للقرآن، أعمالًا وممارسات يدفعون الناس إليها تخالف القرآن الكريم؛ لأنه افترضوا أنَّ الرسول هناك لوحده مشتغل، ويتحرك في اتجاه والقرآن في اتجاهٍ آخر، **لم تكن المسألة على هذا النحو:** أن الرسول كان يتحرك في مسارٍ لحاله، في اتجاهٍ هناك والقرآن في اتجاهٍ آخر. إلا، كان هناك تلازمٌ تام ما بين الرسول والقرآن، وحركة الرسول في إطار هذا القرآن، وعندما يتجه في الواقع التفصيلي والعملي فهو يتجه بوحيٍ من الله، وبأسس ثابتة وموجودة في هذا القرآن، **يعني:** ليس هناك في حركة الرسول، ولا في إرشاداته، ولا في توجيهاته، ولا في سيرته العملية، ولا في أقواله ما يمكن أن يصح عنه ويخالف القرآن الكريم؛ **لأن** الرسول كان ملازمًا للقرآن، التفاصيل العملية التي تحرك فيها أساسها في القرآن، أصلها في القرآن الكريم، ولم يكن يتجه بعيدًا عن هذا القرآن، وتجد في القرآن الكريم هذا الربط بشكلٍ كبير **جدًّا**، يقول: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ [الأعراف: من الآية٢]، ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الأنعام: من الآية٥١]، **يعني:** القرآن، وهكذا في التذكير، وهكذا نصوص كثيرة **جدًّا** تؤكِّد على هذا التلازم، وهذا الارتباط الوثيق ما بين الرسول ﷺ وما بين القرآن، فالرسول ﷺ من موقعه في الرسالة والنبوة، من موقعه في القيادة

والقدوة تحرك ﷺ يهدي بهذا القرآن، يتحرك على أساس توجيهات الله ﷻ وأوامره في هذا القرآن، يعطي لهذا القرآن حيوية وفاعلية في الواقع، **يعني**: لم تكن عملية تعليم وفق الحالة الروتينية السائدة في واقعنا، بل عملية تعليم ارتبط بها عمل، ارتبط بها واقع، ارتبط بها حركة في الساحة، ارتبط بها نشاط عملي، ارتبطت بها مواقف، آية تتضمن موقفًا معينًا يتم اتخاذ هذا الموقف في الواقع العملي، لا يتم- مثلًا- تعليم الآيات عن الجهاد لتحفظ فحسب، ثم تتلى في مناسبات، وتقدَّم عليها جوائز وانتهى الأمر، بل يبنى عليها موقف عملي في الساحة، جهاد وحركة، عندما نزلت آية الله ﷻ في قول الله جلَّ شأنه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: من الآية ٦٠]، لم تكن كل اهتمامات الرسول منصبة في أن تحفظ هذه الآية كنص قرآني فقط، ثم أن يتقن قارؤها أحكام التجويد فيها، ثم الذي يكون على مستوى أكثر وأكبر، الذي يحفظها عن ظهر قلب **(غيبًا)**، ثم ذلك الذي يمتاز أكثر يضيف إلى ذلك تفسير المفردات... وهكذا، بل كان يتجه إلى الواقع ليربي من ينطلق معه على هذا الأساس ليعد ما استطاع من قوة، ليكون هذا توجهًا عمليًا، كل مسلم مأمور بأن يعد ما يستطيع من القوة للتصدي للأعداء، ثقافة قائمة، توجه قائم، وضمن مسار عملي واسع ترتبط به إجراءات كثيرة، اهتمامات واسعة، وعي كبير، إحساس عالٍ بالمسؤولية.

فهكذا نفهم أنَّ الحكمة في حركة الرسول، والحكمة التي أودعها الله في القرآن هي مستمدةٌ من حكمة الله، ولن نكون حكماء في أي موقف، أو توجه، أو تصرف، أو عمل، أو قول، أو فعل، أو مسار، أو سياسة تخالف هذه الحكمة التي أودعها الله في كتابه.

تجليات الحكمة

الحكمة تتجسد بشكل رؤى، بشكل مواقف، بشكل أعمال، القرآن الكريم حدد لنا مواقف، إذا جئنا لما نعانيه في واقعنا اليوم، في زمننا هذا، في عصرنا هذا، في حياتنا هذه، في جيلنا هذا، ما أمامنا من مواقف، من تحديات، من أخطار، من أحداث، نجد أنَّ القرآن الكريم قد رسم الله لنا فيه المواقف الحكيمة، إذا هناك سياسي، أو زعيم، أو فيلسوف، أو منظِّر، أو مفكِّر، أو بأي صفة، أو بأي اسم، أو بأي عنوان عنده فكرة أخرى، عنده موقف آخر يختلف عن الموقف القرآني الذي أرشدنا الله إليه ودعانا إليه، فلنع جيدًا وبكل ثقة وبكل اطمئنان، بل بكل إيمان، أنَّ الموقف القرآني هو الصحيح، هو الحكيم، وأنَّ الموقف الذي يخالفه ودعانا إليه سياسيون آخرون، مفكِّرون آخرون، علماء دين آخرون، أي شخصيات تحت أي مسمى... أنهم هم في الموقف الخطأ، وأنَّ موقفهم الذي يدعون إليه هو الموقف الخطأ.

مثلًا: علينا- كشعب يمني- عدوان كبير لا نظير له في الساحة العالمية اليوم في هذه المرحلة، ما هناك أي بلد يعاني من عدوان كالعدوان الذي نعاني منه على بلدنا، عدوان شامل، يهلك الحرث والنسل، يقتل الأطفال والنساء والكبار والصغار، يدمر القرى والمدن، يجتاح الأرض، يحتل، ينتهك الأعراض... يفعل كل شيء، ما هو الموقف الحكيم تجاه هذا العدوان؟

البعض لديهم رؤية أنَّ الموقف الحكيم هو الصمت والسكوت والاستسلام، البعض رؤيتهم أنَّ الموقف الحكيم هو أن تكون في صف هذا المعتدي، وأن تتحول إلى جندي معه، تكمل معه ما نقص، تسرح تقتِّل أهل بلادك وتدمر ما استطعت من بيوتهم، وتنتهك ما استطعت من أعراضهم.

الموقف الصحيح لأمة تنتمي للإسلام، لشعبٍ ينشد الحكمة، يدرك قيمة الحكمة لدرجة أن يروى عن رسول الله أنه قال فيه: (**وَالحِكمَةُ يَمَانِيَّة**)، أن يدرك أنَّ الحكمة هي المستمدة من حكمة الله، هي حكمة القرآن، حكمة الرسول التي هي مستمدة من حكمة الله، كيف يقول الله ﷻ؟ هل قال[فمن اعتدى عليكم فاستسلموا له، واخنعوا له، واخضعوا له، واجبنوا أمامه، وتنصلوا عن مسؤولياتكم في التصدي لعدوانه]؟ أم أنَّه يقول: ﴿فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[البقرة: من الآية ١٩٤]، **أم أنَّه يقول:** ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[الشورى: الآية ٣٩]، أم أنَّه يأتي بآيات كثيرة: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، أم أنَّ آيات الجهاد التي تتحدث في صفحات القرآن الكريم على نحوٍ واسع عن الجهاد كفريضة من فرائض الله، من أهم مناسبات هذه الفريضة التي تتعين فيها هذه الفريضة عندما يكون هناك تهديد على الأمة وعدوان، مثل هذا التهديد وهذا العدوان، تهديد للأمة في حريتها، في استقلالها، في كرامتها، وعدوان شامل عليها، عدوان لا يرقب في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمة، لا يترك صغيرًا ولا كبيرًا، يستبيح كل شيء، هنا تتعين فريضة الجهاد، هنا تصبح هي التكليف، وتصبح هي الموقف الحكيم، وتصبح هي العمل الذي يرضي الله ﷻ والتفريط فيه يسخط الله ويمثِّل معصيةً لله ﷻ.

وهكذا لندرك جميعًا أنَّ من أكبر ما عانت منه الأمة فيما مضى، وتعاني منه حاليًا: غياب الحكمة، فقدان الحكمة في كثير من القرارات، في كثير من المواقف، بالذات لأصحاب القرار، الأنظمة العربية والسلطات أكثرها فقدت الحكمة نهائيًا، **من يبتعد عن القرآن الكريم في مواقفه، أو في خياراته، أو في قراراته، أو في أعماله، أو في تصرفاته، ويخالف القرآن الكريم هو حتمًا**

فقد الحكمة، كل ما يخالف القرآن هو مخالفٌ للحكمة، منافٍ للحكمة، بعيد- بكل ما تعنيه الكلمة- عن الحكمة. فالحكمة المستمدة من حكمة الله ﷻ الذي هو أحكم الحاكمين، هل هناك أحد أحكم من الله؟ إلا. الحكمة تحتاج إلى علم، الحكمة تحتاج إلى رشد، ما هناك أحد أحكم من الله.

أهمية التربية على الحكمة

ولهذا حتى يبنى الإنسان ليكون حكيمًا يحتاج إلى عملية تربوية أيضًا، ولهذا كانت المسألة مسألة تعليم، ووِفق الطريقة التي اعتمد عليها الرسول، تعليمه قرارات، تعليمه مواقف، تعليمه... مسيرة عملية، تعليمه تأكيد وتربية، دفع إلى مواقف عملية، تحرك في مواقف عملية، ولهذا كانت عملية تربوية من جانب، ومسيرة عملية أيضًا، يبنى الناس عليها لتكون اتجاهاتهم اتجاهات حكيمة.

الرسول ﷺ تحرك عندما بعثه الله رسولًا على هذا الأساس، وأحدث بهذا التحرك الذي هو من خلال آيات الله، يتلوها، يهدي بها، يصلح بها كثيرًا من أفكار الناس، من ثقافاتهم، من أعمالهم، من مواقفهم، من... الخ. ويعلمهم الكتاب والحكمة، قبل ذلك **أيضًا** يزكيهم، أحدث نقلة كبيرة في الواقع العربي أولًا، وهو كان واقعًا أمِّيًّا، واقعًا بدائيًا، واقعًا متخلِّفًا إلى حدٍ كبير، النقلة هذه التي أحدثها الرسول بهذا التحرك كيف تحققت؟.

أهمية دراسة حركة الرسول لتغيير واقع الأمة للاستفادة منها

هناك دروس مهمة جدًّا نحتاج إليها في هذا الزمن، وسيأتي قول الله ﷻ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾، النقلة التي تحققت بحركة الرسول ﷺ لتغير الواقع لأمة من حالة ضلالٍ مبين، ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ بِينٍ﴾، أمة ضائعة، ليس لها هدف تتحرك على أساسه في هذه الحياة، هدف عظيم، هدف مهم،

هـدف جامـع، هـدف صحيـح، تـؤدي دورهـا ومسـؤوليتها وحضورهـا في السـاحة العالميـة عـلى أساسـه، وليـس لهـا ارتبـاط بكتـاب سـماوي، بهـدى مـن اللـه ترتبـط بـه، وضائعـة، ونتيجـةً لهـذا الضياع عاشـت وضعًـا اقتصاديًا مزريًا، وعاشـت مشـاكل كبـيرة في واقعهـا الاجتماعـي، وعاشـت مشـاكل سياسـية لا حـد لهـا ولا حـصر، وكانـت أمـةً ممزقـة، متناحـرة، متحاربـة، وعـلى أبسـط الأشـياء يمكـن أن تكـون هنـاك حـرب ضروس وشـديدة وتسـتمر لعقـود مـن الزمـن، عـلى مسـتوى مشـكلة ناتجـة عـن سـباق بـين الخيـول، وأحيانًـا بـين الجـمال، ويحصـل حـرب لا أكـبر منهـا، مشـكلة كبـيرة **جـدًّا** فيـما بينهـم لأتفـه الأسـباب، حـالات النهـب، والسـلب، والظلم، والفسـاد، والمنكـر، والإجـرام، والفواحـش، حالـة التوحش وفقدان المشـاعر الإنسـانية الفطريـة، مـن نحـو وأد البنـات **(قتـل البنات بالدفـن لهن أحيـاء)**، والنظرة السـلبية **جـدًّا** تجـاه المـرأة، مـن مثـل أكل الميتـة، قبـل ذلـك انحـراف عجيـب عقائـدي؛ في مسـألة الألوهيـة والعقيـدة، فكانـوا يشركـون باللـه أصنامًـا مـن الجـمادات أُغـوُوا بذلـك مـن مضلـين خطيريـن، تبعيـة غبية لضالـين، ولمفسـدين، ولطغـاة، ولظالمين، ولجبابـرة، واقـع سـلبي، وواقـع متخلِّـف، حدثـت نقلـة وتغيـير لهـذا الواقـع.

هـذا التغيـير اعتمـد -أولًا- عـلى رؤيـة هـي القـرآن الكريم، هـي هـدى الله، هي توجيهـات اللـه ووحيـه، يقـود هـذه العمليـة في التغيير شـخص معين هو رسـول الله محمـد ﷺ الـذي اصطفـاه اللـه رسـولًا، وهـو خاتـم النبيـين، وهـو سـيد المرسـلين، والرسـول ﷺ رسـول للبشريـة، للعالمـين، للنـاس كافـة، منـذ مبعثه إلى قيام السـاعة؛ **لأننـا** في الحقبـة الأخـيرة مـن حيـاة البـشر، والمهمـة بنفسـها مهمـة تمتـد عـبر الزمـن وفـق ارتبـاط معـين، وفق طريقـة معينة نبنـي عليها هـذه العلاقة بالرسـول والقرآن.

طبعًـا في النظـرة التـي هـي قائمـة لـدى الكثـير مـن النـاس في زمننـا هـذا، ونحـن كعـرب، وكأمـة، وكبـشر بشـكلٍ عـام، المجتمـع البـشري مـن حولنـا، الأمـم

بكلها، الناس جميعًا يواجهون الكثير من المشاكل والأزمات، ويعانون بشكل كبير، هناك في هذا العصر قوى متسلِّطة ومتمكِّنة ومسيطرة في الساحة، على رأسها أمريكا، تتحرك وفق رؤية معينة لها أهداف، لها أفكار، لها ثقافات، لها اتجاهات، لها سياسات تحكم بها واقع الناس، وتتحرك من خلالها في واقع الناس، ولكن نشاهد أنها لم تثمر، ولم تفلح أي فلاح في الواقع البشري، لم ينتج عن سياساتها إلَّا المعاناة للبشرية، إلَّا الهوان، إلَّا الخراب، إلَّا الفساد، إلَّا الدمار، إلَّا العذاب، إلَّا الظلم، إلَّا الظلام، إلَّا الضلال، إلَّا الباطل، الحالة هي حالة ضلال، هي تقود حالة ضلال مبين، هي تزيد من مشاكل البشرية، وتفاقم من مشاكل البشرية، مما يدل بشكلٍ واضح على أنَّ صلاح الناس، على أنَّ الحل بالنسبة للواقع البشري الذي هو أرقى حل يمكن أن يكون في واقع البشرية، وطبعًا لا تخرج المسألة عن طبيعة الحياة في واقعها العام، **يعني**: مهما كان هناك من رؤية عظيمة تبقى ساحة هذه الحياة هي ساحة اختبار، يبقى فيها معاناة، يبقى فيها مشاكل، يبقى فيها تحديات، ولكن الحال يختلف كثيرًا **جدًّا** عن ما إذا كانت الأمة تتحرك وفق هدى الله ﷻ كم ستتخلص من مشاكل، كم ستتخلص من أزمات، كم ستدفع عن نفسها من محن، من كوارث، من مصائب، من نكبات، وفيما إذا أعرضت عن هدى الله ﷻ حينها لو امتلكت ما امتلكت على المستوى المادي، أو على مستوى القدرات والإمكانات، لا يغني عنها شيئًا، ولا يصل بها ذلك إلى الخير والفلاح والسعادة، بل تعيش الحياة الضنك.

الرسول ﷺ **تحرَّك بتلك الطريقة؛ فأحدث** نقلة في الواقع العربي، نتج عنها بناء أمة توحَّدت بعد أن كانت ممزقة ومختلفة، والتقت على أعظم رؤية وتحت سقف العبودية لله ﷻ وتحت قيادة النبي ﷺ فحلَّ

مشكلة الاختلاف، الاختلافات والصراعات ذات الطابع العرقي، العنصري، القبلي... كل أشكال العصبية عولجت من خلال هذا الهدى، وتحوَّلت إلى أمة واحدة تحت قيادة الرسول ﷺ حلَّ مشكلة الاختلاف، اليوم مشكلة الاختلاف مشكلة صعبة في واقعنا القائم، عالج كثيرًا من المشكلات الاجتماعية، كثيرًا من المشكلات الاقتصادية، عالج المشكلة السياسية بشكلٍ تام، أصلح واقع الحياة على نحوٍ عظيم، وأحدث نقلة وفارقًا كبيرًا: من حالة الضلال المبين، إلى أمة باتت في إطار هذا المشروع، هناك عمل لإصلاحها وفق هذا المشروع، هناك اتجاه بها في واقع الحياة على أساس هذا المشروع؛ **فكانت** عملية ناجحة، وتجربة عظيمة **جدًّا**، نجاحها نجاح كبير.

وهناك ملاحظات يجب أن نستوعبها جيدًا:

كيف تحرك النبي بهذا المشروع الإلهي؟

أولًا: كيف تحرك النبي ﷺ في الواقع بهذا المشروع الإلهي العظيم؟ هل- مثلًا- حدثت عملية توافق في الواقع العربي على اتباع هذا المشروع، والقبول به، والإتباع له؟ **مثلًا:** هل عقد النبي ﷺ مؤتمرًا يجتمع فيه زعماء العرب- زعماء قبائلهم، وزعماء اتجاهاتهم الفكرية والثقافية المختلفة طبعًا- وطرح في ذلك المؤتمر هذا الموضوع، فاتفقوا عليه، وخرجوا على أساسه، وانتهت المسألة، واحتلت المشكلة بمؤتمر حوار وطني شامل مثلًا، أو ما هي الطريقة؟

في الواقع البشري عندما تبرز اتجاهات متباينة، وتنشأ- في كثيرٍ منها- أهواء، أطماع، ضلال، باطل، يحدث- بالتالي- مواقف متصلِّبة، اتجاهات متعارضة ومتباينة، وإصرار على اتجاهات معينة، **مثلًا:** حركة الرسول بهذا الهدى لم تكن مرهونة بوفاق عام؛ **لأن** هذا لا يحصل أصلًا، وفاق عام في الساحة العربية

بكلها، أو في الساحة العالمية بكلها. إلا، الرسول بدأ حركته بهذا الهدى وكانت أول نواة تلتف حول هذا المشروع الإلهي نواةً محدودة، رسول الله ﷺ آمن به في البداية زوجته خديجة الصدّيقة، وكذلك آمن به علي بن أبي طالب، أول نواة رسول الله، اتَّبعه وآمن به عليٌّ عليه السلام وخديجة عليها السلام هذه أول نواة، ثم بدأت تتسع هذه الدائرة التي تلتف حول هذا المشروع شيئًا فشيئًا، في نهاية المطاف شملت الجزيرة العربية، وسادت في الجزيرة العربية هذه الرؤية، **وساد فيها هذا المشروع الذي التفَّت حوله في البداية نواة مكونة من ثلاثة:** رسول الله، وفتى هو علي بن أبي طالب، وامرأة هي خديجة، أول نواة من المجتمع التفت حول هذا المشروع، توسعت الدائرة.

ثم هذا المشروع هل لاقى ترحابًا في الساحة؟ رسالة الله، وتحرك به رسول الله ﷺ الذي كان على أرقى مستوى يمكن أن يصل إليه بشر في كماله الأخلاقي والإنساني، وفي ما هو عليه من حكمة عالية، وأداء عظيم، شخصية يفترض أن تكون مقنعة، وهدى ومشروع إلهي عظيم يفترض أن يكون مقبولًا، هل اتجه للتحرك به في الساحة فلقي بكل بساطة ترحيبًا من الجميع، وقابلية من الجميع، وعندما يصل إلى منطقة كلهم اتجهوا وآمنوا ورحبوا، وأسهلوا، وقابلية بدون أي معارضة، بدون أي مشاكل، بدون أي تحديات ولا صعوبات. إلا، أولًا واجه هذا المشروع الإلهي والذي يقوده ويتحرك على أساسه رسول الله ﷺ أشد المعارضة في الساحة، تحركت زعامات، وجاهات، واتجاهات متنوعة لمعارضة هذا المشروع الإلهي، الواقع العربي الحركة الوثنية -آنذاك- تحركت بشدة، وباستياء شديد وسلبية كبيرة وعداء شديد **جدًّا**، واتجاه آخر هم اليهود، اتجهوا من هناك بعدائية شديدة **جدًّا** وأشد عداوة من غيرهم، ثم في الأخير اتجاه النصارى -آنذاك- متمثلًا في الروم، كذلك اتجاه المجوس...

اتجاهات كثيرة تحركت لتعادي هذا المشروع الإلهي، ولتعمل ضد هذا المشروع الإلهي بكل الأساليب والوسائل لإحباطه، وللقضاء عليه، ولإفشاله، وبذلت جهود كبيرة **جدًّا** ضد هذا المشروع الإلهي، منها جهود عسكرية، تحركات عسكرية، بهدف القتل والقضاء على رسول الله ومن التف معه حول هذا المشروع.

الأمويون ومواجهتهم للدعوة الإسلامية

تحرك هؤلاء الأمِّيّون الذين بعث إليهم لهدايتهم، لإنقاذهم، لخلاصهم، خلاصهم في الدنيا، وخلاصهم في الآخرة، حتى يسعى إلى أن يفوزوا بشرف هذا الهدى في الدنيا، أن ينعموا بخيره في الدنيا، وأن ينعموا به في الآخرة في جنة الله، يأتي يدعوهم إلى ما فيه شرفهم، إلى ما فيه خيرهم، إلى ما فيه صلاحهم، إلى ما فيه الحكمة والرشد والخير والسعادة في الدنيا، والجنة التي عرضها السماوات والأرض في الآخرة، ونجاتهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة، هؤلاء الأميون الذين قال الله عنهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾[الجمعة: من الآية ٢]، ما الذي فعلوه بهذا الرسول العظيم، بهذه النعمة العظيمة، بهذه الرحمة المهداة من الله ﷻ ما الذي فعلوه؟ أولئك الأمِّيّون تحركوا يريدون أن يقتلوا هذا الرسول، بذلوا كل جهدهم لقتله، حاولوا أن يقتلوه، يأتي ليدلهم إلى ما فيه الخير لهم، يدعوهم إلى الله، يدعوهم إلى ما فيه سعادتهم، فحاولوا أن يقتلوه، بذلوا كل جهد، وحاربوه معركةً تلو معركة، حرب شرسة **جدًّا** على المستوى العسكري، أما الدعايات فكانت كثيرة، الدعايات المسيئة إلى شخص النبي ﷺ وكذلك المجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق، ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[غافر: من الآية ٥]، كم هناك من جدال ونقاش عندما قدَّم رسول الله مسألة التوحيد لله ﷻ حاولوا هم أن يناقشوا هذه المسألة، أن يجادلوا فيها، تعصبوا لأصنامهم واتجاهاتهم الباطلة أشد التعصب، ولما

كانت كثير من المسائل مسائل حسَّاسة استغلوا حساسيتها من حيث طبيعة التعصب لها بين الناس فتعصب البعض تعصبًا شديدًا لها، لكن عظمة هدى الله ﷻ وما فيه من الحكمة؛ ولأنه يتصل ويرتبط بتدبير الله ورعايته، وهو جلَّ شأنه القائل في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[الصف: ٨-٩]، الله ﷻ وهو الذي يتصل به هديه، وتتصل به رسالته بالرعاية والتدبير نَصَرَ هذا الدين في مسيرة الرسول ﷺ بهذا الهدى، بهذا النور، كانت تلك الأمة وتلك الدائرة تكبر وتتسع، والآخرون من حولها يفشلون، ويتهاوون، ويتلاشون ككيانات قائمة معارضة، معادية، محاربة.

من سمة هذا الدين القوة، من سمة هذا الهدى القوة، يبني الأمة لتكون قوية باعتصامها بالله القوي، بنصرة الله القوي، بنصر الله وهو خير الناصرين، بتوليها لله واعتصامها بحبله، لأثره العظيم على المستوى التربوي والنفسي، يبني الإنسان ليكون على مستوى عظيم من الصبر والتحمل، والاستعداد العالي للتضحية، والإدراك لقيمة الموقف، والوعي العالي تجاه الأحداث وتجاه الآخرين، هذا يساعد على أن يكون عند الإنسان تحرك قوي وفعَّال، يحظى فيه برعاية من الله، ومعونة من الله، ونصر من الله ﷻ.

فاتسعت الدائرة حتى عمَّت وشملت، وأحدثت نقلة- في عصر النبي، تحت قيادته- نقلة كبيرة **جدًّا،** في الأخير تغيَّرت أفكار، وقناعات، وثقافات، وعصبيات، وأحدث صياغة جديدة في المجتمع، واتجاهًا جديدًا في المجتمع إلى ما فيه الخير.

فهذه التجربة المهمة جدًّا لو استمرت الأمة عليها ما بعد وفاة رسول الله إلى اليوم، لكانت الأمة في أرقى مستوى في الساحة العالمية، لكن مع طول العصر، مع امتداد الزمن، استمرت انحرافات كبيرة في الواقع الداخلي للأمة، ابتعاد عن هذا المشروع الإلهي في نقاط مهمة، في أسس مهمة، في قضايا رئيسية أوصل الأمة إلى أن تكون- في هذه الزمن- في وضع بئيس وسيء، العالم الإسلامي يتناحر فيما بينه، داخله مشاكل كبيرة من موروث انحرافات الماضي، ويواجه تحديات الحاضر.

الطريق لخلاص الأمة

لمعالجة هذه المشاكل الكبيرة التي نعاني منها من انحرافات الماضي واختلالات الماضي على مدى قرون وزمن طويل، أكثر من ألف وأربعمائة عام، وما بين ما نعانيه اليوم من تحديات من كيانات الطاغوت وقوى الاستكبار الظالمة والمفسدة، نحتاج في الخلاص إلى هذا الهدى، ولهذا قال الله: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: الآية ٣]، لقد كان خلاص الأولين، خلاص ذلك الجيل المعاصر للنبي ﷺ بهذا الهدى، وهذه الرسالة إليه، لخلاصه، لفلاحه، لعزته، ليكون مجتمعًا يعتز بعزة الله، وحكيمًا مستمدًا حكمته من حكمة الله ﷻ.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٣-٤]، فضل الله شرف، المسألة فيها خير للناس، حل لمشكلتهم، صلاح لأمرهم، نجاة لهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وفيها فضل، سمو للناس، عندما نكون أمة حكيمة، أمة عزيزة، أمة تحظى بالكرامة والحرية والاستقلال، أمة تتخلص من التبعية لكيانات الطاغوت وقوى الاستكبار، أمة تلتزم بشرع الله ونهج

اللـه وتعاليـم اللـه، وتسـتهدي بهـدى اللـه؛ **نكـون** أرقـى أمـة في الأرض في ثقافتنـا، في وعينـا، ونـؤدي دورًا خـيِّرًا ومصلحًـا في واقـع البشريـة مـن حولنـا.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، لا أعظـم مـن فضـل اللـه أبـدًا، ولهـذا خسـارة الأمـة عندمـا تسـتبدل هـذا الهـدى وتبحـث عـن بدائـل مـن النـاس، وأحيانًـا مـن مضلـين، وأحيانًـا مـن جهلـة، وأحيانًـا مـن طغـاة، خسـارة رهيبـة **جـدًّا**، وغـبن رهيـب لا نظـير لـه أبـدًا.

دروس من تجربة بني إسرائيل

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة: الآية ٥]، هنـاك تجربـة **يجـب** أن نسـتفيد منهـا كمسـلمين، هـي تجربـة بنـي إسرائيـل مـن قبلنـا، كانـت فيهـم النبـوة والكتـاب، كان اللـه يبعـث منهـم الأنبيـاء، وكان فيهـم الكتـب، عـلى رأسـها التـوراة، وكانـت تجربـة بنـي إسرائيـل مـع التـوراة- في الأخـير- **حتـى عـلى مسـتوى علمائهـم (الأحبـار):** العلـماء الكبـار فيهـم، هيئـة كبـار العلـماء عندهـم، كانـت تجربـة- في الأخـير- فاشـلة؛ **لأنهـم** في علاقتهـم بالتـوراة تحوَّلـوا منطلقـين مـن منطلقـات غـير التـوراة، لدرجـة أنهـم اسـتهدفوا التـوراة بالتحريـف، هـم حرَّفـوا حتـى في مضمونهـا، في نصهـا ومعناهـا، حرفـوا كثـيرًا وكثـيرًا فيهـا.

عندمـا تكـون العلاقـة بالديـن، العلاقـة بالهـدى نفسـه لم تعـد عـلى أسـاس الاهتـداء والإتبـاع، وأصبحـت المسـألة مسـألة اسـتغلال وتوظيـف، المنطلقـات منشـأها شيء، والهـدى الـذي ينتسـب النـاس إليـه شيء آخـر، تصبـح عناويـن يتزيَّنـون بهـا، يسـتبقون منهـا ويبقـون عـلى البعـض منها فيـما لا يتعارض مـع أهواء ورغبـات، ويزيحـون الكثـير مـما يتفـاوت ويتنـافى ولا يتفـق مـع رغبـات وأهـواء،

الحاكم هو الهوى، هي الرغبات، هي المصالح الموهومة، هي التبعية لجهات فاسدة، ظلامية، باطلة، طاغية، تكون هناك كارثة كبيرة في العلاقة مع الهدى، لم تعد علاقة اهتداء بذلك الهدى، يبقى الناس معهم الانتساب (الانتماء).

الآن يجب أن نستفيد من هذه التجربة، أولئك الذين فقدوا حتى علاقتهم بالله، حتى أن الله نزَّه نفسه من أن يكونوا هم أولياء له، معبِّرين عن دينه بصدق، بحقيقة، نزَّه نفسه ضمن هذا التسبيح: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الجمعة: الآية ١]، عن أن يكون أولياؤه من تلك النوعية الذين لا يحملون هداه من خلال الإتباع، من خلال التمسك، من خلال الاهتداء، بل تبقى حالة انتماء فارغة من مضمونها، حالة شكلية، حالة فيها بعض الأشياء، إيمان ببعض ورفض لبعض آخر، ثم اتجاه في الحياة بعيدًا عن ذلك الهدى، والنتيجة تكون سلبية **جدًّا، النتيجة:** أن يكون من حُمِّلوا هذا الهدى ثم لم يحملوه، كيف لم يحملوه؟ لم يتبعوه، لم يهتدوا به، لم يتزكوا به، باتوا ينطلقون في معظم شؤون حياتهم ومواقفهم واتجاهاتهم بعيدًا عن هديه، عن تعليماته، عن توجيهاته، عما رسم فيه، وحدد فيه من مواقف، **يصبح حالهم هذا الحال:** ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾، حتى عالم الدين، حتى لو حفظ القرآن من أوله إلى آخره عن ظهر قلب، يقرأه في صلواته، في مناسباته، يتفاخر ويتباهى بحفظه وهو بعيد عن الاهتداء به، عن الإتباع له، عن التمسك به، عن الالتزام به، يصبح ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ في أشياء كثيرة **جدًّا** تدخل ضمن هذا التوصيف القرآني.

الأمة نفسها إذا تركت الاهتداء بالقرآن، إذا لم تبقَ علاقتها بالقرآن علاقة اهتداء، إلَّا أنه يكون هناك فارق ما بين المتعلمين وغيرهم، القرآن يشبه غير المتعلمين، غير المثقفين، غير طبقة العلماء في الأمة، يشبههم في حالة الانحراف

والجهل بالأنعام، ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾ **يعني**: الإنسان الذي هو جاهل تمامًا، لا يعرف شيئًا من هدى الله، يكون حاله كحال الثور، أو كحال الجمل، أو كحال الكبش، على اختلاف الطبائع، والأحوال، والظروف، والسلوكيات، والتوجهات.

الطبقة المثقفة في الأمة التي يعود الناس إليها ليستفيدوا منها هي في تحديد مواقف، أو في تلقي ثقافة، أو في إفتاء، أو تعليم، إذا هي ابتعدت عن الهدى، تكون النتيجة أنها فيما هي عليه في تفكيرها، في نظرتها، في سلوكها، تشبه الحمير تمامًا، ولم يعد ينبغي للأمة أن تثق بها، ولا أن تعتمد عليها، يكون حال الناس إذا اعتمدوا على تلك الطبقة- في حال ابتعادها عن هدى الله- كحال من يعود إلى حمار، ليسترشد من ذلك الحمار دلالة على مواقف، تخيلوا **مثلًا:** لو اجتمع الشعب اليمني وذهبوا إلى حمار حقيقي يريدون منه أن يحدد لهم كيف يكون موقفهم من هذا العدوان، كانت ستكون حالة مضحكة غريبة **جدًّا**، كيف تريد من حمار أن يحدد لك موقفًا حكيمًا، أو أن تسترشد به! أيضًا لو وُجِدَ إنسان -**مثلًا**- يُعَظِّم حمارًا ويبجِّله ويمجِّده، وينظر إليه بتعظيم وتقديس وتبجيل، أليس الناس سيسخرون منه؟!

ولذلك هناك خطورة على الأمة في ابتعادها عن القرآن الكريم في الاهتداء به، في أن تكون متجهةً نحوه قبل كل شيء، تجعله فوق كل ثقافة، فوق كل فكرة، هداه فوق كل رأي، لا تتعصب لآراء، أو ثقافات، أو اتجاهات مذهبية، أو لأشخاص، أو لرموز فوق القرآن، تجعل القرآن وتتعامل معه ككتاب مهيمن حتى على كتب الله جلَّ شأنه **النتيجة هي هذه:** ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾، فما بالك بالقرآن، والقرآن أعظم شأنًا من التوراة؛ **الله جعله** مهيمنًا على كل كتبه السابقة، جعله مهيمنًا على ما سبقه من كتبه، وهو أعظمها شأنًا، كما كان نبيه محمد ﷺ في الأخير هو أعظم الرسل شأنًا عند الله وأعظمهم قدرًا.

أهمية تعلم كيفية الارتباط بكتاب الله ورسوله

لذلك نقول اليوم: أنَّه يجب أن نتعلم كيف نعزز ارتباطنا بشكلٍ قوي بالرسول والقرآن، الرسول في موقع القدوة والقيادة والاهتداء به في مسيرته العملية، ونفهم أنَّه كان مقترنًا بالقرآن، ولم يكن منفصلًا عنه، من أراد أن يقدِّم لنا شيئًا محسوبًا على الرسول يخالف القرآن ويفصلنا عن القرآن؛ **فلندرك** أنَّه يكذب على رسول الله، ويفتري على رسول الله ﷺ كيف يكون الرسول قدوةً لنا فوق كل قدوة، إذا أتى أحدٌ من هذه النوعية الذين يقول الله عنهم: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾، ليصرفنا عن موقفٍ حق، أو عن اهتمامات وأولويات حق يرشدنا إليها القرآن؛ **فلندرك** أنه هو في الموقف الخاطئ، وسيتضح لنا من هو منسجم مع القرآن في أولوياته، في اهتماماته، في اتجاهاته العملية، في مواقفه، ومن هو بعيدٌ عن القرآن الكريم، القرآن يحدد لنا مسارًا مستقلًا لا تبعية فيه للطغاة والجائرين والظالمين، عندما تلاحظ الآخرين، حتى من يحسبون أنفسهم على الدين، ويقدِّمون أنفسهم تحت عناوين دينية، كحال التكفيريين، تجدهم- في نهاية المطاف- على تبعية للسعودي والإماراتي، وتجد السعودي والإماراتي كلٌ من النظامين في حالة تبعية واضحة صريحة مؤكدة لأمريكا، فعندما يأتي هذا الذي هو ذيل من ذيول آل سعود، أو من ذيول النظام الإماراتي وهو في حالة تبعية لهم، وهم في حالة تبعية لأمريكا، حتى لو قدم عنوانًا دينيًا هو يفتري على الإسلام، حتى لو قدم آيةً قرآنية هو سيستشهد بها في غير موضعها، حتى لو رفع عنوانًا إسلاميًا هو يكذب وهو يفتري.

نكتفي بهذا المقدار، وفيه ما ننتفع به إن شاء الله ﷻ...

دعوة وتذكير

يبقى لنا أن نتوجه إلى جماهير شعبنا العزيز للحضور المشرِّف والفاعل والكبير يوم غد -إن شاء الله تعالى- في مختلف الساحات المقررة للاحتفال بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، أنا -دائمًا- في هذه الذكرى أستذكر ما يقوله الرسول ﷺ **فيما روي عنه: (الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكمَةُ يَمَانِيَّة)**، أستذكر الأنصار **(الأوس والخزرج)** القبيلتين اليمانيتين اللتين نصرت رسول الله ﷺ واستقبلته يوم استقبلته مهاجرًا بكل شوق، بكل محبةٍ وإعزاز، نستذكر تلك الأجواء في مدى تفاعل شعبنا العزيز مع هذه الذكرى لإحيائها، وللاستفادة منها كمحطة عظيمة ومهمة نتزود منها المزيد من الإيمان والوعي والعزم لمواصلة السير في هذا الطريق: طريق العزة، طريق الكرامة، طريق الحرية، نتزود منها ما يزيدنا عزمًا إلى عزمنا، وإيمانًا إلى إيماننا، وثباتًا على ثباتنا في مواجهة كل التحديات.

نستفيد من رسول الله ﷺ وهو نبينا، وقدوتنا، وسيدنا، وقائدنا، نستفيد منه كيف نثبت، وكيف نصمد في مواجهة كل التحديات مهما كانت، وهو ثبت في مواجهة التحديات التي كان يعانيها حتى من داخل الساحة الإسلامية (في المجتمع الذي ينتمي للإسلام)، فكان فيه منافقون، وكان فيه فئة الذين في قلوبهم مرض، وكان فيه فئة من ضعاف الإيمان وقاصري الوعي، وكان فيه فئة من الذين يتجهون حتى لمجادلته عندما يتجه للموقف الصحيح، للموقف الحكيم الذي يوجهه الله إليه، **يقول له:** ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: من الآية ٥]، **(رَبُّكَ)** هو الذي أمرك بالخروج والتحرك، و**(بِالْحَقِّ)** ليس بالباطل، لم تكن خاطئًا في موقفك، لم تكن غالطًا في اتجاهك، لم تكن منحرفًا في مسيرتك، ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال:الآية ٥-٦]، فكان يصبر، كان يثبت،

كان يواصل الدرب، ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: من الآية ٨١]، لنواصل دربنا، إذا وجدنا متخاذلًا هناك تحت أي عنوان، **بأي اسم:** اسم سياسي، اسم عالم دين، اسم زعيم قبيلة، اسم أكاديمي... بأي صفة كان، يا أخي قدوتنا هو رسول الله محمد، ونهجنا هو القرآن، منه نستمد المواقف الحكيمة، المواقف الصحيحة، نتجه الاتجاه الصحيح الذي أرشدنا إليه الله ﷻ ودلَّنا عليه، مَنْ ينحرف عن هذا الدرب، مَنْ يخرج عن المسير في هذا الاتجاه؛ **لا نبالي به،** ولا نكترث لحاله، على بصيرةٍ من أمرنا، على بينةٍ من أمرنا.

شعبنا العزيز هو جديرٌ بهذا الانتماء العظيم للإيمان، وللحكمة، وللرسالة الإلهية، هم أحفاد الأنصار، والأنصار هم الذين اتجهوا للتضحية بالنفس، لبذل النفس والمال، ما بالك بالحضور في مناسبة لها هذا الشرف، **لها هذا العنوان: ذكرى مولد رسول الله** ﷺ كما في كل عام تحضرون بشكل كبير ومشرِّف، آمل منكم أن تحضروا بشكلٍ كبيرٍ ومشرِّف يوم الغد؛ **ليكون** حضوركم معبِّرًا، وليمثِّل رسالةً إلى كل الأعداء: **أنَّ هذا الشعب ثابتٌ على هذا الدرب، على هذا النهج، على هذا الموقف، على هذا الطريق.**

طبعًا في هذا العام حرصنا على أن تكون هناك فعاليات متعددة، فعالية مركزية في صنعاء، فعاليات في محافظات متعددة، أعلن عن الساحات نفسها في التلفزيون وحددت؛ **حتى** نتيح فرصة من جانب أكبر للحضور، بالذات أن كلفة النقل في هذا العام مع ارتفاع أسعار الوقود كلفة أكبر، ولكن الأعداء ستخيب آمالهم، بدلًا من أن يتحول هذا إلى عائق عن الحضور بشكل كبير في صنعاء، في هذا العام -**إن شاء الله**- وبوعي شعبنا

وبعزمه وبإرادته وبإيمانه ستكون الفعاليات أكبر من كل عام، حيث سيحضر الأهالي في صنعاء بشكل مشرِّف وكبير، وسيحضر الناس في بقية المحافظات إلى بقية الساحات بشكل كبير ومشرِّف، وبإذن الله ﷻ وبإيمان هذا الشعب سيكون الحضور يوم الغد أكبر من كل عام إن شاء الله ﷻ.

أسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، حتى نكون من عباده المؤمنين المتقين المهتدين بهديه، المتّبعين لرسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه،،،

رحمة للعالمين

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

بارك الله فيكم يا أهل الوفاء، يا أهل الشهامة، يا ذوي المحبة لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله نفسي لكم الفداء، أنتم الأوفياء دائمًا في أي ظرف وفي أي مرحلة، ومهما كانت التحديات...

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا.

أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله خاتم النبيين.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦]، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار، وعن سائر عبادك الأبرار، وألحقنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الحضور الكرام في كل ساحات الاحتفال بهذه الذكرى المباركة المجيدة: ذكرى مولد رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

نبارك لكم ولكل أمتنا الإسلامية حلول هذه الذكرى المباركة السعيدة: ذكرى مولد خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ والذي كان مولده مولدًا للنور، وقدومًا ميمونًا ومباركًا لأعظم وأسمى وأزكى إنسانٍ في الوجود البشري منذ آدم إلى قيام الساعة.

فمع اقتراب قيام الساعة ونهاية التاريخ، في الحقبة الأخيرة للوجود البشري، والتي أكد عليها القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر: الآية ١]، وفي قوله تعالى: ﴿أَزِفَتْ الْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[النجم: ٥٧-٥٨]، وفي قوله ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[محمد: الآية ١٨]، وهذه المرحلة الختامية للوجود والمعروفة بآخر الزمن، والتي ستكون من أهم المراحل في الواقع البشري وفي واقع الحياة، وخلاصةً جامعةً عن كل المراحل السابقة في تجربة الأمم الماضية المتعاقبة، وتشهد فيها مسيرة الحياة تطورًا كبيرًا، وتمكنًا عجيبًا، وتسخيرًا واسعًا لصالح البشر، ويعظم فيها الاختبار، وتكبر فيها المسؤولية، كان في حكمة الله تعالى وفي رحمته أن يمنَّ على البشرية بأعظم وأسمى وأزكى وأهدى قائدٍ ومعلمٍ على مرِّ التاريخ، يختم به النبوة، ويتم به الرسالة، ويقيم به الحجة، ويتم به النعمة، ذلكم هو رسول الله محمد ﷺ وأرفق معه أعظم وأهدى كتبه، مضمنًا له من المعارف والتعليمات والحقائق والتوجيهات ما يتحقق للبشرية باتباعه الفوز، وتكسب به النجاة، وتهتدي به في مسيرة حياتها، وتسمو وترتقي في سلم الكمال الإنساني، وتصلح واقعها، وتؤدي مسؤولياتها، وتنهض بدورها الحضاري في واقع الحياة، بما يحقق لها الخير والفلاح، وتصوب مسيرتها من

الدنيا إلى الآخرة مسيرة سعادةٍ وفوزٍ وفلاح، برعايةٍ وهدايةٍ من الله ﷻ.

فالله ﷻ كما كتب وقدر للمرحلة الأخيرة في حياة البشر، أن تكون مرحلة التكامل والذروة في التمكين للإنسان والتسخير له، واكتمال النعمة عليه فيما استخلفه فيه من الأرض، وفيما هيأ له من المنافع في هذا العالم، وكما هيأ له أن تكون هذه المرحلة الأخيرة ذروة النشاط والتحرك والإنتاج والإبداع في حياته، وأن تكون -أيضًا- في الواقع العملي أكبر وأوسع وأكثر تأثيرًا، وأن تكون مسيرة الحياة فيها سريعةً، **كل شيءٍ فيها يتسارع:** الأحداث، والتطورات، والإنتاج، والمتغيرات، وواسعةً يمتد فيها التأثير لأي أحداثٍ في شرق الأرض إلى مغاربها، وفي غربها إلى شرقها، وإن الله تعالى، وهو أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، ورب العالمين، يعلم بحاجة الناس- مع هذا التمكين والتسخير، وفي ظل هذا الواقع الكبير- إلى الرشد والصلاح، وإلى الهداية والبصيرة، وإلَّا تحول ما هم فيه من تمكين، وما أنعم الله به عليهم من قدرات وإمكانات إلى شرٍ وضررٍ وخطرٍ وشقاء، وسنته تعالى في عباده في كل مراحل التاريخ للأمم الماضية أن يقيم عليهم حجته، وأن يهيئ لهم أسباب النجاح والفلاح والرشاد، فما كان ليتركهم في المرحلة الأخيرة، التي قد تكون هي الأكبر في حجم أحداثها ومخاطرها، والأزهى في وسائلها وإمكاناتها، فكان الذخر لهذه الحقبة الأخيرة هو أعظم الأنبياء وخاتمهم رسول الله محمد ﷺ الذي بلغ أعلى مراتب الكمال الإنساني، جسَّد المبادئ الإلهية التي أوحى الله بها إليه، فكان هو القدوة الأعظم في إيمانه بها والتزامه على أساسها، كما قال تعالى بشأنه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦١-

١٦٣]، وكما قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: من الآية١١٢].

وبلغ ﷺ مستوى العظمة، وحطم الرقم القياسي في مرتبة كمال الأخلاق، بما لم يصل إليه قبله أحدٌ من البشر، ولا يصل إليه أحدٌ بعده، ولذلك قال الله تعالى بشأنه في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: الآية ٤]، فتبوأ ﷺ موقع القيادة الرشيدة للمجتمع البشري بجدارة، وتأهَّل للسير بالأمة في طريق الخلاص والفلاح والسعادة، نبيًا عظيمًا يتحرك متصلًا برعاية الله وتدبيره وهدايته، وبأمره وإذنه، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۝٤٥ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، رحمةً في الدنيا إن اتبعوك بصلاح حياتهم وسمو أنفسهم وحل مشاكلهم، وبسلامتهم من عقوبات الله العاجلة، وبحصولهم على رعايته الواسعة فيما وعد به من استقام على نهجه من الخير العاجل، ورحمة في الآخرة بالفوز برضوانه وجنته الواسعة التي عرضها السموات والأرض، وفيها الحياة الدائمة، والسعادة الأبدية، والنجاة من عذاب الله الأكبر (نار جهنم) دار الشقاوة الأبدية.

بالقرآن والرسول أتم الله النعمة وأكمل الحجة

فرسول الله ﷺ بما منحه الله تعالى من الكمال الإنساني والأخلاقي، وبما حمله من المبادئ والقيم، وبما علمه من الهدى، وبما حظي به من اتصالٍ مباشرٍ عبر الوحي بتعليمات الله قد حاز مرتبة القيادة والقدوة للناس كافة، وللأمم والأجيال منذ عصره إلى القيامة قاطبة، ومنحه الله تعالى وأرفق معه أعظم وأوسع وأهدى مصدرٍ للهداية والمعرفة، ذلكم هو القرآن

الكريم، المعجزة الخالدة الذي قال الله جلَّ شأنه فيه معبرًا عن سعة معارفه وواسع هديه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان: من الآية ٢٧]، وقال معبرًا عن عظمته وإعجازه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[الإسراء: الآية ٨٨]، وحفظه الله تعالى للأجيال المتعاقبة، فلم يتمكن الضالون المضلون من تحريف نصه ولا من إضاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: الآية ٩].

وبذلك أتم الله النعمة، وأكمل الحجة على عباده، فإلى جانب التسخير المادي، والنعم العظيمة، والتمكين الكبير الذي بلغ فيه المجتمع البشري تقدمًا متصاعدًا ومتسارعًا، وإلى جانب واقع الحياة الذي اتسع كثيرًا، وإلى جانب التحديات والمخاطر الأكبر؛ **كان** هدى الله- متمثلًا في كتابه ورسوله- أوسع وأعظم، وكفيلًا بتحقيق الرشد اللازم، والهداية الكافية للسير بالإنسان بشكلٍ صحيح، ولإدارة المجتمع الإنساني بشكلٍ سليم، ولبناء الحياة بشكلٍ أفضل، وبما يجنِّب البشر الكثير والكثير من المشاكل والأزمات، وبما يدفع عنهم الكثير من المخاطر، وقد أثبتت التجربة العملية في حركة رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم، وبعثته بالرسالة مصداقية ذلك، فقد تحرك في أوساط المجتمع الجاهلي، في البيئة العربية التي كانت تعاني من الجهل، والتخلف، والأمِّيَّة، والعصبية العمياء، وتعيش حالةً مأساوية من الفوضى والانفلات والضياع؛ **فتحرك** ﷺ بالرسالة الإلهية وفق الطريقة التي رسمها الله له، وكانت أول نواةٍ ومجموعةٍ انضوت تحت راية الإسلام مكونةً من ثلاثة أشخاص: رسول الله ﷺ وزوجته الصدّيقة السابقة خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، وواصل رسول الله ﷺ حركته بالرسالة، مواجهةً كل التحديات، ومتصديًا لكل الصعوبات،

برعاية الله ونصره، ووفق تعليماته وتوجيهاته، فاتسعت تلك الدائرة حتى عمَّ نور الإسلام في الجزيرة العربية، وأما تأثيره فامتد إلى كافة أنحاء المعمورة بمستوياتٍ مختلفة، وكانت النقلة بالواقع العربي نقلةً كبيرة، من حالة: الأمِّيَّة، والجهل، والخرافة، والكفر، والفجور، والفسق، والظلم... إلى نور الإسلام وهدايته، والاعتصام بحبل الله تعالى، وتغيير الواقع إلى واقعٍ يسوده الحق، والخير، والنور، والعدل، ومكارم الأخلاق، **كما قال الله تعالى:** ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة].

ابتعاد الأمة عن منهج الرسالة جعلها أمام مفترق الطرق

وقد تسبب ابتعاد الأمة- مع امتداد الزمن- عن رسول الله ﷺ في موقع القيادة والقدوة، وعن القرآن الكريم في موقع المنهج والإتباع والاهتداء في كثيرٍ من الأسس، والمبادئ، والأخلاق، والمسؤوليات، والتعليمات المهمة... تسبب في خسائر كبيرة، وأدَّى إلى تراجعٍ خطير في الوعي، والفهم، والمعرفة الصحيحة، وفي زكاء النفوس، ومكارم الأخلاق، وبالتالي في واقع حياة الأمة؛ فاتجهت الأمة في مسيرتها عبر الزمن- وللأسف الشديد- نحو الانحدار أكثر وأكثر، يقودها في ذلك، ويسير بها إلى هوة المهالك: سلاطين الجور، وعلماء السوء، الذين كانوا يحاربون- بشدة- أخيار الأمة، وصالحيها، والساعين إلى إصلاح واقعها عبر الأجيال، وتعيش الأمة اليوم محنة الانقسام الذي جعلها أمام مفترق طرق:

- **إما طريق النفاق** الذي يسعى دعاته لأن يبقى الإسلام مجرد حالةٍ شكلية، وطقوسٍ باردة، بينما يكون أهله جندًا مجنَّدين، وخدمًا مطيعين

لطاغوت العصر المستكبر، المتمثل بأمريكا وإسرائيل، وتتحول الأمة المسلمة بكل طاقتها وإمكاناتها وثرواتها واهتماماتها إلى رصيدٍ إضافيٍ، يعزز من سيطرة أمريكا ومن نفوذها وهيمنتها على المستوى العالمي، ويتحالف مع إسرائيل تحت الراية الأمريكية ضد كل صوتٍ حرٍ، وضد كل حركة تسعى للاستقلال، وتعمل من أجل حرية وكرامة الأمة، وهذا يمثِّل انحرافًا كبيرًا وخطيرًا حذَّر منه القرآن الكريم، ونهى الله تعالى عنه أشد النهي، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة]، **وقال تعالى:** ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ﴾[آل عمران: من الآية ٢٨]، **وقال تعالى:** ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً ﴿١٣٩﴾﴾[النساء]، **وقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴿١٤٥﴾﴾[النساء].

- **وإما طريق الحرية والاستقلال والكرامة** على أساسٍ من هويتنا الإيمانية، وانتمائنا للإسلام، هذا الطريق الذي فيه خير الدنيا والآخرة، وأساس هذا الطريق هو بالاقتداء برسول الله ﷺ والتمسك بالقرآن بشكلٍ صادق، **وأول شاهدٍ على المصداقية في ذلك:** هو التحرر من التبعية لأعداء الإسلام ومن يواليهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[الأعراف: الآية ٣].

فبالاستقلال الفكري والثقافي تتحقق الحرية، وننال الاستقلال التام عندما ننطلق في مسيرة حياتنا وفي مواقفنا على هذا الأساس، ولو واجهتنا صعوباتٌ في هذا الطريق، وكلفنا ذلك التضحيات، فالكلفة في ذلك أقل وأيسر من كلفة التبعية للأعداء والاستسلام، بما لذلك من تبعات المذلة، والقهر، والخزي، والاستعباد، والظلم في الدنيا، وجهنم في الآخرة.

شعبنا العزيز، أمتنا الإسلامية: إن عاقبة الصبر على المعاناة في سبيل الله تعالى، وفي سبيل أن نتحرر من سيطرة الطاغوت والاستكبار، وأن نسعى لأداء واجبنا، والنهوض بمسؤوليتنا لمواجهة الطغيان والعدوان، وتحقيق الحرية والاستقلال، ومن خلال الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه؛ **عاقبته** الخير والنصر والظفر، وبذلك نطق الوعد الإلهي في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: من الآية ٤٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٨]، وإن الصعوبات في هذا الطريق يومًا ما يتم تجاوزها، **وإن الله يقول:** ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ [الطلاق: من الآية ٧]، وعن النبي ﷺ: **(إشتَدِّي أَزمَةُ تَنفَرِجي)**، وإن التاريخ يشهد بذلك في حركة النبي ﷺ وقد واجه المسلمون تحت رايته تحدياتٍ كبيرة، منها غزوة الأحزاب التي قال الله تعالى بشأنها: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وغيرها من التحديات، وفي الأخير تحقق الوعد الإلهي بنصر الله وبعاقبة التمكين لعباده المتقين.

نداء لأحفاد الأنصار وأبطال الفتوحات

إنني في هذا اليوم أتوجه إليك أيها الشعب العزيز بكل مكوناته وأطيافه الوفية: أيها العلماء الأجلاء، أيُّها المشائخ الأوفياء، أيُّها الشباب الأعزاء، أيُّها المثقفون والأكاديميون المتنورون، أيتها القبائل الأبية، أيتها الحرائر الكريمة، إن هذه المرحلة من جهاد شعبنا، وتصديه للعدوان الأمريكي السعودي الغاشم، هي مرحلةٌ أساسيةٌ ومهمة وفاصلة، وإنَّ المسؤولية فيها أمام الله ﷻ بتظافر الجهود، وبالعمل الجاد لدعم الجبهات، وللعناية بكل ما من شأنه تعزيز الصمود والتماسك على كل المستويات، فنحن نواجه عدوانًا ظالمًا، يستهدفنا في: حريتنا، وكرامتنا، واستقلالنا، وأرضنا، وعرضنا، وقيمنا، وأخلاقنا، وهويتنا، وانتمائنا، ويسعى لاستعبادنا وإذلالنا، فيا يمن الإيمان، يا نَفَسَ الرحمن، يا أحفاد الأنصار، يا أبطال الفتوحات، **يا حملة الرايات:** لنجعل من هذه المناسبة العزيزة والذكرى المجيدة محطةً تعبويةً إيمانية، نتزود منها نفحةً من نفحات العزة الإيمانية، من عزة الله ورسوله، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، ونتزود منها المزيد من العزم، ومن الصبر، ومن الجد، ومن الإحساس بالمسؤولية، نعزز علاقتنا الإيمانية الواعية العملية بالقرآن وبالرسول.

ونـدائي للشـباب والشـابات: أنتم ذخر الأمة وعماد نهضتها، وأنتم مستهدفون من قوى الطاغوت، ليس فقط بالقنابل الذكية والصواريخ المدمرة والأسلحة القاتلة، بل إضافةً إلى ذلك أنتم مستهدفون في إيمانكم، وفي وعيكم، وفي شرفكم، وفي أخلاقكم، وفي كرامتكم، وفي طهارتكم، وفي عفتكم، أنتم في عصر الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، والفضائيات، تستهدفون- أيضًا- عبر موجات الأثير بما هو أشد فتكًا وأكبر ضررًا حتى من القنابل العنقودية، فالله الله كونوا في هذه المعركة وفي هذا الميدان عند مستوى

الأمل بكم في اتجاهكم الجاد نحو التمسك بهويتكم وانتمائكم، في سعيكم الجاد للتثقف بثقافة القرآن الكريم، والتحصن بالوعي العالي، والتحصن بأخلاق القرآن التي هي مكارم الأخلاق، وفي اهتمامكم بزكاء أنفسكم، في حذركم من كل ما يمس بوعيكم وبزكائكم، استبصروا بنور القرآن في كشف كل الظلمات، واحذروا كل الظلاميين من التكفيريين الذين افتضحوا- بكل وضوح- بتبعيتهم لأمريكا وعملائها، ومن الإباحيين الفاسدين الذين يسعون لضربكم في قيمكم وأخلاقكم؛ **لضمان** السيطرة عليكم عن طريق إفسادكم، واجعلوا من هذه الذكرى المباركة محطةً للتعبئة الأخلاقية والروحية، وكونوا لأمتكم- اليوم- في محنتها ذراعها الضارب، وسياجها الحصين، وتاجها الزاهي.

في الختام.. نقاط مهمة

ونحن في هذا اليوم المبارك من نور صاحب الذكرى ومن هديه المبارك نؤكِّد على التالي:

أولًا: تمسكنا- كشعبٍ يمني- بحقنا في الحرية والاستقلال على أساسٍ من هويتنا الإيمانية وانتمائنا الإسلامي.

ثانيًا: تمسكنا- بالاعتماد على الله تعالى- بحقنا في الدفاع عن أنفسنا وبلدنا، والتصدي للعدوان الصهيو أمريكي السعودي الإماراتي، طالما استمر هذا العدوان، وجهوزيتنا للسلام العادل المشرف عند توفر المصداقية لتحالف العدوان في ذلك.

ثالثًا: تمسك شعبنا بقضايا أمته الكبرى، وإدانته لكل أشكال التطبيع والتحالف مع إسرائيل، ووقوفه المبدئي والأخلاقي مع الشعب الفلسطيني والمقاومة الباسلة لتحرير المقدسات، وعلى رأسها الأقصى المبارك والقدس الشريف،

وطرد الصهاينة المحتلين، ونيل الحرية الكاملة للشعب الفلسطيني المظلوم.

رابعًا: أدعو شعبنا العزيز للعناية القصوى بالتكافل الاجتماعي والاهتمام بالفقراء، وإغاثة الملهوفين والجائعين، والعناية- أيضًا- بإخراج الزكاة.

خامسًا: على الجهات الرسمية بمساندةٍ من القوى السياسية، ودعمٍ من الشعب، بذل جهدها لتحسين الأداء في كل مؤسسات الدولة، ومكافحة الفساد، وبذل أقصى الجهد لخدمة الشعب.

وختامًا: أشكر لكم أيها الأوفياء الكرام هذا الحضور الكبير والمشرِّف، والمعبِّر عن وفائكم، وعن صلابتكم، وعن حيويتكم، وعن فاعليتكم، وعن ثباتكم، وعن محبتكم وتوقيركم وإعزازكم لرسول الله محمد ﷺ.

أسأل الله أن يكتب أجركم، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

المولد النبوي الشريف ١٤٤١هـ

كلمة السيد خلال فعالية للجامعات اليمنية بالمناسبة

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُه ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللَّهُم برِضَاك عن أَصْحَابِهِ الأخيارِ المنتجبين، وعن سائرِ عِبَادِك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات الحاضرون جميعاً

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وأتوجه إليكم بالمباركة والتهاني بهذه الفعالية التي تأتي ضمن الفعاليات التحضيرية التي هي نشطة في هذه الأيام، كعملية تحضير ليوم المناسبة: يوم ذكرى ولادة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

محطة لتعزيز الارتباط بالقرآن والرسول

يقول الله ﷻ في كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٧-٥٨]، من توفيق الله ﷻ لشعبنا العزيز، يمن الإيمان والحكمة، أحفاد الأنصار، وأبناء الفاتحين، أنه في المقدِّمة بين أبناء الأمة من حيث اهتمامه المتميز بهذه المناسبة العزيزة والمجيدة والعظيمة، وفي هذه الأيام هناك الكثير من الفعاليات التحضيرية، وشعبنا العزيز قد جعل من هذه المناسبة المهمة مناسبةً يعبِّر فيها عن ولائه العظيم لرسول الله ﷺ وجعل من هذه المناسبة محطةً للاعتراف بنعمة الله ﷻ العظيمة علينا جميعاً كمسلمين، بل على البشرية جمعاء، عندما أنعم بهذا الرسول الخاتم ﷺ وبالقرآن العظيم، وبالإسلام (الدين العظيم)، وجعل منها- أيضاً- محطةً توعويةً وتنويريةً بما يقدم فيها من البرامج والأنشطة التوعوية المهمة، التي تعيدنا إلى خط الأصالة في الاقتداء برسول الله ﷺ والتمسك بمنهجه، والإتباع له، والاقتداء به، وأيضاً العودة إلى عناصر القوة التي نحتاج إليها في مواجهة كل التحديات والأخطار، والمتمثلة هذه العناصر المهمة للقوة لهذا الدين العظيم في أسسه، في منهجه المبارك، في نبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

شعبنا اليمني جعل من هذه المناسبة محطةً توعوية، وكذلك محطةً تعبوية للتعبئة الروحية والمعنوية، في مرحلة نحن فيها كمسلمين بشكلٍ عام في كل شعوب أمتنا وبلدان أمتنا، وكذلك في المقدمة شعبنا العزيز وفي بلدنا هذا نحن جميعاً في أمسِّ الحاجة إلى الاستفادة من هذه

المناسبة التي هي مناسبةٌ معطاءةٌ وغنيةٌ **جدًّا** بالدروس والعبر، ومحطةٌ غنيةٌ- أيضاً- بعطائها التربوي، وعطائها المعنوي، وعطائها المعرفي الذي نحتاج إليه، شعبنا العزيز هو يتحرك في هذه المرحلة وهو يعزز ويعمِّد بدمائه مسيرته التحررية، مسيرة الاستقلال، مسيرة الكرامة، ويسعى لأن يبني واقعه على أساسٍ صحيح، على أساس المبادئ العظيمة، والقيم والأخلاق التي ينتمي إليها في هذا الإسلام العظيم، في هذا الدين القويم.

تقدير لنعمة الهدى نحتفل ونظهر الفرح بالمناسبة

عندما نحتفل، عندما نظهر كل مظاهر الفرح والابتهاج في هذه المناسبات التحضيرية، وعندما تأتي- أيضاً- مناسبة ذكرى يوم المولد في الثاني عشر من هذا الشهر الأغر، التي ستشهد- إن شاء الله- حضوراً كبيراً ومتميزاً في كل الساحات المحددة للاحتفال بهذه الفعالية، نحن نعبِّر عن التقدير لنعمة الله ﷻ، عن الاعتراف بفضل الله ﷻ حينما قال الله جلَّ شأنه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[يونس: من الآية ٥٨]، فضل الله المتمثل برسالته العظيمة، بهديه العظيم، برسالته وبرسوله الكريم الذي تحرك بهذه الرسالة، الذي سعى لإقامة هذا الدين، الذي أرسله الله كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: الآية ١٠٧]، هذه النعمة العظيمة التي من واجبنا الإيماني وبحكم هويتنا الإيمانية أن نشكر الله عليها، وأن نظهر الفرح بها والسرور والاستبشار.

إنَّ أعظم النعم على الإطلاق بين كل نعم الله التي لا تحصى ولا تعد، وفي نفس الوقت أعظم وأهم الاحتياجات الإنسانية التي يحتاج إليها الإنسان أكثر من غيره من بقية المخلوقات والكائنات على هذه الأرض، إنها نعمة الهدى، نعمة الهدى هي أعظم النعم، والإنسان في أمسِّ الحاجة

إليها قبل كل النعم المادية الأخرى، ولذلك علَّمنا الله ﷻ أن نقول في كل صلاةٍ نصليها ونحن نتوجه إلى الله ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، فالله ﷻ يرشدنا إلى أن يكون أهم سؤلٍ لنا ومطلبٍ لنا نسأله ونطلبه ونرجوه من الله ﷻ هو الهدى، الهداية إلى الصراط المستقيم؛ **لما** لهذا من أهمية حاسمة بالنسبة للإنسان، يترتب على ذلك سعادته وفوزه وفلاحه في الدنيا والآخرة، أو فيما إذا لم يتوفق لهذه الهداية الإلهية يشقى ويخسر في الدنيا، وفي الآخرة الخسران الأبدي والفظيع والرهيب **جدًّا**.

الهدى هو أهم احتياج يحتاجه الإنسان؛ لأنه يترتب عليه أهم ما يحتاج إليه هذا الإنسان في حياته في الدنيا، وفي مستقبله الأبدي في الآخرة، والله جلَّ شأنه قال في القرآن الكريم: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٣٨]، **يعني:** لهم المستقبل المطمئن، المستقبل السعيد، المستقبل السليم الذي لا تشوبه الخسارة والشقاء، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ويقول جلَّ شأنه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: من الآية ١٢٣]، وأخطر شيءٍ على الإنسان هو الضلال، هو الضياع، هو الشقاء، هو الخسران، ولذلك الإنسان يضمن لنفسه الخير كل الخير، والفلاح، والفوز، والسعادة، من خلال ماذا؟ من خلال اتباع الهدى، فالإنسان أحوج ما يكون إلى الهدى، ولذلك يتحدث القرآن الكريم عن نوعية من البشر، نوعية متميزة، مفلحة، فائزة، **ظافرة:** هم المتقون، فيقول الله ﷻ عنهم في القرآن الكريم: ﴿أُولَئِكَ﴾ **(أُولَئِكَ):** هذه الفئة؛ **المتقون**، ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فالفلاح هو يقترن بالهدى، **(عَلَى هُدًى**

مِـنْ رَبِّهِـمْ) في معتقداتهـم، في أفكارهـم، في ثقافتهـم، في أقوالهـم، في أفعالهـم، في سـلوكياتهم، في مواقفهـم، في ولاءاتهـم، في عدائهـم... في كل مسـيرة حياتهـم **(عَـلَى هُـدًى مِـنْ رَبِّهِـمْ)**، لا يتحركـون في مسـيرة هـذه الحيـاة لا في الأفعـال، ولا في الأقـوال، ولا في المواقـف، لا في حالـةٍ مـن الانفـلات، ولا في اتبـاعٍ للهـوى، ولا في اتبـاعٍ للمضلـين، إنمـا يتحركـون بنـاءً عـلى هـذا الأسـاس: ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

ولذلـك اقترنـوا في مسـيرة حياتهـم بالفـلاح؛ لأن الهـدى يقـترن بـه الفـلاح، يعنـي الفـوز بالظفـر، الفـوز بالمأمـول، النجـاح الحقيقـي، الوصـول إلى تحقيـق الأهـداف العظيمـة والسـامية التـي هـي أعظـم مـا ينشـده الإنسـان ويرجـو الوصـول إليـه، مـن خـيرٍ وسـعادةٍ أبديـة، ومـن عـزةٍ وكرامـة.

ومصـدر الهـدى هـو اللـه ﷻ اللـه جلَّ شـأنه هـو مصـدر الهدايـة، هـو جلَّ شـأنه القائـل في القـرآن الكريـم: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[الليل: الآية ١٢]، هـو جلَّ شـأنه القائـل: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾[يونس: من الآية ٣٥]، هـو جلَّ شـأنه القائـل: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية ٧٣]، هـو جلَّ شـأنه القائـل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾[النحل: من الآية ٩]، ولأنـه ﷻ هـو الـذي يتـولى هدايـة عبـاده أنعـم عـلى عبـاده برسـله وأنبيائـه، وبالكتـب التـي أنزلهـا معهـم، والوظيفـة الأساسـية والرئيسـية للرسـول والكتـاب هـي الهدايـة للعبـاد، العمـل عـلى هدايـة البشريـة، العمـل عـلى إنقـاذ النـاس وهدايتهـم؛ **ولذلـك** يقـول اللـه ﷻ عـن القـرآن الكريـم، وهـو الكتـاب المهيمـن الـذي احتـوى في مضمونـه الهداية الإلهيـة في كل كتـب اللـه السـابقة، بمـا تحتـاج إليـه البشريـة إلى قيـام السـاعة، منـذ نـزول القـرآن الكريـم وإلى قيـام السـاعة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: الآية ٢]، يقـول جلَّ شـأنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[الإسراء: من الآية ٩]، يقول جلَّ شأنه عن الرسول ﷺ رسول الله محمد الذي هو خاتم النبيين، وهو- أيضاً- وارث كل الأنبياء، حمل هديهم، وهو سيد المرسلين الذي حمل من الكمال البشري ما لم يصل إلى مستواه أي بشرٍ قبله، ولن يصل إلى مستواه أي بشرٍ بعده ﷺ يقول الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ﴾ **يعني:** الرسول محمد ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: من الآية ٥٢]، كما يقول الله ﷻ- أيضاً-: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور: من الآية ٥٤].

فالرسول والكتاب الوظيفة الأساسية والرئيسية لهما، والمهمة الواحدة الموحَّدة المندمجة المتلازمة هي الهداية، هي الهداية، فالله أوصل إلينا هداه عن طريق منهجٍ عظيم يتمثل بالقرآن الكريم، وعن طريق قدوةٍ وقائدٍ وهادٍ يهدينا بهذا الكتاب، يعمل على إخراجنا بهذا الكتاب من الظلمات إلى النور، هو رسول الله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ ولهذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: الآية ١].

الرسالة الإلهية هي المنقذ الوحيد للبشرية

ورسول الله ﷺ: عندما بعثه الله بالرسالة، وتحرَّك بها، وبلَّغ هذا الكتاب، أوصله إلى الناس، وأنذر به الناس، وبشَّر به المتقين، عندما بُعِثَ، بُعِثَ والبشرية في جاهليةٍ جهلاء، الحالة السائدة في الواقع البشري هي الجاهلية، هي حالة القطيعة مع التعليمات الإلهية، الابتعاد عن النور الإلهي، **هي الحالة التي سادت فيها في واقع البشر الظلمات بكل ما تعنيه الكلمة:** الأفكار الظلامية، السلوكيات الظلامية، المناهج الظلامية، الاتجاهات الظلامية؛ **فكانت** النتيجة أن يمتلئ الواقع البشري بحالة رهيبة **جدًّا** من التظالم، من الفساد،

من المنكرات، أن تنحط البشرية عن مقام السمو الإنساني، أن تنتشر المنكرات، أن تغيب الأخلاق، أن تعيش البشرية في حالةٍ من التخبط، لا تنتظم وفق المنهج الإلهي والتعليمات الإلهية، والحالة التي تنفصل فيها البشرية وتكون على قطيعة مع التعليمات الإلهية، مع النور الإلهي، هي حالةٌ توصف بأنها جاهلية، جاهلية، والبشر فيها يعيشون واقعاً ظلامياً بكل ما تعنيه الكلمة؛ **ينتج** عن ذلك الكثير من المشاكل والأزمات والفتن والمحن، وينشأ عن ذلك الحال الذي يصفه القرآن الكريم بالشقاء، مستوى الأزمات، مستوى المعاناة، مستوى المشاكل تحوِّل حياة البشرية إلى جحيم، إلى شقاء، إلى معاناة رهيبة، وتتفاقم المشاكل، وينمو الضلال، ويتزايد الباطل، ويكثر الظلم، وتزداد المعاناة.

ولذلك عندما تحرَّك رسول الله ﷺ برسالة الله ﷻ داعياً إلى الله ﷻ- الرسالة الإلهية التي هي منهجٌ متكامل، ومنهجٌ شامل- أحدث تغييراً كبيراً وعظيماً في واقع الحياة، وامتد هذا الأثر إلى واقع حياة الناس؛ **لأن** الإنسان إذا صلح في نفسه، إذا زكى في نفسه، إذا اهتدى في مسيرة حياته، وتحرَّك بناءً على التعليمات الإلهية، إذا استبصر بنور الله ﷻ، إذا حمل المفاهيم الصحيحة، وأصبح حكيماً بالتوجيهات الحكيمة من الله ﷻ؛ **تصلح** حياته، الدين هو لصلاح الحياة، الرسالة الإلهية هي لإنقاذ البشر في حياتهم في الدنيا أولاً، ولضمان مستقبلهم الأبدي في الآخرة، للوصول إلى الجنة، والسلامة من عذاب الله، والفوز برضوان الله، وما وعد به الله ﷻ.

إنَّ الواقع البشري اليوم في الساحة العالمية بكلها مليءٌ بالمشاكل، مليءٌ بالأزمات، ومليءٌ بالمعاناة، وحتى البلدان التي لديها إمكانات مادية كبيرة ولا تعيش المشاكل المادية، هي تعيش مشاكل من نوعٍ آخر، وأزمات من نوعٍ آخر، وأزمات كبيرة تصل بها إلى حالة الشقاء بكل ما تعنيه الكلمة،

في الغرب مشاكل اجتماعية كبيرة نتيجة الإفلاس الأخلاقي، ونتيجة الخواء الروحي، ونتيجة الطغيان المادي، تدفع بالكثير إلى الانتحار، تجعل الكثير من الناس لا يعيشون حالة الرضا عن حياتهم ولا عن واقعهم، إنهم يشعرون بالعبثية، بالـلا هدف، بالضياع، وفي نفس الوقت ينعدم الإحساس بالكرامة التي أرادها الله لهذا الإنسان، للكائن البشري، وفي كثيرٍ من بلدان أوروبا تصل نسبة الانتحار بين أوساط الشباب إلى نسب عالية ومتقدمة وكبيرة ومفجعة، وحالة الشعور بالضياع هي حالة سائدة في المجتمعات الغربية، والمشاكل والأزمات الاجتماعية والتفكك الأسري من أكبر المشاكل التي يعانون منها، ونسبة انتشار الجريمة بكل أشكالها وأنواعها هو بمعدلات كبيرة **جدًّا**، وبأرقام تحسب في أمريكا- نفسها- بالدقيقة، يحصل في كل دقيقة كذا وكذا نسبةً أو عدداً من الجرائم، فهل هي إلا حالة شقاء، هل هي إلا حالة شقاء! معدلات الجريمة، الشعور بالضياع، نسبة الأزمات والمشاكل الاجتماعية، كم من المشاكل التي يعانون منها.

ما الذي نركز عليه.. وكيف نستفيد من مناسبة المولد النبوي؟

أما في مجتمعنا الإسلامي، وفي شعوبنا وبلداننا الإسلامية، فنحن أيضاً نعيش الكثير من المشاكل والأزمات، ونواجه- في نفس الوقت- الكثير من التحديات، منشأ كل هذه المشاكل، **والسبب الرئيسي لكل هذه المعاناة التي نعيشها في واقعنا الإسلامي:** هو بقدر ما ضيعنا من أسس ومبادئ وتعاليم مهمة **جدًّا** في رسالة الإسلام، نحن- بحمد الله- نحافظ على انتمائنا للإسلام كشعوب إسلامية، نؤمن بالله، نؤمن بكتابه، نؤمن برسوله، كذلك الشعائر الدينية هي حاضرة في واقع حياتنا بشكلٍ كبير، نسبة مهمة من الدين حاضرة في واقع حياتنا، ولكن هناك جوانب، هناك أسس، هناك مبادئ **يجب** أن نستحضرها في واقع

الحياة وأن نعود إليها من جديد، كانت هي من الأساسيات في هذا الإسلام، في حركة رسول الله ﷺ **إنَّ من أهم ما يجب أن نركِّز عليه هو جانبان مهمان:**

الأول أن نعرف ماهي النسبة المحرفة مما قُدِّم باسم الدين، وليس من الدين، مما كُذِبَ به على رسول الله، وليس من رسول الله ﷺ مما حسب على الإسلام، وليس من الإسلام، ثم كان ضلالاً بما تعنيه الكلمة، وكان لاتباعه والتمسك به آثار سلبية في واقع الحياة، آثار شقاء، وآثار ضياع، وأن نعرف أيضاً، وأن نكتشف الجانب المغيب والضائع من هذا الدين، من هذه الرسالة، مما هو من أسسها المهمة التي تصلح الحياة، وتبني الحياة، وتحقق العدل، وتسمو بالإنسان، وتعالج الكثير من المشاكل والأزمات التي نعاني منها في واقع حياتنا، ولذلك يمكن أن تكون هذه المناسبة مناسبةً نستفيد منها ترسيخ هذه المسألة: أن نعود من جديد لمعرفة هذا الهدى، لمعرفة الجوانب التي نحتاج إليها بطبيعة ما نواجهه من تحديات ومشاكل وأزمات، نستطيع أن نفرز وأن نحدد المشاكل التي نعاني منها، والتحديات التي تواجهنا، ثم نعرف من خلال هذا الهدى كيف نتعامل مع هذه المشاكل، وكيف نواجه هذه التحديات، وكيف نعالج هذا الخلل، هذا من أهم ما نستفيده من هذه المناسبة المباركة، ما قبلها وما بعدها.

من أهم ما نركِّز عليه من خلال هذه المناسبة وفي الفعاليات التحضيرية ما قبل هذه المناسبة وما بعدها من برامج تكون امتداداً لها: أن نركز على الحفاظ على الأصالة والهوية الإسلامية، ونحن كشعبٍ يمني روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية)**، نحن معنيون أن نركِّز على الحفاظ على أصالة انتمائنا وهويتنا الإسلامية؛ **لأننا** نواجه اليوم نوعاً من أخطر الحروب، ومن أخطر

أشكال الاستهداف، ذلكم- أيها الإخوة والأخوات- هو الحرب الناعمة.

الحرب الناعمة.. المؤسس الأول والمستَهدَف الأول

الحرب الناعمة: هي حرب ضلال، ضلال يستهدف إبعادنا عن هويتنا الدينية، عن هويتنا الإسلامية، حرب بالفكر، بالثقافة، بالمفاهيم الظلامية والباطلة والخاطئة، وسائلها كثيرة، ودعاتها كثر، وهي تتحرك لاستهدافنا من خلال الكثير والكثير من الوسائل. الحرب الناعمة ذات شق تثقيفي، وذات شق إفسادي، ذات شق يستهدف فكر الإنسان، مفاهيمه، نظرته، ثقافته، وذات شق يستهدف زكاء الإنسان، وطهره، وعفافه، وأخلاقه، وقيمه، ونحن اليوم في هذه المناسبة وفي فعالياتها التحضيرية وما بعدها معنيون أن نركِّز بشكلٍ كبير لأن نسعى لامتلاك الوعي اللازم الذي يحصننا وعياً وثقافةً تجاه هذا النوع من الحرب، تجاه هذا الشكل من أشكال الاستهداف.

الحرب الناعمة وسيلة للتضليل تحت عناوين مخادعة، والتضليل عادةً ما يتم بطرق مخادعة، وقد قدَّم الله لنا درساً مهماً لمعرفة كيف هي الحرب الناعمة في أول مشكلة يواجهها الإنسان من هذا النوع من الحرب، وتجاه هذا الشكل من أشكال الاستهداف، في أول حادثة وقعت واجه فيها الإنسان هذه الحرب، هذا الشكل من أشكال الاستهداف مع أبينا آدم عليه السلام بعد وجوده وخلقه، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[طه: الآية ١١٥]، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ الله سبحانه وتعالى قدَّم في هدايته لآدم التوصيات والتعليمات اللازمة والمهمة التي تحميه من هذا الخطر الذي يشكِّل خطورةً كبيرةً عليه في واقع حياته، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ توصيات وتوجيهات مؤكدة وملزِمة وواضحة، وفيها التحذير الكافي، وكانت مشكلة آدم عليه السلام كما قال

الله عنه: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾، أخطر حالة هي حالة الغفلة، النسيان، عدم الانتباه لهذا النوع من الاستهداف، التبسيط للأمور، هذه الحالة خطرة **جدًّا**، وستبقى هي الحالة الخطرة علينا في كلِّ زمانٍ ومكان، وعندما يفقد الإنسان العزم، الجهوزية العالية، الوعي الكافي، الانتباه اللازم، اليقظة المطلوبة، في مثل هذه الحالة يكون الإنسان فريسةً سهلة للإيقاع به في هذه الحرب الناعمة، الإنسان إذا تسلَّح بالوعي، باليقظة، بالعزم، بالانتباه، بالاهتمام؛ **فهو** سيتحصن من الإيقاع به في هذه الحرب الخطرة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾[طه: الآية ١١٦]، الله سبحانه وتعالى كرَّم هذا الإنسان، وأسجد الملائكة لأبينا آدم تكرمةً للوجود البشري، لأبينا آدم، للإنسانية جمعاء، الله يريد لنا الكرامة، يريد لنا الخير، يريد لنا مع الكرامة المعنوية السعادة في حياتنا أيضاً، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ هناك واحد من الجميع من أولئك الذين وجِّه إليهم هذا التكليف وأمروا بالسجود، هو إبليس أبى وامتنع أشد الامتناع عن السجود لآدم، واستكبر وعادى آدم، وعادى هذا الوجود البشري، ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: الآية ١١٧]، إبليس هو عدوٌ للإنسان رجلاً وامرأة، ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾،فإبليس هو عدوٌ للإنسان سواءً كان هذا الإنسان ذكراً أو كان أنثى، هو عدو للجميع، وعداؤه يتمثل في سعيه للإيقاع بهذا الإنسان في الضلال، في الغواية، **يعني:** الحرب الناعمة، **الحرب الناعمة:** هي حرب إغواء، وحرب تضليل، **والهدف منها:** إيقاع الإنسان في الشقاء، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾؛ **لأن** عملية الإغواء والتضليل هي عملية أثرها في الحياة هو الشقاء، هو أن يشقى الإنسان، أن يهون، أن يذل، أن يخسر الخير، أن يعاني.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، لك في هذه الجنة التي أعطاك الله لتبدأ بها مسيرة حياتك في هذه الأرض كل هذه الرعاية الشاملة، **(إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا)**: تتوفر لك كل المواد الغذائية اللازمة، **(وَلَا تَعْرَى)**: تتوفر لك الملابس، جوانب أساسية في احتياجات الإنسان، **(وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا)**: يتوفر لك ما تحتاج إليه من الماء والشراب، **(وَلَا تَضْحَى)**: لا تعاني الكد والنصب والتعب الشديد، فتعيش حالةً مستقرة. فالظاهر أن المعنى لقوله ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ أي لا يؤذيك حر الشمس.

فماذا عمل الشيطان؟ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: الآية ١٢٠]، وسيلة الإغواء وعناوين التضليل هي عناوين مخادعة، هي تتوجه إلى الإنسان من جوانب تمثِّل إغراءً لهذا الإنسان، وتأثيراً على مشاعر هذا الإنسان، إبليس عندما وسوس لآدم دخل من خلال هذه العناوين التي تلامس في نفس الإنسان رغبات معينة، **(قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ)**: شجرة إذا أكلت منها تعيش للأبد، وتحيا للأبد، ولا تموت نهائياً! **(وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)**: ملك يبقى على الدوام متجدداً لا ينقطع ولا يبلى! وهكذا هي دائماً العناوين التي يتحرك من خلالها الشيطان وأولياء الشيطان في استهدافنا كمسلمين، كشعبٍ مسلم، وكأمةٍ مسلمة، العناوين التي يحاولون من خلالها الإغواء الفكري والتضليل الثقافي، أو العناوين التي يحاولون أن يؤثِّروا بها من خلال ملامسة الرغبات والشهوات؛ **للإيقاع** بنا، لإغوائنا، للتضليل لنا، للإفساد لنا، لتضييع القيم والأخلاق من واقع حياتنا.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝١٢١ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۝١٢٢ قَالَ اهْبِطَا

مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢١-١٢٣]، الحرب الناعمة- أيها الإخوة والأخوات- بدأت من تلك اللحظة: من اللحظة التي خاطب فيها إبليس آدم وحواء عليهما السلام **بهذا العنوان المغري والجذاب:** ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾، بينما كانت النتيجة هي أنهما خسرا كل شيءٍ حتى الملابس، حتى الملابس، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾، والنتيجة من تلك اللحظة تحددت لمستقبل البشرية إلى قيام الساعة، من تلك اللحظة إلى آخر إنسانٍ يولد في هذه الحياة هي هذه النتيجة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[طه : ١٢٣-١٢٤].

كيف نتحصن من تأثيرات الحرب الناعمة؟

ولذلك نحن معنيون أن نرسِّخ في انتمائنا لهذا الإسلام العظيم ارتباطنا الوثيق بالقرآن الكريم، التثقف بثقافته، الوعي لمفاهيمه، الاستنارة بنوره، والاستبصار ببصائره، وأن نرسِّخ في واقعنا الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقدوة وأسوة وقائد وهادٍ؛ **حتى** لا نعيش حالة الانفلات، ولا الفراغ، ولا حالة التأثر بمن هبَّ ودبّ، البعض يدخل على مواقع التواصل الاجتماعي يتأثر بأي شيءٍ يطَّلع عليه، بأي عنوانٍ قد يكون عنواناً مغرياً، **أخطر شيءٍ على شبابنا وشاباتنا في هذه المرحلة التاريخية في واقع الأمة هو الانفلات والفراغ**، إذا لم يعش الإنسان معنى الانتماء الحقيقي للإسلام في التمسك برسول الله، في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الانشداد إلى هذا الرسول العظيم، في التطلع إلى سيرته كما أوردها القرآن، والتمسك بالقرآن الكريم الذي هو المحتوى الشامل والأساس

والصادق- والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- للإسلام العظيم، محتوى الإسلام بكله في القرآن الكريم، في كل أسسه ومبادئه، كتاب الهداية.

فتعزيز هذا الارتباط بالقرآن والرسول هو الذي يحمينا ويحصننا تجاه كل حملات الحرب الناعمة، هو الذي سيحفظ لنا كرامتنا، هو الذي يمكن أن نبني عليه حاضر حياتنا ومستقبلها، هو الذي يمكن من خلاله أن نعالج كل مشكلاتنا، وأن نواجه كل التحديات مهما كانت تلك التحديات.

الرسول ﷺ في حركته بالرسالة واجه مشكلات كبيرة وتحديات كبيرة، لكنه نجح في إحداث أكبر عملية تغيير، تغيرت المفاهيم الظلامية في الواقع الذي كان يعيشه العرب، وحملوا هذه الرسالة العظيمة في منهجها، وارتقوا من أمةٍ أمِّيَّة، تعيش حالة الانحطاط الأخلاقي، والإفلاس الإنساني، وتئِدُ البنات، إلى أمة راقية، أمة متحضرة، واحتلوا مركز الصدارة بين كل الأمم، وحملوا رسالة الله، وأشرف مسؤولية، وأقدس قضية، هكذا انتقل بهم الإسلام، وانتقل بهم القرآن، وانتقل بهم الرسول نقلةً عظيمة وقفزةً عملاقة من الحضيض إلى الصدارة؛ **حتى** صار المسلم بإسلامه أرقى إنسان يعيش على وجه البسيطة، في وعيه، في ثقافته، في أخلاقه، في قيمه، وحتى كانوا هم من يحملون مشعل الحضارة الحقيقية في واقع البشرية، والأمة الجديرة بقيادة البشرية.

اليوم نحن بحاجة إلى تعزيز هذه الأصالة، وهذا الانتماء، وهذا الارتباط، وأن نجعل من هذه المناسبة، وفي فعالياتها التحضيرية ما قبلها وما بعدها أيضاً، أن نجعل منها محطة لترسيخ هذا الانتماء وهذا الوعي، وتعزيز مسألة التأسي بالرسول، وصدق الله ﷻ القائل في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم جميعاً للتأسي برسول الله، والاقتداء برسول الله، والتمسك برسول الله، والاهتداء برسول الله، والتمسك بكتاب الله، وأن نعزز ارتباطنا بالرسول وبالقرآن من موقع الاتباع والاقتداء والاهتداء، إنه سميع الدعاء.

وأشكر لكم هذا الحضور...

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي الشريف ١٤٤١هـ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١-٢].

والحمدُ لله ربِّ العالمين، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف]، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، ولا كفؤ له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١]، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا محمداً عبدُه ورَسُولُه وخاتمُ أنبيائه، أرسله بالحقِّ ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، فبلَّغ رسالات الله، وأقام الحجة، وأوضح المحجة صابراً، محتسباً، مجاهداً، مستقيماً، حتى لحق بالرفيق الأعلى مرضياً عمله، ومشكوراً سعيه، ومرفوعةً درجاته.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية٥٦]، اللّهم صَلِّ على محمد وعلى آلِ محمد، وبارِكْ على محمد وعلى آلِ

محمد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللَّهُم برِضَاك عن أَصْحَابِهِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين لهم بإحسان، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيها الإخوة والأخوات، الحاضرون في كل ساحات الاحتفال بهذه الذكرى المباركة

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

وكتب الله أجركم، وبارك فيكم على هذا الحضور المشرِّف المعبِّر عن الفرح والابتهاج والسرور برحمة الله للعالمين، وفضله العظيم المتمثل بخاتم أنبيائه وسيِّد رسله، سيدنا وقائدنا وقدوتنا: رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله **في ذكرى مولده المبارك، وقدومه الميمون، ومباركٌ لكم ولكافة أبناء شعبنا المسلم العزيز، ولأمتنا الإسلامية قاطبة، بهذه المناسبة المجيدة والذكرى المباركة.**

في هذا العام، كما في الأعوام الماضية، يتبوأ شعبنا اليمني المسلم العزيز الصدارة بين أبناء الأمة الإسلامية في احتفائه واحتفاله واهتمامه بهذه المناسبة المباركة، حيث جعل منها محطةً تعبويةً وتربويةً ومعرفيةً لتعزيز الولاء والمحبة لرسول الله ﷺ ولترسيخ المفاهيم والمبادئ والقيم الإسلامية التي أتى بها من عند الله ﷻ، وللحثِّ على الاقتداء والتَّأسي برسول الله ﷺ والتعرف على مسيرته المباركة في حركته بالرسالة الإلهية، وما حمله من قيم، وما جسَّده من أخلاق، وبلَّغه من التعاليم الإلهية.

إنَّ شعبنا العزيز، وهو يمن الإيمان والحكمة، بحكم هذا الانتماء وهذه الهوية الإيمانية، أدرك أهمية هذه المناسبة، وما تمثِّله من فرصةٍ

كبيرةٍ في مرحلةٍ حسَّاسة تعاني فيها الأمة الإسلامية من مشاكل كبيرة، وتواجه فيها تحدياتٍ خطيرة، وهي فيها بأمسِّ الحاجة إلى العودة إلى ينابيع الهداية والحكمة، وعناصر القوة، وأسباب الفلاح والنجاة والخلاص.

حالة البشرية قبل البعثة النبوية

والحديث عن الرسول والقرآن الكريم والرسالة الإلهية هو حديثٌ عمَّا نحن معنيون به؛ **بحكم** انتمائنا للإسلام، وحديثٌ عمَّا لا نجاة، ولا خلاص، ولا فلاح للبشرية إلَّا به، وحديثٌ عمَّا ثبت بالفعل نجاحه في إنقاذ البشرية في جاهليتها الأولى، فقد كان الناس يعيشون جاهليةً جهلاء، فقدوا فيها الرشد الفكري في عقائدهم وأفكارهم وثقافاتهم، وفقدوا فيها الاستقامة والحكمة والصلاح في أعمالهم وتصرفاتهم وسلوكهم ومعاملاتهم، ونتاج ذلك هو الشقاء، والبؤس، والمشاكل بكل أنواعها، بدون أفقٍ للحل، وعظمت المعاناة، وتدهورت الأوضاع، وبات البشر في أسوء واقع، وفي أمسِّ الحاجة للتغيير وللخلاص.

إنَّ كل الكيانات الموجودة آنذاك من إمبراطوريات ودولٍ كبرى بقادتها، ومفكريها، وساستها، ومنظِّريها، وما تمتلكه من إمكاناتٍ، وما تعتمد عليه من أفكارٍ وثقافات، وتسير عليه من توجهات، وإنَّ كل النخب الموجودة آنذاك من الأحبار، والرهبان، وعلماء أهل الكتاب... وغيرهم، وإنَّ الشخصيات المؤثرة في المجتمع من قادةٍ، وزعماء عشائر... ومن مختلف الشرائح الاجتماعية، الجميع لم يقدِّم الحل، وكان جزءًا من المشكلة، وما يصرُّون عليه ويتشبثون به كان يزيد منها، ومن آثارها السيئة في واقع الحياة؛ **لأن** الإنسان عندما يبتعد عن رسالة الله ﷻ، وعن هديه العظيم، وعن نوره المبارك، فلن يجد أبداً البديل الذي يرقى إلى مستوى الهدى، ولن يمتلك النور الذي يكشف له كل الظلمات، وهذا ما وقعت فيه البشرية آنذاك، بعد

أن انحرفت عن رسالة الله ﷻ، **وتعاليمه فيما جاء به أنبياء الله:** إبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وعيسى عليهم السلام... وغيرهم من الأنبياء السابقين، وانحرفت عمَّا كانوا عليه من مبادئ عظيمة، في مقدِّمتها مبدأ التوحيد، وعمَّا كانوا عليه من أخلاق، وعن التعاليم الإلهية القيمة التي تصلح بها حياة الناس.

ومن بعد نبي الله عيسى عليه السلام **امتدت الفترة،** وتعاظم الانحراف والتحريف، وكان الكثير مما يقدَّم للناس تحت عناوين مختلفة باسم الدين، وباسم المصلحة... وغير ذلك. إنما هو باطل له أثره السيء على الإنسان في نفسه وفي حياته، والذين يقدمونه إنما ينطلقون لتحقيق مكاسب ومصالح شخصية أو فئوية، مع فقدانٍ للتربية الروحية والأخلاق الصحيحة.

إن نتاج تلك الحال هو أن ازداد الضلال بكل أشكاله العقائدية والعملية، من شركٍ، وكفرٍ، وإجرامٍ، وظلمٍ، وفساد، وابتعدت البشرية عن الخير وعن الحق في حياتها، بقدر ما ابتعدت عن تعاليم الله ﷻ وهديه ونوره، بكل ما في ذلك من خطورةٍ كبيرةٍ على الناس في حياتهم، وفي مستقبلهم في الدنيا والآخرة.

وكان من نتائج ذلك الضلال: أن تصبح الخرافة عقيدة، والأساطير ثقافة، وأن تنعدم التربية الروحية والأخلاقية الصحيحة، التي تزكي الإنسان، وتنمي فيه مكارم الأخلاق، وتصلح سلوكه وأعماله، وأن يختل الانضباط والالتزام في مسألة الحلال والحرام، وأن يعظم التحريف لكتب الله وتعاليمه وفقاً للأهواء والرغبات، حتى سيطرت المفاهيم الظلامية، والأفكار الباطلة، والعادات السيئة على مسيرة حياة المجتمع، فكان الواقع ظلامياً بكل ما تعنيه الكلمة، وكانت القوى المسيطرة والنافذة والمؤثِّرة من دولٍ وزعامات، تستفيد من ذلك في الاستعباد للناس، والاستغلال لهم، ولم يبق في ذلك الواقع ما يمكن أن يشكِّل

خلاصاً منه، ولا حلاً لما تعانيه البشرية فيه، لا زعماؤه وحكَّامه، ولا نخبه من أحبارٍ، ورهبانٍ، وكهانٍ... وغيرهم، ولا من رؤى، وأطروحاتٍ، وأفكارٍ، وثقافاتٍ، وتوجهاتٍ؛ **فساء** واقع الحياة، وامتلأت الأرض ظلماً وجوراً، وبلغ الحال ومستوى الانحطاط والإفلاس الإنساني إلى أن يقتل الآباء أطفالهم: **إمَّا** قرابين للأصنام، **وإمَّا** خشية الإملاق والفقر، **وإمَّا** وأداً للبنات في التراب، **قال الله تعالى:** ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: من الآية ١٣٧]، إضافةً إلى انتشار الفواحش، والمنكرات الفظيعة، وإلى أن تكون الجريمة سلوكاً منتشراً وسائداً في جاهليةٍ جهلاء، ومرحلةٍ ظلماء.

من هو المنقذ؟ وكيف تتم عملية الإنقاذ؟

فكانت البشرية في أمسِّ الحاجة إلى الإنقاذ لها، ليس فقط لذلك الزمان فحسب. بل وللأجيال اللاحقة، التي لو استمر بها ذلك الحال، وتعاظم وكبر في واقعها ذلك الخلل جيلاً بعد جيل؛ **لبلغ** إلى مستوى فظيع من الضلال، والظلم، والوحشية، والإفلاس الإنساني والأخلاقي، والابتعاد عن الفطرة، بحيث يصعب تخيله! فمن هو المنقذ؟ وكيف تتم عملية الإنقاذ والخلاص؟.

إنَّ الله ﷻ هو رب العالمين، وملك السموات والأرض، وهو أرحم الراحمين، والعليم الحكيم، وهو رب الناس وملكهم وإلههم، وهو ولي نعمتهم، **وفي مقدِّمة النعم:** نعمة الهداية، التي بدونها لا يستفيد الإنسان من كلِّ النعم المادية مهما بلغت إمكانياته منها، بل تتحول هي إلى وسيلةٍ للظلم والفساد والطغيان، **كما قال الله تعالى:** ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦-٧]، فصلاح حياة الإنسان وسموه الإنساني يتوقف على الهداية الإلهية.

والله ﷻ هو نور السموات والأرض، والهادي إلى سواء السبيل، والعليم الحكيم، ولا يمكن للبشر أن يستغنوا عنه في نعمة الهداية، كما لا يمكنهم أن يستغنوا عنه في نعمه المادية، فهو واهب الحياة، ومنه كل الخير، وهو الخالق لهذا العالم بكل ما فيه من كائنات، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف]، فالله ﷻ كما يرعى عباده في حياتهم بما وهب لهم من نعمه التي لا تحصى ولا تعد، **والتي لا بدَّ لهم منها في وجودهم:** كالماء، ونور الشمس، واختلاف الليل والنهار بانتظامٍ عجيب، وما خلق الله من الثمرات والغذاء المناسب للإنسان، وما هيَّأ به الأرض لتكون مكاناً مناسباً لحياة الإنسان، وما أكرم به الإنسان في خلقه، وصورته، ومداركه... إلى غير ذلك. الله ﷻ الذي أنعم على هذا الإنسان بنعمه الواسعة، لم يهمل هذا الإنسان في جانب الهداية التي تنظِّم له مسيرة حياته، وتزكي نفسه، ويعي بها الهدف من وجوده، ويعرف بها مسؤولياته في هذه الحياة، وعواقب عمله في الخير والشر في الدنيا والآخرة، فالله جلَّ شأنه برحمته وهو أرحم الراحمين، هو أرحم من أن يترك البشر بدون هدايةٍ لصلاح حياتهم، ونظم أمرهم، وحلِّ مشاكلهم، سيما ووجودهم يرتبط به من الأساس مسؤولياتٌ كبيرةٌ عليهم.

والله ﷻ وهو الملك الحق، فإنَّ جانباً أساسياً من تدبيره لملكوته هو الهداية، والتعليمات التي يوجهها إلى عباده، فهو ﷻ الذي له الخلق والأمر، وهو سبحانه لم يقطع صلته بعباده في الهداية منذ بداية الوجود البشري، حين خلق آدم أبا البشر وحواء عليهما السلام فأرفق هذا الوجود بالهدى والتوجيهات والتعليمات ذات الصلة بمسؤولية الإنسان، وصلاح حياته، ومستقبله الأبدي في الآخرة، ومعها رعايته المرتبطة بها فيما وعد به عباده، وفيما حذَّرهم منه.

واستمرت هذه الصلة بالهداية عبر الرسل والأنبياء، وما أنزل عليهم من الهدى، وعبر الهداة من عباده عبر التاريخ الإنساني، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء: من الآية ١٦٥]، **وكانت مشكلة الناس هي في الابتعاد عن رسالة الله تعالى وهديه العظيم: إمَّا** بالكفر والجحود والرفض لها جملةً وتفصيلاً، كما فعله الكثير من البشر؛ **اتِّباعاً** للطغاة والمجرمين. **وإمَّا** عبر التحريف لها، وتفريغها من لبِّها ومن محتواها الأساسي، كما فعله البعض الآخر، **والنتيجة لكلا الأمرين:** هي الضلال والباطل، هي الظلم والفساد، هي المفاهيم الظلامية، هي الاستعباد والاستغلال لصالح الطغاة والمجرمين، هي الفوضى في الأعمال التي يترتب عليها الكثير من المشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، والأمنية، والأزمات الكبيرة، والمعاناة الرهيبة، وهذا ما حدث في مرحلة الجاهلية الأولى قبل مبعث خاتم الأنبياء رسول الله محمد ﷺ.

وأتت رحمة الله جلَّ شأنه وكان أكبر بشائرها وإرهاصاتها حين أهلك الله أصحاب الفيل، يوم توجَّه أبرهة الحبشي بجيشه الجرار، وفي مقدِّمته الفيل الذي كان آنذاك كائناً مخيفاً بالنسبة للعرب، كما يمثِّل وجوده في جيش أبرهة، كان يمثِّل بالنسبة للروم رمزاً للقوة العسكرية في ذلك الزمن،

وهدفت هذه الحملة العسكرية إلى السيطرة التامة على مكة المكرمة، ووأد مشروع الخلاص، والقضاء على مستقبل الرسالة الإلهية، بعد أن عرف الطغاة أولئك مؤشرات وعلامات اقتراب القدوم المبارك لخاتم الرسل والأنبياء، إضافةً إلى سعيهم لتدمير الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، برمزيته الدينية، وقدسيته المعروفة، فكان التدخل الإلهي المباشر بتدمير ذلك الجيش بكله، وإفشال مساعيهم بشارةً عظيمة، وعبرةً مهمةً في أنَّ الله غالبٌ على أمره.

النبي الخاتم.. لمحة عن المولد والنشأة

في ذلك العام (عام الفيل) ولد رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، يتصل نسبه بنبي الله إسماعيل بن نبي الله وخليله إبراهيم عليهما السلام ولد في مكة المكرمة، ونشأ يتيماً، حيث توفي والده مبّكراً، ثم توفيت والدته وهو- كما يقال- في السنة السادسة من عمره، فآواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم توفي جده عبد المطلب وهو- كما يقال- في السنة الثامنة من عمره، فكفله عمه أبو طالب بقية طفولته، ووقف معه في بقية المرحلة المكية، وناصره منذ بعثته بالرسالة إلى أن توفي أبو طالب قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة بزمنٍ يسير.

كانت نشأة النبي محمد صلى الله عليه وآله نشأةً مباركة، وأنبته الله نباتاً حسناً، وحظي بالإعداد والرعاية الإلهية التي تهيئه لمسؤوليته الكبيرة ودوره العظيم في حمل الرسالة الإلهية والإنقاذ للبشرية؛ **فلم** يتأثر بالواقع الذي كان يعيش فيه، ولم يتدنس بدنس الجاهلية، بل نشأ نشأةً فريدةً ومتميزة، فنمت بنموه وكبرت معه مكارم الأخلاق والرشد والحكمة.

وفي الأربعين من عمره بعثه الله برسالته إلى الناس كافة رحمةً للعالمين، ليبدأ بحركته بها ضمن الخطة الإلهية الحكيمة من مكة، حيث يتهيأ له كمركزٍ ديني يقصده الناس للحج انتشار صدى الإسلام وخبر الرسالة إلى سائر البلدان، وسعى رسول الله ﷺ إلى تكوين أمةٍ تحمل هذه الرسالة إيماناً بها، والتزاماً بها، وثباتاً عليها، تتسع دائرتها يوماً بعد يوم، فكان أول نواةٍ لهذه الأمة رسول الله محمد ﷺ وزوجته الصديقة الطاهرة خديجة بنت خويلد، والصدّيق الأكبر السابق إلى الإسلام علي بن أبي طالبٍ عليه السلام ثم اتسعت هذه الدائرة.

الأهمية الكبرى للاستفادة من السيرة النبوية

إنَّ الدروس التي تستفيدها الأمة اليوم عن السيرة النبوية في حركة رسول الله ﷺ في تلك الظروف، وما حققه الله على يديه من نتائج، هي في غاية الأهمية، والنجاح الذي تحقق، ومستوى التغيير الذي امتد في أنحاء المعمورة، والتطورات الكبيرة المتلاحقة التي سقطت بها امبراطوريات ودول كبرى آنذاك، كل ذلك يمثِّل درساً مهماً **جدًّا** وكبيراً **يجب** استيعابه والاستفادة منه.

لقد كانت البداية صعبة، وواجه فيها رسول الله ﷺ التحديات الكبيرة، بدءاً من مجتمع مكة، وقد انزعج الملأ والمستكبرون من الإسلام، وعملوا بكل جهدهم للتصدي للرسالة الإلهية وبكل إمكاناتهم، فكانت الحرب الإعلامية والدعائية، والاضطهاد والصد والعداء الشديد في المرحلة المكية.

ثم بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة وما شهدته تلك المرحلة من حروبٍ عسكرية واقتصادية، ومن تحالفاتٍ معاديةٍ للرسول والمسلمين، لقد اشترك في العداء والحرب على الإسلام ورسوله والمسلمين- آنذاك- العرب واليهود وإمبراطورية الروم، التي كانت- آنذاك- في مستوى نفوذها وقوتها

أكبر دولةٍ في ذلك العصر، ولم يكن لدى رسول الله ﷺ الإمكانيات المادية الكبيرة التي يعتمد عليها في مواجهة تلك التحديات، بل كان التمويل يعتمد على إنفاق المؤمنين، وهم قلةٌ قليلة، وإمكانياتهم محدودة، وأكثرهم كانوا من الفقراء والمستضعفين، وبتلك القلة القليلة من المسلمين الذين كانوا بالعشرات، ثم بالمئات، ثم بالآلاف، ومن منطقةٍ صغيرة احتضنت هذا المشروع الإلهي، هي المدينة المنورة، بعد هجرة النبي إليها انتصر الإسلام، واتسعت رقعته، وأحدث تغييراً كبيراً وتحولاً هائلاً في الواقع، ولم يكن مجرد انتصارٍ عسكري، وأحدث نقلةً كبيرةً في واقع المسلمين من أمةٍ مستضعفةٍ صغيرةٍ، إلى أمةٍ في المرتبة الأولى في الواقع البشري، بعد أن تهاوت أمامها الإمبراطوريات، وكبريات الدول والكيانات الأخرى، وأصبحت الأمة الإسلامية يومئذٍ هي الأقوى حضوراً وتأثيراً وقوةً في الساحة العالمية، وكل هذا في غضون سنواتٍ معدودة، فلماذا؟ ما هو سِرُّ قوة هذه الرسالة، وسِرُّ نجاحها، وسِرُّ نجاح الرسول ﷺ في إحداث كل هذا التغيير والتحول؟

عوامل قوة الرسالة وسر نجاح الرسول

لأن رسالة الله تعالى تمتلك من عناصر القوة والتأثير والنجاح ما لا مثيل له في أي مشروعٍ آخر، ونذكر بعضاً منها باختصار:

أولاً: هي رسالة الله ودينه الحقَّ، تحظى أيُّ أمةٍ تتمسك بها برعاية الله وتأييده ونصره، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، فالله جلَّ شأنه هو الذي يدعم وينصر هذه الرسالة، والأمة التي تؤمن بها، وتلتزم بها، وتتحرك على أساسها، تحظى من الله بتأييده ومعونته ونصره.

ثانياً: هي دين الفطرة، تنسجم مع الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها، وعندما تصل بشكلٍ صحيحٍ وسليمٍ إلى الناس، ويرى الناس نماذج لها في واقع الحياة؛ **يتقبلونها**، وينسجمون معها، إلَّا من طبع الله على قلبه وخذله.

ثالثاً: كان لرسول الله ﷺ دورٌ أساسيٌ بما منحه الله ﷻ من مؤهلاتٍ عالية لحمل هذه الرسالة والتحرك بها، وفي إيمانه العظيم، وفي أخلاقه العالية التي بلغ بها أعلى مرتبةٍ يمكن أن يصل إليها بشر، كما قال الله ﷻ مقسماً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: الآية ٤]، وفيما كان عليه من حرصٍ عجيب، واهتمامٍ كبيرٍ **جدًّا** في سعيه لهداية الناس، **كما قال تعالى:** ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: الآية ١٢٨]، وفي صبره العظيم، وتحمله، وثقته بالله تعالى، وتوكله عليه، فكان له دورٌ أساسيٌ في إحداث ذلك التغيير الكبير، ونجح في مهمته لتبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، وإقامة الحجة، وتصحيح مسار البشرية، ومواجهة أصعب التحديات، نجاحاً لا مثيل له.

رابعاً: تمتلك الرسالة الإلهية من الخصائص ما لا مثيل له في أي مشروعٍ آخر؛ **لأنها** من الله، من حكمته، من رحمته وعلمه بما هو خيرٌ وصلاحٌ لعباده، وهي شاملةٌ تشمل كل الجوانب المهمة للإنسان في تصحيح فكره وثقافته ومفاهيمه، فهي نور الله الذي يخرجنا من الظلمات، وفي تزكيتها للنفس، وتطهيرها من الدنس، وتربيتها على مكارم الأخلاق، وفي تعزيز صلة الإنسان بالله في تعاليمه، وفي رعايته المصاحبة لها، وفي بنائها الصحيح لحياة الإنسان وترشيد سلوكه وتصرفاته، إنها رسالةٌ تصلح الإنسان، وتصلح حياته، وتقدِّم أعظم برنامجٍ يسير عليه في حياته، وهي بذلك الطريقة

الوحيدة لإنقاذ البشرية مما تعانيه اليوم من أزمات ومشاكل متنوعة.

خامساً: حفظ الله هذه الرسالة بأعظم وأهم وثيقةٍ موجودةٍ في الأرض، وهي القرآن الكريم كتاب الله المبارك والمعجزة الخالدة، **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: الآية ٩]، وهو الكتاب العجيب الذي أنزله الله جلَّ شأنه لهداية عباده، **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: من الآية ٩]، واعتمد عليه رسول الله ﷺ في مهمته الرسالية بشكلٍ كبير، وهو في سعة معارفه وعلومه الواسعة كما قال الله ﷻ بشأنه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[الكهف]، وهو الحق الخالص الذي لا يشوبه ولا مثقال ذرةٍ من الضلال والباطل، **كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴿٤٢﴾﴾[فصلت]، وهو النور والفرقان الذي تكسب به الأمة أعلى درجات الوعي ومستويات الفهم والمعرفة الصحيحة والحكمة، ولا نجاة، ولا رحمة، ولا خلاص، إلَّا بالتمسك به واتِّباعه، هذه بعضٌ من العناصر المهمة الكفيلة بالنجاح والفلاح لمن يتمسك بهذه الرسالة الإلهية.

وإذا تأملنا في واقع البشرية اليوم في ظل هيمنة قوى الاستكبار والضلال، وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل، نجدها تعتمد في توجهاتها وسياساتها وتسخِّر كل إمكاناتها في سبيل تعزيز سيطرتها على الشعوب، وعلى مقدراتها وإمكاناتها، تعتمد على التضليل والإفساد، والتقويض للقيم والأخلاق؛ **لتهيئ** المجتمع البشري للقبول بسيطرتها والخنوع لها، وقد تسببت سياساتها الهدَّامة إلى إلحاق الضرر الكبير بالكثير من الشعوب في مختلف أنحاء

الأرض، في أمنها، واقتصادها، وواقعها الاجتماعي، ونشرت فيها الفوضى والأزمات، كما استغلت المشاكل وزادت من تعقيدها والاستثمار فيها.

من نور المناسبة.. إضاءة على جوانب مهمة

في ظل هذه الظروف، وما تعانيه أمتنا الإسلامية وكافة المستضعفين والمظلومين في العالم، وما يعانيه شعبنا العزيز بسبب العدوان الأمريكي السعودي الهادف إلى مصادرة الحرية والاستقلال، والاحتلال للبلد، والسيطرة على الشعب، **فإننا ومن نور هذه المناسبة المباركة نؤكِّد على التالي:**

أولاً: ندعو أمتنا الإسلامية وشعبنا العزيز إلى السعي الحثيث لتعزيز التمسك بهذه الرسالة الإلهية، وتعزيز الاقتداء برسول الله ﷺ والتمسك بالقرآن الكريم، مع العناية الفائقة بالتثقف بثقافة القرآن الكريم، وفكِّ كل أشكال التبعية لقوى الاستكبار والغرب الكافر، والاهتمام بتعزيز الاستقلال الحقيقي على المستوى الثقافي والفكري... **وفي كل مناحي الحياة:** اقتصادياً، وسياسياً، وحضارياً.

كما أدعو الشباب إلى الحذر من حالة الفوضى في التلقي الثقافي والإعلامي في مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام، فجزءٌ كبيرٌ مما يتم نشره يستهدفهم بالتضليل الثقافي والإفساد الأخلاقي، ومصدره أعداء الأمة وعملاؤهم.

إننا- أيها الأعزاء- أمةٌ **يجب** أن نتحلى بالوعي، نحن أمة محمد، نحن أمة القرآن، **يجب** أن نتحلى بالوعي، وأن نعرف من نحن، وكيف **يجب** أن نكون، ومن هو العدو، وما هي مؤامراته وأساليبه في حربه الشيطانية.

ثانياً: أدعو شعوب أمتنا كافة إلى أخذ الحيطة والحذر في تعاملها مع مشاكلها بما لا يفتح ثغرةً للأعداء، كما حصل مؤخراً في العراق وفي لبنان، فالموقف الإسرائيلي المبتهج ببعض التطورات في العراق ولبنان، والارتياح الأمريكي يكشف بوضوح أهمية الحكمة، والوعي، والتصرف الصحيح الذي يحقق المطالب المشروعة دون تقديم خدمةٍ للأعداء، وضرورة التحلي بالمسؤولية في اعتماد الخيارات والوسائل العملية.

كما أدعو الحكومات إلى تقوى الله ﷻ تجاه شعوبها، وأن تؤدِّي دورها في خدمتهم ومسؤولياتها تجاههم بأمانةٍ، ونزاهةٍ، ومصداقيةٍ، وإخلاص، وأن تدرك مخاطر أدائها الفاشل، وعواقب الفساد والخلل الذي يساهم أكثر وأكثر في تفاقم الأزمات.

ثالثاً: أنصح تحالف العدوان الظالم بوقف العدوان والحصار على شعبنا العزيز، فشعبنا لن يتراجع أبداً بإذن الله ﷻ في مسيرته التحررية، التي تحقق له الاستقلال التام وحرية القرار وفق مبادئه وانتمائه وهويته الإيمانية، تجاه قضاياه في الداخل، وفي موقفه تجاه قضايا الأمة الإسلامية، **وعلى رأسها القضية الفلسطينية:** إنساناً، وأرضاً، ومقدسات، والموقف الحاسم من إسرائيل كعدوٍ للأمة الإسلامية، والمناهضة للهيمنة الأمريكية، والنزعة الاستعمارية، والسياسات العدائية الأمريكية ضد أمتنا الإسلامية.

إنَّ تمسك شعبنا العزيز بحقه في الاستقلال، وتمسكه بموقفه تجاه هذه المسائل، وتمسكه بالأخوة الإسلامية مع أبناء أمته، هو موقفٌ مبدئيٌ إيمانيٌ دينيٌ لا يمكن التخلي عنه، ولا المقايضة به في مزاد المساومات السياسية، ومن يسعى بالحروب، والحصار، والعدوان، والجرائم اليومية،

إلى التحكم بنا كشعبٍ يمنيٍ مسلم، وإرغامنا على الخنوع والعبودية؛ **فهو** يسعى للمستحيل الذي لن يصل إلى تحقيقه، وعاقبة أمره الخسران.

إننا نمدُّ أيدي الإخاء والسلام إلى كلِّ أمتنا الإسلامية، ومن يعادينا كشعبٍ يمنيٍ ويعتدي علينا، يتحمل هو المسؤولية لخياره الخاطئ، وقراره الظالم، وإنَّ استمرار العدوان معناه أن نستمر في تطوير قدراتنا العسكرية بمختلف أنواعها، وأن نوجِّه أقسى الضربات التي نتمكن من توجيهها كعمليات ردع لوقف العدوان علينا، وهذا حقٌّ مشروع.

وهنا أوجِّه دعوةً للنظام السعودي بوقفٍ جادٍ للعدوان والحصار، واحترام حق الجوار؛ وإلَّا فمخاطر الاستمرار في العدوان كبيرة، ونتائجها عليكم وخيمة، وينبغي أن تدركوا ذلك كحصيلةٍ لتجربة خمس سنوات.

رابعاً: تكررت تصريحات مجرمي الحرب الصهاينة، وعلى رأسهم المجرم الصهيوني اليهودي نتنياهو، التي تتحدث عن اليمن كتهديدٍ لإسرائيل، وتسعى لربط ذلك بإيران، كما هي العادة الإسرائيلية.

إننا في هذا المقام نؤكِّد على أنَّ موقفنا في العداء لإسرائيل ككيانٍ غاصب ومعادٍ لأمتنا الإسلامية، هو موقفٌ مبدئيٌ إنسانيٌ أخلاقي، والتزامٌ ديني، نلتقي فيه مع الأحرار والشرفاء من أمتنا الإسلامية، وإذا تورَّط العدو الإسرائيلي في أيِّ حماقةٍ ضد شعبنا؛ **فإنَّ** شعبنا لن يتردد في إعلان الجهاد في سبيل الله ضد هذا العدو، **كما لن نتردد في توجيه أقسى الضربات الممكنة لاستهداف الأهداف الحسَّاسة جدًّا على كيان العدو الإسرائيلي.**

خامساً: أدعو الجهات الرسمية في بلدنا إلى بذل كل الجهد لرفع مستوى الأداء في خدمة الشعب بكل ما أمكن، بالرغم من شحة الموارد وظروف الحرب والحصار، والعمل على تصحيح الوضع داخل مؤسسات الدولة، ومكافحة الفساد بشكلٍ فعَّال، وتنفيذ الخطط التفصيلية للرؤية الوطنية، والسعي للمزيد والمزيد من تحقيق العدالة والأمن والاستقرار، وتصحيح الوضع في السجون، ومعالجة مشاكل السجناء.

كما أدعو شعبنا العزيز بكل مكوناته وأطيافه إلى الاستمرار في مسيرة التحرر والاستقلال، والحذر من الاختراق الخارجي، والحفاظ على وحدة الصف، وعلى السِّلم الاجتماعي، والعناية بالتكافل الاجتماعي، ورعاية الفقراء والمساكين، والعناية بأسر الشهداء والمرابطين، والعناية بإيتاء الزكاة كركنٍ مهمٍ من أركان الإسلام.

شعبنا المسلم العزيز الصابر الصامد العظيم: إننا ندرك حجم المعاناة التي تعاني منها، والتي جزءٌ كبيرٌ منها هو نتيجةٌ للعدوان والحصار، الذي سعى لتدمير كل مقومات الحياة، والتضييق على البلاد في كل الاحتياجات ومتطلبات الحياة، وسعى للوصول بالاقتصاد إلى الانهيار الكامل، وسعى مع الخونة من أبناء البلد إلى سرقة النفط والغاز، من خلال سيطرته على حقول النفط والغاز في مأرب وشبوة وحضرموت، فالإنتاج من حقول النفط في تلك المحافظات يقدَّر خلال سنوات العدوان بأكثر من مائةٍ وعشرين مليون برميل من النفط، **يعني:** سرقة كبيرة، سرقة كبيرة **جدًّا**، والإيرادات التي كان شعبنا سيحصل عليها من مصادره من النفط والغاز... وغيرها، وخسرها بسبب العدوان وعملائه الخونة تقدَّر بأكثر من اثني عشر ترليوناً، كانت

ستكفي لصرف المرتبات، اثنا عشر ترليوناً كانت ستكفي لصرف المرتبات لأكثر من اثني عشر عاماً، وهذا يكشف عن حجم الظلم الذي يعانيه شعبنا من عدوان تحالف العدوان وعملائه على المستوى الاقتصادي، وهذا يحتم على شعبنا العزيز المزيد من الصمود والثبات في التصدي لهذا العدوان الجائر، السارق، الظلم، الغاشم، الناهب، المدمِّر، فشعبنا في موقف الحق، ويمتلك القضية العادلة، وهو شعبٌ مظلوم، وعاقبة الصمود والثبات والتوكل على الله هي النصر الموعود الذي وعد الله به، وما صمود شعبنا وتماسكه كل هذه السنوات بالرغم من حجم العدوان ومستوى المعاناة، إلَّا نصرٌ من الله تعالى، وبشارةٌ على حسن العاقبة، والعاقبة للمتقين.

إنَّ الخلاصة الجامعة لهذه المناسبة، وأهمَّ نتيجة لها، هي ما قاله الله ﷻ في الآية المباركة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: الآية٢١].

أسأل الله تعالى أن يبارك فيكم، وأن يكتب أجركم على هذا الحضور المبارك الكبير، وما سبقه من فعاليات تحضيرية، وأن يوفقني وإياكم لنكون من المقتدين برسوله، والمتأسين به، والمتَّبعين له، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يجمعنا به في مستقر رحمته، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، ويفرِّج عن أسرانا، وينصرنا بنصره.

أكرر المباركة لكم، ونفسي وروحي لكم الفداء...

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

المولد النبوي الشريف ١٤٤٢هـ

كلمة السيد في افتتاح الفعاليات والأنشطة التحضيرية للمناسبة

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إله إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهم صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّد، وبارِكْ على مُحَمَّد وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة والآباء الحاضرون جميعاً

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أرحب بكم جميعًا: العلماء والمسؤولين... وسائر الحاضرين من إخوتي المؤمنين الكرماء الأعزاء كبارًا وصغارًا، **وأرحب** أيضًا بالضيوف الأعزاء الذين فك الله سبحانه وتعالى أسرهم، وحضروا في هذا الاجتماع المبارك، **وأرحب** أيضًا ترحيبًا خاصًا بالإخوة الذين كانوا مرابطين في مدينة الدريهمي، في

كل مرحلة الحصار التي استمرت لأكثر من عامين، ثم فكَّ الله ﷻ هذا الحصار، **أرحب** بكم جميعًا في هذا الحضور المبارك، وفي هذا الاجتماع المهم، ويعبِّر تنوع هذا الحضور الذي يشمل الجانب الرسمي، وحضر في هذا الجانب الرسمي الكثير من **الإخوة المسؤولين البارزين في الدولة:** من مجلس القضاء الأعلى، من مجلس الوزراء، من مجلس الشورى، أعضاء من مجلس النواب... من مختلف مؤسسات الدولة، وأيضًا على المستوى الشعبي، هذا الحضور وهذا الاجتماع المبارك الذي يقدِّم صورةً عن الانسجام الشعبي والرسمي، وعن التوجه الذي يشمل الجميع في إطار العمل لما فيه رضا الله ﷻ، والاهتمام بالمناسبات الدينية المباركة الجامعة.

الهدف من هذا الاجتماع المبارك هو: افتتاح الفعاليات والأنشطة التحضيرية لمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، وشعبنا العزيز بكل فئاته ومكوناته التي تتجه هذا التوجه الإيماني، وبحكم هويته الإيمانية، يعطي اهتمامًا متميزًا واستثنائيًا لهذه المناسبة المباركة؛ **ولذلك** نفتتح في هذا اليوم الأنشطة التحضيرية لها، حتى نبذل- إن شاء الله- جميعًا من كل مواقعنا، ومن كل مستويات مسؤولياتنا، نبذل الجهد في الاستعداد لهذه المناسبة القادمة المباركة ذات الأهمية الكبيرة، والتي نجعل منها كشعبٍ يمني محطةً تربويةً، وتثقيفيةً، وتوعويةً، وتعبويةً كبيرةً، لها أهميتها وأثرها الكبير في واقع حياتنا، وفي تعزيز وترسيخ إيماننا، وفي مواجهة كل التحديات التي نتصدى لها.

من نعمة الله ﷻ، ومن توفيقه الكبير: أن يهتم شعبنا اهتمامًا متميزًا، وأن يكون في مقدِّمة شعوب هذه الأمة، وبأكثر من غيره من الشعوب، **حتى ليمكننا أن نقول:** إنه في الصدارة، وفي الموقع المتقدم في الاهتمام بهذه المناسبة المباركة، التي يعبِّر فيها عن حبه وولائه لرسول الله صلوات الله

وسلامه عليه وعلى آله، والتي -أيضًا- تتكثف فيها كمناسبة مهمة الأنشطة التثقيفية والتوعوية، التي ترسخ فينا جميعاً المحبة والولاء لرسول الله ﷺ، وتعزز العلاقة الإيمانية برسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله والتي ينبغي أن تكون دائماً في مسار ارتقاء، ومسار ازدياد، ومسارٍ تصاعدي.

من الجيد أن تكون هناك اهتمامات من الجميع: في كل مؤسسات الدولة، وعلى المستوى الشعبي على كل المستويات: في المساجد، في التجمعات، في المجالس، أنشطة متنوعة، وكذلك فعاليات متنوعة، كلها تتحدث عن رسول الله ﷺ، عن نعمة الله الكبيرة به، عن علاقتنا الإيمانية به، وكيف ينبغي أن تكون؛ **لأن** هذا الموضوع هو من المواضيع الأساسية على المستوى الإيماني في التزامنا وانتمائنا الإيماني، ونحن يمن الإيمان، هويتنا إيمانية، وينبغي أن تكون اهتماماتنا لكل ما من شأنه أن يعزز الإيمان في أنفسنا، في قلوبنا، في مشاعرنا، في وجداننا، في سلوكنا، في اهتماماتنا، في التزاماتنا العملية، في مسيرة حياتنا بكلها، أن يكون اهتمامنا بهذا الجانب اهتمامًا كبيرًا، وهذه المسألة رئيسية وأساسية.

عندما نأتي إلى الحديث عن هذه المناسبة التي نعد لها، ونسعى للتحضير لها خلال هذه الأيام المباركة، ونسعى للاحتفاء بها، عندما نتحدث عن أهميتها من خلال موقعها الديني، ومن خلال الميزان والمعيار الديني والإيماني، نجد أنها من أعظم المناسبات؛ **لأننا** نتحدث فيها عن نعمة الله العظيمة الكبيرة، ورحمته للعالمين، عن رسوله، وخاتم أنبيائه، وسيد رسله محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

فضل الله ورحمته.. في مفهومهما الواسع والشامل

إنَّ الله ﷻ قال في كتابه الكريم آيةً مهمةً عظيمةً مباركة- طالما نتلوها في مثل هذه المناسبات- هي قوله جلَّ شأنه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: الآية ٥٨]، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾، فضل الله ﷻ بكل ما فيه من خيرٍ وشرفٍ، بكل ما فيه من عزة، بكل ما يترتب عليه في واقع حياتنا، هذا الفضل من الله علينا هو يتصل بواقع حياتنا، في أنفسنا، يسمو بنا، نشرف بذلك، نعتز بذلك، نسمو بذلك، تتحقق لنا في واقع حياتنا من خلال هذا الفضل الإلهي أن نجسِّد القيم الإنسانية على أرقى مستوى، هذا الفضل له أثره في نفسية الإنسان، في مشاعره، في وعيه، في دوره في هذه الحياة، في مسيرته في هذه الحياة، فهو فضلٌ علينا نحن، أثره فينا نحن، تجلياته ونتائجه في واقع حياتنا نحن؛ **إنما** كيف نتفاعل مع هذا الفضل؟ كيف نتقبل هذا الفضل؟ كيف ندرك أهمية وعظمة هذا الفضل؟

فهذه النعمة الكبيرة مطبوعةٌ بهاذين الطابعين الأساسيين العظيمين المهمين: فضل، ورحمة، فضل بكل ما يعبِّر عنه من شرف، من سمو، من كرامة، من عزة، وأيضًا رحمة، بكل ما يترتب عليها من خلاصٍ لنا في هذه الحياة، خلاصٍ لنا من البؤس، من الشقاء، من الهوان، من الخزي، من الهلاك، من عذاب الله في الدنيا والآخرة، خلاص لنا من كل ما نحتاج فيه إلى رحمة الله ﷻ لينقذنا، ليدفع عنا الكثير من الشرور، الكثير من المصائب، الكثير من أسباب الهلاك والردى، فهي رحمة شاملة في الدنيا، ورحمة عظيمة مستقرها الأبدي والدائم في الآخرة، يعيد لنا الصلة بالله ﷻ في رعايته الواسعة، والمفتوحة، والشاملة، والممتدة من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، الذي هو عالمٌ أبدي لا نهاية له، والذي فيه أرقى نعيم وهو الجنة، وأشد عذاب وهو النار.

فالله جلَّ شأنه عندما يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾؛ **لأن** كل ما يمكن، وأسمى ما يمكن، وأعظم ما يمكن، وأهم ما يمكن أن ينشده الإنسان من خيرٍ لنفسه، وصلاحٍ لنفسه، وفلاحٍ لنفسه، وسعادةٍ لنفسه، هو موجودٌ في هذا الفضل وفي هذه الرحمة، هو في متناولنا في هذا الفضل وفي هذه الرحمة، ومنهما نحصل عليه، أنت تريد لنفسك الخير، تريد لنفسك الفضل، السعادة، تريد لنفسك الرحمة، هذه هي الرحمة، يقدِّمها الله لك في رسوله الكريم، وفي الرسالة التي حمَّله الله إيَّاها، في الرسالة التي أوصلها هذا النبي، والتي خلاصتها الجامعة المصونة المحفوظة هي القرآن الكريم، واقترن به هذا النبي الكريم فجسَّده في أرض الواقع مشروعًا عمليًا، وتحرك به، جسَّد أخلاقه، حمل روحيته، تحرك بمقتضى تعليماته وتوجيهاته في واقع الحياة؛ **ليحدث** أعظم وأهم تغيير في المسار الإنساني، ليعيد للإنسانية اعتبارها، وكرامتها، وقيمتها الإنسانية والأخلاقية، ليعيد لها صلتها بالله ﷻ في الإطار التشريعي، في الإطار العملي، في إطار المنهج، في إطار مسيرة الحياة، وفي إطار دورها كأمة، وكبشر مستخلفين في هذه الحياة، فهنا نفرح، نفرح؛ **لأننا** نريد الرحمة لأنفسنا بدافع الفطرة، نريد الفضل، الإنسان بفطرته يتطلع للرحمة الإلهية بكل مضامينها ومجالاتها، وبكل ما تتصل به في واقع حياته، ويتطلع إلى الفضل الإلهي في كل امتداداته، فهنا الفضل، وهنا الرحمة؛ **إنما** علينا أن نتفاعل مع هذا الفضل إيجابًا، مع هذه الرحمة إيجابًا، أن نُقبِل إليها، أن نستوعبها، أن نتصل بها، **نتصل بها بكل أشكال الاتصال:** ثقافيًا، فكريًا، عمليًا، روحيًا، وحينها سنجد كيف ستصنع الأثر العظيم، والتحولات الكبيرة الإيجابية والعظيمة في واقع حياتنا؛ **لأن** الله ﷻ عندما يعرض علينا رحمته، عندما يقدِّم إلينا هذا الفضل، ويقدِّم إلينا هذه الرحمة، فهو قد

أتـمَّ النعمـة، وأكمـل الحجـة، بقيـت المسـؤولية علينـا نحـن كيـف نتعامـل مـع هـذا الفضـل؟ كيـف نتفاعـل مـع هـذه الرحمـة؟ بقـدر مـا نتفاعـل؛ **بقـدر** مـا نرى النتائـج تتجسـد في واقـع حياتنـا، وتتحقـق في مسـيرة حياتنـا وفي واقـع حياتنا، هذه الرحمـة هـي لنـا نحـن كبـشر في واقع حياتنا، ليسـت مسـألةً هنـاك بعيـدة، بل إنها هنـا، وهـي أيضًـا- كـما قلنـا- للعـالم الأبـدي القـادم، الـذي هـو عـالم الآخـرة أيضًـا.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، عندمـا نسـتوعب ونـدرك جيـدًا أهميـة هـذه النعمـة العظيمـة مـن اللـه، ومـا يترتـب عليهـا في واقـع حياتنـا، وأنها صلـةٌ لنـا باللـه ﷻ، نحظـى مـن خلالهـا بمعونتـه، نحظـى مـن خلالهـا بالخـير مـن عنـده، برعايتـه الشـاملة والواسـعة، بتوفيقاتـه، بألطافـه العظيمـة، ونحظـى بنـصره، ونحظـى بتأييـده، نحظـى بـكل مـا ننشـده مـن الفـلاح، عندمـا نسـتوعب ونـدرك عِظَـم هـذه النعمـة؛ **سـنفرح**، سـنفرح مـن أعـماق قلوبنـا، مـن أعـماق أنفسـنا؛ **لأن** فرحنـا- أيُّهـا الإخـوة- بهـذه النعمـة، بهـذه الرحمـة، بهـذا الفضـل، ونحـن في أمـسِّ الحاجـة إلى رحمـة اللـه ﷻ في كل واقـع حياتنـا، في كل شـؤون حياتنـا، في كل مجـالات حياتنـا نحتـاج إلى رحمـة اللـه ﷻ، ونحتـاج إلى فضلـه. عندمـا نسـتوعب ونـدرك هـذه الرحمـة وهـذا الفضـل؛ **سـنفرح** مـن أعـماق أنفسـنا، ثـم نعـبِّر عـن هـذا الفـرح في واقعنـا، بـكل مـا يجسِّـده هـذا الفـرح، فـنرى في هـدي اللـه ﷻ، في رسـوله، وحركـة رسـوله، ومـا قدَّمـه رسـوله **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله** أنـه الخـير، أنـه الصـلاح، أنـه الفـلاح، أنـه الـذي بـه نسـعد، نفـوز، نفلـح، نعتـز، نكـرم، أنـه الـذي بـه تصلـح حياتنـا، ويسـتقيم شـأننا، نتفاعـل مـع ذلـك بالفـرح، بـإدراك أنـه نعمـة، بـإدراك أنَّ كل تلـك التوجيهـات الإلهيـة، وأنَّ هـذا المنهـج العظيـم الـذي أتانـا بـه رسـول اللـه **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله** مبلِّغًـا عـن اللـه، وكان هـو القـدوة في تجسـيد هـذا المنهـج، وفي الالتـزام بهـذا

المنهج، وفي العمل بهذا المنهج، وقدَّم التجربة العملية الراقية العظيمة الناجحة التي أحدثت تغييرًا كبيرًا في واقع الحياة، ندرك أنَّ هذه نعمة فنسعد بها، نبتهج بها، تؤسس هذه لعلاقة مع الله ﷻ من موقع التعامل مع المنعم العظيم، مع الله ربنا الكريم، ثم نعبِّر عن هذا الفرح- أيضًا- في ابتهاجاتنا، في مناسباتنا، في فعالياتنا، ونتوجه إلى الله ﷻ بالشكر، ونسأله أن يوفِّقنا للشكر.

أهمية هذه المناسبة المباركة: أنها تتصل بموضوعٍ رئيسيٍ من المواضيع الإيمانية، إيماننا بالله، إيماننا بملائكته، إيماننا بكتبه، إيماننا برسله، إيماننا باليوم الآخر... كل العناوين الإيمانية مفتاحها الأول هو الرسول ﷺ، والرسالة الإلهية التي أتت إلينا من خلاله، وبعثه الله بها.

واقع العرب قبل بعثة الرسول الأكرم

والرسول ﷺ قال عنه الله ﷻ وهو يذكِّرنا بعظيم منته علينا برسوله، قال جلَّ شأنه: ﴿هُوَ﴾، **يعني:** الله العظيم الكريم، الله الملك القدوس، الله العزيز الحكيم، الله الرحيم الكريم، هو بعظمته، بفضله، بجلاله، بكماله، برحمته، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: الآية ٢]، الله ﷻ أعظم النعمة والمنَّة، منَّ جلَّ شأنه علينا بذلك، عندما بعث في الأميين، بدايةً المنطقة العربية سكانها كانوا أميين، ليسوا بأهل كتاب، كانت تفتخر عليهم بعض الأمم وبعض الطوائف بأن لديها كتاب، وكان فيها رسل وأنبياء، وهم ليسوا بأهل كتاب، فالله ﷻ ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، بدلًا من أن تكون الكثير من ثقافاتهم وأفكارهم وتصوراتهم خرافية، وأن يكونوا أمةً أمية، **بدلًا عن ذلك:** يأتي

لهم ما يسمو بهم؛ **لكي** يكونوا الأمة التي تمتلك رصيدًا ثقافيًا لا مثيل له، ويعطيها الله ﷻ هديًا ومنهاجًا عظيمًا يكون نورًا للبشرية بكلها.

﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾، والذين كانوا في وضعهم السابق- كما في آخر الآية- في حالة ضلالٍ مبين، ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، ضياع، كانوا في حالة شتات، ليس لديهم منهج موحَّد، منهج صحيح، منهج عظيم، ليس لديهم أهداف كبيرة في هذه الحياة، يعانون من الكثير من المشاكل والأزمات في واقع حياتهم، ولا يمتلكون الرؤية الصحيحة تجاه أكثر الأشياء، بدءًا من الحالة العقائدية، لديهم عقائد أكثرها باطل، وأكثرها خرافة، واقعون في مصيبة الشرك بالله ﷻ، وفي طامات وكوارث على المستوى الأخلاقي، حالة متدنية حطتهم وسقطت بهم إلى الحضيض عن المقام الإنساني، وعن الفطرة الإنسانية، حالة خطيرة عليهم في الدنيا، وحالة خطيرة عليهم في الآخرة، لا ثقافة صحيحة، اعوجاج كبير في واقع الحياة، ضياع في هذه الحياة، شتات، بُعد عن الأهداف الاستراتيجية الصحيحة، التي ينبغي أن يعطيها الإنسان حياته، وجهده، وعمله، واهتمامه، واختلالات كبيرة **جدًّا** في كل شؤون حياتهم، بل على مستوى أنهم كانوا يأكلون الميتة، كانوا يئدون البنات، كانوا في واقعهم السلوكي في حالة من الانحراف الكبير **جدًّا**، والهبوط والانحطاط عن المستوى الإنساني، فقدوا إنسانيتهم.

فجاء هذا النور وهذا الهدى، وأتى به مَنْ؟ أعظم إنسانٍ منذ وجود البشرية إلى ختامها، شرف كبير، الله شرفنا بالرسالة وبالرسول؛ **لأن** هذا الرسول الذي أتى بهذه الرسالة هو سيِّد المرسلين، هو خير، وأكمل، وأعظم، وأشرف إنسانٍ على وجه الأرض منذ بداية الوجود البشري إلى ختامه، ليس إنسانًا عاديًا، بل ليست مرتبته ومقامه بين الرسل والأنبياء أنه مجرد رسول كأحدهم، وكلهم له مقامه العظيم، وفضلهم عظيم، وشأنهم عظيم، ومرتبتهم عظيمة كرسل لله، وكأنبياء

لله ﷻ، ولكنه هو بينهم هو سيِّد المرسلين، هو خاتم الأنبياء وسيِّد المرسلين.

لنستوعب نعمة اللّه العظمى بالرسالة والرسول

فرسول الله ﷺ بما أعطاه الله من الكمال العظيم، وأهَّله به، جسَّد كل مكارم الأخلاق إلى حدٍ بلغ فيه مستوى العظمة، مستوى العظمة، فما من خُلُقٍ من مكارم الأخلاق إلَّا وهو بلغ فيه مستوى العظمة، وجاء القرآن الكريم ليعبِّر تعبيرًا جامعًا عظيمًا وراقيًا ليقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: الآية ٤]، الله يشهد لنبيه لرسوله محمد **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله** في هذه الآية المباركة بأنه بلغ مستوى العظمة في كل مكارم الأخلاق وبالتأكيد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، بصيغة فيها تأكيد قاطع وكبير **جدًّا**، هذا الإنسان العظيم الذي نحتفي به، الذي قدَّمه الله ليكون هو قائدنا، وقدوتنا، وأسوتنا، وأعطاه منهجًا من نوره ووحيه وكلماته وتعليماته المباركة، التي هي برحمته وبحكمته، أليس نعمةً عظيمةً علينا؟

لو أتينا إلى الواقع البشري، واقع الأمم والشعوب فيما هي عليه، تراهم شعبًا هنا أو شعبًا هناك يتشبث ببعضٍ من العادات والتقاليد، وببعضٍ من الأساطير؛ **ليجعلوا** منها عقيدةً، وليجعلوا منها ثقافةً، وليعتمدوا عليها كهوية ينتمون إليها في مسيرة حياتهم، وتراهم يعتزون بها، ويقيمون من أجلها الأعياد والمناسبات، وتكون محط فخرهم واعتزازهم، يلتفون حولها، يتعصبون لها، يتشبثون بها، يخلصون لها، يتفانون من أجلها، ويجعلون منها هويةً يربون عليها أجيالهم جيلًا بعد جيل، ويتوارثونها عبر الأجيال، وكم فيها من خلل كبير **جدًّا**، ومن إشكالات، وأحيانًا حتى من المتاعب والصعوبات.

لو نأتي إلى ما قد يعتبرونه في نظرهم أديانًا معينة، أو ثقافات معينة يعتقدونها، ويبنون عليها حياتهم، ويطبعون بها هوياتهم، في كثير من شعوب الأرض، تجد حتى المأساة فيها، وكم ينشأ في واقع حياتهم تلك، في ظل تلك العقائد، وذلك الموروث الذي يتشبثون به من مشاكل اجتماعية، مشاكل اقتصادية... مشاكل متنوعة في حياتهم؛ **أما** نحن كأمةٍ مسلمة، فإنَّ الله أعطانا وهو أعطى للبشرية بكلها، إنما مع نعمة الإسلام الحجة علينا أكبر، والنعمة متاحةٌ لنا أكثر من غيرنا من بني البشر؛ **لأننا** منتمون لهذا الإسلام، فلدينا أعظم منهج قويم؛ **لأنه** ممن؟ مصدره مَنْ؟ قد يكون مصدر ثقافة، أو عقيدة، **أو حضارة معينة لشعبٍ معين:** زعيم معين يعتزون به منتهى الاعتزاز، وأحيانًا أسطورة حتى، يعتزون بها منتهى الاعتزاز، ويتشبثون بها بأشد ما يكون من التشبث والتمسك، ويحافظون عليها، ويسعون ألا يفرِّطوا فيها؛ **أما** نحن فالله منَّ علينا، وكما قلت وأعطى للعالمين، لكن مع نعمة الإسلام يتاح لنا أن نستفيد أكثر من غيرنا من بني البشر، **وأن نقدِّم أرقى نموذج بأعظم منهج:** آيات الله، تعليماته المباركة والقيِّمة والعظيمة، التي هي منطلق علمه، وحكمته، ورحمته، ما يساعدنا على أن نمتلك أرقى ثقافة، وأن تكون لدينا في هذه الحياة أرقى رؤية نعتمد عليها في كل شؤون حياتنا، **وعندنا مشكلة بالفعل في واقعنا كأمةٍ مسلمة:** هي الفجوة الكبيرة في علاقتنا بالرسول والقرآن؛ **لأن** العلاقة عندما يشوبها الكثير من الإشكالات نتيجة البعض من الخلل الثقافي والفكري، هذا يؤثر سلباً في ارتباطنا الصحيح والأصيل بهذه المصادر العظيمة **جدًّا** بهذه النعمة الكبيرة التي فيها الرحمة وفيها الفضل من الله ﷻ.

في واقع المسلمين عندما حصل خلل ثقافي، عندما دخلت حالة التحريف والانحراف؛ **أثَّرت** وشوشت على هذه العلاقة، وهذا الارتباط العظيم بالرسول وبالقرآن، وترك هذا الانحراف والتحريف تأثيرات سيئة في واقع الحياة في واقع المسلمين، ومشاكل كثيرة في واقع المسلمين، وأصبح الكثير من المسلمين اليوم لديهم ثقافات تختلف مع ثقافة القرآن، لديهم تصورات خاطئة، لديهم انحرافات، لديهم تحريف، وهذا أثَّر في واقعنا كمسلمين، واستغله أعداؤنا في إساءتهم إلى الإسلام، وحتى في إساءتهم إلى الرسول وإلى القرآن.

واقع البشرية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

ولذلك علينا أن نعيد اتصالنا بهذه النعمة، بهذه الرحمة، بهذا الفضل؛ **ليكون** اتصالًا صحيحًا، سليمًا من الشوائب التي أثَّرت سلبًا، ورأينا تأثيراتها السلبية في واقع الحياة، إذا أعدنا هذا الاتصال السليم من الشوائب بالرسول، وتعرفنا على رسول الله ﷺ من خلال القرآن الكريم، ثم يكون القرآن نفسه في آياته المباركة، فيما نتعرف من خلاله على رسول الله هو المعيار الأساس حتى فيما ينقل إلينا في السير، فننظف مناهجنا، **وننظف موروثنا كله:** الثقافي، والفكري، والتاريخي، من كل ما يحسب على رسول الله، وهو يختلف مع القرآن، هنا سنجد عظمة رسول الله ﷺ، سنجد كم سيكون هذا الارتباط الصحيح وهذه الصلة التي تنظف من الشوائب فاعلةً ومباركةً ومؤثرةً في واقع حياتنا، فنرى فضل الله ﷻ علينا في واقع هذه الحياة، نتصل حينها بالتعليمات الإلهية بشكلٍ صحيح، بالنور الإلهي بشكلٍ صحيح، ونرى أثر ذلك في أنفسنا، وفي واقع حياتنا، وفي مسيرة حياتنا، فنبني على ذلك أسمى حضارةٍ في الواقع البشري؛ **لأن** الإسلام هو يهيِّئ بتعاليمه العظيمة، بمنهجه العظيم، بهذا القدوة العظيم، **والأسوة العظيم:** رسول الله صلوات الله وسلامه

عليه وعلى آله، يهيِّئ لنا أن نبني أرقى حضارة، تتميز بأنها حضارة مبنية على قيم إلهية، على مبادئ عظيمة وسامية وراقية، وعلى مكارم الأخلاق، الأخلاق الكريمة، فتكون حضارة المبادئ الإلهية، وحضارة مكارم الأخلاق، وحضارة التعاليم الإلهية، التي تبني هذه الحياة على أساسٍ من العدل والخير والرحمة والفضل، وتسمو بالإنسان. **التوجهات الحضارية المنحرفة، والتي هي مطبوعةٌ بكلها بالطابع المادي، هي تبني ناطحات السحاب، ولكنَّها تدمِّر في الإنسان إنسانيته، ولكنها تسحق المجتمعات البشرية بلا رحمة.**

إننا عندما ننظر إلى كل الحضارات القائمة اليوم والتي تَكفُر بالأنبياء وتبتعد عن تعاليمهم ولا تقبل بتعليمات الله ﷻ، وترفض الأخلاق الكريمة الفطرية التي أتى الأنبياء من أجل إحيائها من جديد في واقع البشرية، نرى تلك الحضارات أنها تفقد الرحمة، كم هي حاجة البشرية اليوم إلى الرحمة!.

اليوم عندما نأتي لنقيم الدور الأمريكي كحضارة مادية، الدور الغربي كحضارة مادية، نراها حضارة ليس فيها ذرةٌ من الرحمة، تدوس المجتمعات البشرية، تُضل وتظلم، تطغى وتُجرِم، تستكبر على بني البشر، تصادر حريات الشعوب، تنهب ثرواتهم، تعتدي عليهم، تحتل بلدانهم، ترتكب بحقهم أبشع الجرائم، ثم تقدم مجرد عناوين تتحدث عن حقوق الإنسان، ومتى وجدنا للإنسان عندهم أي حقٍ حقيقيٍ يحترم؟، هل احترموا حق الإنسان في اليمن، هل احترموا حق الإنسان في فلسطين، هل احترموا حق الإنسان في أي بلدٍ من بلداننا الإسلامية، سواءً في بلاد العرب أو في غيرها؟. إلا، هم بكل بساطة يصادرون الحقوق.

يتباهى ترامب في أحد لقاءاته التطبيعية السابقة ويقول بكل وضوح: إذا أرادت إسرائيل أن تحتل أي أراضٍ أخرى - يعني على العرب- فهو مستعد أن يعطيها، أن يصادرها لها، يوم أعلن عن مصادرة الجولان السورية لإسرائيل، **قال:** إذا أرادت إسرائيل أن تحتل أي أراضٍ أخرى فلا بأس سنعتبرها لها، أي حضارة هذه؟! قائمة على التوحش، على الجريمة، على الاستكبار، على الافساد، على تدمير القيم والأخلاق، وتأتي بعناوين زائفة، لا مصداقية لها في الواقع، يأتي بعنوان الحرية وهو يسلب الشعوب حريتها ويستعبدها.

عندما نأتي لنجد كيف أنهم يهيئون للرذيلة، للفساد، يدمرون القيم، يستهدفون الأخلاق، ويؤسسون للعداء حتى للأنبياء، والإساءة حتى للأنبياء، ويأتون بعنوان الحرية كغطاء لكل هذا العمل الفوضوي والإجرامي والسيء، ثم عندما تأتي المسألة إلى موقف من اليهود الصهاينة لا نرى هذا العنوان يحضر أبدًا، ولا نراه مقبولًا أبدًا.

في فرنسا على سبيل المثال: ممنوع أن تنتقد اليهود الصهاينة، ممنوع أن تشكك فيما يزعمونه بالمحرقة، ويمكن أن تحاكم لو شككت في ذلك حتى لو امتلكت الأدلة، ولو قدمت ما قدمت، كما فعلوا مع (روجيه غارودي)، كتب كتابًا وقدم فيه أدلةً وشواهد، وحاكموه، ممنوع، ليس هناك حرية في أن تنتقد اليهود الصهاينة، يسمح لك في فرنسا وفي الغرب وفي أمريكا أن تعادي الأنبياء، وأن تسيء إلى الأنبياء، وأن تسيء إلى الله ﷻ، وأن تلحد به، وأن توجه الكلام المسيء إلى الله ﷻ، لكنه لا يسمح لك أبدًا بأن تسيء إلى اليهود الصهاينة، أن تعادي اليهود الصهاينة، أن تتكلم بعبارات تتناقض مع التوجهات السياسية التي تجعل منهم حالةً استثنائية، **وإذا صدر منك أي شيء يقولون:**

[أنت تعادي السامية]، **وستحاكم تحت عنوان:** معادات السامية، وليس لك حرية أبدًا، لا بأن تكتب بطريقة فكرية وتفند أو تظهر حقائق معينة عن إجرامهم وسوئهم وظلمهم، معاداة السامية هي عنوان حاضر لاستهدافك.

حتى في مواقع التواصل الاجتماعي، فيس بوك مثلًا وغيره، يبيحون ويتيحون الفرصة من على منابرهم تلك الإعلامية لكل شيءٍ سيء، لكل الرذائل والمفاسد، لكل ضلالٍ ولكل باطل، لكن عندما تأتي المسألة إلى موقف من اليهود الصهاينة المعتدين، موقف للحق، موقف صحيح، يمكن أن يحضروا عليك صفحتك.

ضرورة العمل الجاد لترسيخ هويتنا الإيمانية

نحن في هذه المرحلة كأمةٍ مسلمة بحاجة إلى عمل كبير، وعمل أساسي لتعزيز وترسيخ هويتنا الإيمانية، وركائز هذه الهوية الإيمانية تبدأ من تعزيز الصلة بشكلٍ دائم بالله ﷻ، برسوله وبكتابه، وكعمل أساسي؛ **لأن** هذا من المتطلبات الضرورية للبناء الإيماني، والارتقاء الإيماني، وللتربية الإيمانية، ونحن كمجتمعٍ مسلم من البديهي ومن الطبيعي أن يكون من أهم أولوياتنا التربية الإيمانية، والتنشئة الإيمانية، والارتقاء الإيماني في كل مسيرة حياتنا.

ونحن كشعبٍ يمني في المقدمة، يمن الإيمان والحكمة، يجب أن نكون في الصدارة، وأن نحوز السبق في اهتمامنا بهذا الجانب: التربية الإيمانية بركائزها الأساسية، **وبقدر ما يكون لدينا من اهتمامات على كل المستويات:** ثقافيًا، وفكريًا، في مناهجنا التعليمية، في أنشطتنا العامة على ترسيخ هذه الهوية الإيمانية وهذه التربية الإيمانية، سنرى أثرها الكبير في واقع حياتنا، وستصحح لنا واقعنا إلى حدٍ كبير، وسيكون أثرها في كل مجالات الحياة أثرًا مميزًا وعظيمًا؛ **لأن** الإيمان قيمة إلهية عظيمة وسامية، وصلةٌ عظيمةٌ بالله ﷻ،

ارتبطت بها كل وعوده العظيمة بالرحمة والنصر والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، قيمة عالية للإنسان أن يكون إنسانًا مؤمنًا بالله، من المؤمنين الصادقين بالله ﷻ، مرتبطًا بالأنبياء، ومتأسيًا بهم، ومقتديًا بهم، وملتزمًا بتعليمات الله ﷻ، هو يحقق لنفسه إنسانيته والقيم الإنسانية الفطرية على أرقى مستوى، وهو يحقق لنفسه الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

ثم أيضًا لنحمي أنفسنا في مواجهة الهجمة التي تستهدفنا، نحن بحاجة بشكل تلقائي، بشكل طبيعي وبديهي في مسار اهتمامنا الإيماني إلى العناية بهذه المسألة، ولكن أيضًا نحتاج إليها في مواجهة هذه الهجمة، هناك في عالم اليوم هجمة صريحة تستهدفنا كأمةٍ مسلمة؛ **لفصلنا** عن ارتباطاتنا الإيمانية، هجمة مسيئة إلى الرسول ﷺ، هجمة مسيئة إلى الإسلام، هجمة مسيئة إلى المسلمين، هجمة تستهدفنا أول ما تستهدفنا في ثقافتنا وفي فكرنا، في إيماننا وفي إسلامنا؛ **بغية** السيطرة الفكرية علينا، بغية السيطرة الثقافية علينا، بغية السيطرة على قلوبنا وعقولنا، ومشاعرنا، وتوجهاتنا، وأفكارنا؛ **وبالتالي** السيطرة علينا سيطرةً كاملة، هذه مسألة مهمة، مع وجود مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت والقنوات الفضائية، وكل الوسائل ذات التأثير الثقافي والفكري والنفسي، والأعداء يشتغلون من خلالها شغلًا كبيرًا وواسعًا، شغلًا للتشكيك بالعقائد، شغلاً لفصل الناس عن الرسول والقرآن، شغلًا مكثفًا للإساءة إلى الرسول ﷺ، وسعيًا لفصل الإنسان المسلم- بل البشر كافة- عن هذا الانتماء العظيم، عن هذه الصلة المهمة بمصدر الهداية الإلهية، هنا نحتاج إلى تعزيز الارتباط والصلة، وتوثيق هذه الصلة؛ **حتى** تكون وثيقةً بما يكفي في مواجهة كل الهجمات الثقافية والفكرية.

هناك نشاط واسع بكل الوسائل يعتمد عليه أعداؤنا كأمةٍ مسلمة، عنوانه ينحصر في مفردتين: (تضليل، وإفساد)، تضليل ممنهج وشامل على المستوى الثقافي والفكري والمفاهيم، وحتى في التأثير على الرأي تجاه كل مستجد، وتجاه مختلف القضايا، وهناك شغل كبير لإفساد الإنسان المؤمن، إفساد الإنسان المسلم رجلاً أو امرأة، إفساد الشاب المنتمي للإسلام في أخلاقه، في قيمه، في روحيته، في زكاء نفسه، سعي لتدمير قيمه وأخلاقه؛ **حتى** يتحول إلى إنسان تافه، مائع، ضائع، تسهل السيطرة عليه، يمكن التأثير عليه، يمكن التضليل له، يمكن الإغواء له، يمكن الاستغلال له، حتى يمكن أن يكون مجرد دمية بيد الاستعمار الغربي، إذا فقد كل هذه المقومات التي تحصنه، تحصنه في وعيه، في ثقافته، في أخلاقه، في قيمه، في اهتماماته.

هناك سعي ألَّا نكون أصحاب مشروع كأمة مسلمة، أن نكون نحن مشروعًا للآخرين: مشروعًا للأمريكي، مشروعًا للإسرائيلي، مشروعًا للغرب، أمة مستعمرة، مستعبدة، مستغلة، لا نكون أصحاب مشروع ذاتي بحكم انتمائنا، بحكم هويتنا، **هذا الذي يريده أعداؤنا ويسعى له أعداؤنا:** الاستهداف لنا في انتمائنا، في ثقافتنا، في هويتنا الإسلامية والإيمانية، السعي لفصلنا عن مصادر الهداية الإلهية، وفي مقدمتها الرسول والقرآن، هو سعيٌ للسيطرة علينا، سعيٌ لاستغلالنا، سعيٌ لاستعبادنا، سعيٌ للاستحواذ علينا في كل شيء، وهذا ما لا يجوز أن نرضى به، ولا أن نقبل به، **ويجب** أن نتحصن كليًا من خلال هذه الصلة الوثيقة بالهداية الإلهية، بالرحمة الإلهية، بفضل الله ﷻ، بقرآنه ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ثم سنرى كم سنكون أقوياء بالله ﷻ، وبهذه الهوية التي نعزز صلتنا بها في مواجهة كل قوى الاستكبار، فلا تستطيع لا أمريكا، ولا كل الغرب، ولا إسرائيل، ولا أذيالهم،

ولا عملاؤهم، أن يستغلونا، ولا أن يسيطروا علينا، ولا أن يتحكموا بنا، ولا أن يصادروا حرياتنا الحقيقية، ولا أن يهيمنوا علينا ولا على بلداننا، ولا أن ينهبوا ثرواتنا، حينها ستتحقق لنا الحرية في مفهومها الصحيح، الذي هو التحرر من كل أشكال العبودية، إلا لله ﷻ؛ **لأنه** هو ربنا الحقيقي، المالك الحقيقي لنا، المنعم العظيم علينا، الذي يمتلك كل هذا العالم، فهو الملك والمالك، فنتحرر من كل أشكال العبودية لغيره من البشر ومن كل الطواغيت، هذه مسألة مهمة **جدًّا**، تعني لنا أن نتحصن من كل التأثيرات في الهجمة الصريحة التي تستهدفنا كمسلمين، وباتوا يتحدثون عن الإسلام بشكلٍ صريح بطريقة سلبية.

هل الإسلام في أزمة كما يقول الرئيس الفرنسي؟

التصريح الأخير للرئيس الفرنسي الذي يسيء فيه إلى الإسلام، ويقول:

إن الإسلام في أزمة في كل مكان، هو واحد من أشكال التعبير العدائي للأمة الإسلامية، وتجد كيف يتعصبون لليهود الصهاينة، كيف كما قلنا سابقًا في فرنسا وفي أي بلدٍ في الغرب يمنعوك كليًا عن أن تقول شيئًا لا يرضى به اليهود الصهاينة، أو تكشف حقيقةً من حقائقهم، ممنوع، وليس هناك حرية، وتسقط كل هذه العناوين، ولا يمكن أن تحتمي بها، لكن أن تسيء إلى الرسول المجال مفتوح، أن تسيء إلى الإسلام المجال مفتوح.

الإسلام ليس في أزمة، الإسلام هو الدين الإلهي، هو رحمة الله، هو وحي الله وهديه، هناك أزمات في واقع المسلمين نتيجةً لعملاء أعداء الأمة، ونتيجةً لبعض الانحرافات عن هذا الإسلام وعن هذا الدين العظيم، وعن تعاليمه الأساسية، ونتيجةً للاستهداف لهذه الأمة، الموروث الاستعماري، والتأثيرات السلبية للاستعمار الغربي على الأمة الإسلامية، وما فعلته تلك الأنظمة وتلك الدول بحق أمتنا الإسلامية هو أيضًا

واحدٌ من الأسباب الرئيسية لأزمات المسلمين ومعاناتهم، ماذا فعل الاستعمار الفرنسي في الجزائر وحدها؟ أسوأ صفحة مقيتة سوداء تعبر عن الطغيان والإجرام تلك الصفحة السوداوية للاستعمار الفرنسي للجزائر.

وللرئيس الفرنسي أقول له: إن وصمة العار الأبدية التي تستمر في واقعكم إلى يوم القيامة هي ما فعلتموه أثناء الاستعمار للجزائر، والذي لحد الآن لم تعتذروا عنه، **يعني:** أنكم تصرون على تلك الجرائم الفظيعة وتبريرها.

إن من أهم أسباب معاناة المجتمع البشري في كل الأمم والشعوب، في شرق الأرض وفي غربها، وفي شمالها وفي جنوبها، من أهم الأسباب ما تمارسه دول الاستكبار في الغرب، وعلى رأسها أمريكا، وذيلها إسرائيل، من سياسات استكبارية وإجرامية واستعمارية بحق الشعوب والأمم في هذه الأرض، بحق المجتمع البشري كافة؛ **لأنهم** يستهدفون القيم والأخلاق والمبادئ الإلهية؛ **لكي** تتيسر لهم وتتهيأ لهم السيطرة على المجتمع البشري.

أما النسخة التكفيرية في واقعنا الإسلامي فالذي يدعمها، والذي يحتضنها، والذي يساندها هو أولئك، هي أمريكا، هي فرنسا، هي دول الغرب من تدعم التكفيريين بشكلٍ واضح، من الذي وقف مع التكفيريين في اليمن وهم يعتدون على الشعب اليمني؟ اليس هو تلك الدول التي هي يعجبها أن يكونوا هم من يقدم نفسه ممثلًا عن الإسلام؛ **لكي** يشوه الإسلام؟ فهم هم في الغرب من يدعمون التكفيريين، ويقفون إلى جانبهم، **ويساندونهم لهدفين:** ليضربوا بهم المسلمين من جهة، ويفتكوا بالمسلمين من خلالهم من جهة، والمسلمون في مختلف شعوب وبلدان العالم الإسلامي هم الأكثر معاناةً وتضرراً من الإجرام التكفيري، ومن جهةٍ أخرى لتشويه الإسلام.

ولذلك تدخلت أمريكا وتدخل معا حلفاؤها ومن معها ممن يدور في فلكها في الغرب والشرق لمساندة التكفيريين في سوريا، وفي اليمن... وفي بلدانٍ أخرى، وأصبحت المسألة مكشوفة وواضحة، معترفًا بها حتى من ترامب ومن مسؤولين أمريكيين، ومسألة واضحة **جدًّا**، فهم لا يمثلون الإسلام في وحشيتهم وإجرامهم وأساليبهم، التكفيريون اليوم هم صناعة أمريكية غربية، والمخابرات الغربية بما فيها الفرنسية هي تساهم في رعايتهم والاهتمام بهم، ودعمهم بأشكال مختلفة من أشكال الدعم، فليسوا من يعبر عن الإسلام.

الإسلام هو إرث الأنبياء بكلهم، هو إرث موسى وإرث عيسى وإرث محمد، هو إرث إبراهيم، هو إرث نوح... هو إرث كل الأنبياء -صلوات الله عليهم- هو عقيدتهم ومنهجهم وأخلاقهم وقيمهم الإلهية التي أوحى الله بها إليهم، ونحن في يمن الإيمان والحكمة منهجنا، مشروعنا، مسارنا هو هذا الدين العظيم، هويتنا هي هذه الهوية الإيمانية، قدوتنا وأسوتنا وقائدنا وحبيب قلوبنا هو رسول الله محمد **صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله**، والمنهج الإلهي هو منهج الحرية الحقيقية، وهو أيضًا المنهج الحضاري الراقي، وهو أيضاً منهج العزة والاستقلال والكرامة والإباء، عليه نحيا، وعليه نموت، وعليه نبعث- إن شاء الله- يوم القيامة بالفوز العظيم.

بكل محبة، بكل شوق، بكل لهفة سنستقبل ذكرى المولد النبوي الشريف، سنجعل منها مناسبةً متميزةً- بإذن الله- لا نظير لها في كل مناسبات الدنيا، وسيعبر شعبنا اليمني من جديد عن ولائه العظيم لله ولرسوله، ولأنبياء الله، ولهذا الدين العظيم، كما نعبر عن ذلك في كل صلاةٍ نصليها، وفي كل يومٍ من أيام حياتنا، وكما هو تعبيرنا حتى في الرمق

الأخير من حياتنا (أشهد ألَّا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله).

بهذا نختم هذا اللقاء، نأمل- إن شاء الله- من شعبنا العزيز التفاعل الكبير في الاستعداد لهذه المناسبة وفي التحضير لها، والحضور بالشكل الكبير- إن شاء الله- في كل الفعاليات التي ستقام في يوم الثاني عشر من هذا الشهر المبارك الأغر.

أسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

كتب الله أجركم وبارك فيكم... مع سلامة الله...

رحمة للعالمين

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي الشريف ١٤٤٢هـ

حياكم الله، حياكم الله...

هذا الحضور المليوني الذي لم يسبق أن أقيمت بمثله هذه المناسبة المباركة هو حضوركم أنتم يا أحفاد الأنصار، هو حضور يمن الإيمان والحكمة، هو حضور الأوفياء في كل زمن مهما كانت التحديات، ومهما كانت الصعوبات، ومهما كانت العوائق.

أرحب بكم جميعاً، وأرحب بالحاضرين من الجاليات العربية والإسلامية التي حضرت معنا في هذا الحفل، وهي من عشرين بلداً من بلدان عالمنا الإسلامي والعربي.

أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا الله الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّداً عبدُهُ ورَسُوْلُه خاتمُ النبيين، أرسله الله رحمةً للعالمين، ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، فبلغ رسالات الله، وجاهد في سبيل الله صابراً محتسباً حتى أتاه اليقين، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية٥٦]، اللّهم صَلِّ على محمد وعلى آلِ محمد، وبارِكْ على محمد وعلى آلِ

محمد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللَّهُم برِضَاك عن أَصْحَابِهِ الأخيارِ المنتجبين، وعن سائرِ عِبَادِك الصالحين.

أيُّها الإِخْوَةُ والأخوات الحاضرون في كل ساحات الاحتفال بهذه الذكرة المباركة

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

وكتب الله أجركم، وبارك فيكم، ومباركٌ لكم ولكل أبناء شعبنا وأمتنا الإسلامية بحلول هذه الذكرى المجيدة، والمناسبة المباركة العزيزة: ذكرى مولد خاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

إن شعبنا اليمني المسلم العزيز، وانطلاقًا من هويته الإيمانية، ووعيه بأهمية الاستفادة من هذه المناسبة المباركة كمحطةٍ تربويةٍ وتوعويةٍ وتعبويةٍ إيمانية، ومناسبةٍ لترسيخ الولاء لرسول الله ﷺ، وكمناسبةٍ للاعتراف بعظيم نعمة الله وفضله، قد أقام هذه المناسبة المباركة على نحوٍ متميز، بدءًا بالفعاليات الكثيرة التي تضمنت المحاضرات والأنشطة التثقيفية والتوعوية المتنوعة؛ **إضافةً** إلى الأنشطة الخيرية، وأيضًا بالإظهار لمظاهر الابتهاج والفرح، استنادًا إلى قول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: الآية ٥٨]، وأي فضلٍ ورحمةٍ أعظم من رحمة الله ومن فضله العظيم الذي منَّ به على عباده من خلال رسوله الهادي، وكتابه الكريم، هذه النعمة التي يترتب عليها الخير كله في الدنيا والآخرة.

لقد أتت هذه الذكرى المباركة والواقع البشري بشكلٍ عام، وساحتنا الإسلامية بشكلٍ خاص تشهد الكثير من الأحداث والتطورات والمتغيرات، كما

أن الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية مشحونةٌ بالمشاكل والأزمات، والفرقة والشتات، والاختلاف والتباينات، وهو ما يستوجب الالتفاتة الجادة والصادقة، ومن منطلق الاستشعار للمسؤولية أمام الله ﷻ، وبالاستفادة من هذه المناسبة المباركة لتكون منطلقاً نحو إصلاح الخلل، وتقويم الاعوجاج، ومعالجة الإشكالات، فالتجاهل لواقع الأمة بما فيه من مشاكل، وما تواجهه من تحديات، بقدر ما هو تنصلٌ عن المسؤولية، هو أيضًا حماقةٌ بكل ما تعنيه الكلمة، ونتائجه كارثيةٌ ورهيبة في الدنيا والآخرة، ولا ينسجم مع مبادئ وقيم الإسلام وتعليمات الله ﷻ في القرآن الكريم، وعلى لسان رسول الله ﷺ، القائل فيما روي عنه: **(من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين، فليس من المسلمين، ومن سمع مسلمًا ينادي يا للمسلمين، فلم يجب، فليس من المسلمين).**

إن هذه الذكرى المباركة هي فرصةٌ ثمينة، ومحطةٌ مهمة للتذكير بالمسؤولية، والتذكير برحمة الله وفضله، حيث الحلول النافعة الناجعة، والحقيقية التي ينبغي على أمتنا الإسلامية أن تعود إليها، وأن تستفيد منها فيما يصلح واقعها، وواقع المجتمع البشري بشكلٍ عام.

منشأ المشاكل الكبرى لأمة الإسلام وعموم البشرية

إن منشأ كل المشاكل الكبرى، ومنشأ كل المفاسد وكل المظالم التي تعاني منها أمتنا الإسلامية، ويعاني منها المجتمع البشري بكله، هو الانحراف عن رسالة الله تعالى، وتعاليمه، وهديه ونوره، وعدم الاقتداء والتأسي برسله وأنبيائه -صلوات الله وسلامه عليهم-، وهذه الحقيقة المهمة يجب أن نستوعبها جيداً، وأن نؤمن بها، وأن ننطلق على أساسها في توجهنا نحو الحلول للمشاكل التي تعاني منها أمتنا الإسلامية وبقية المجتمعات البشرية، وهذه المسألة تعود بنا إلى حقائق مهمة سعى الظلاميون المضلون من

أتباع الشيطان، والجاهليون والمبطلون إلى إزاحتها عن الذهنية العامة، وعن المنطلقات التي يعتمد عليها البشر في نظام حياتهم، وأهم وأكبر هذه الحقائق، **هو:** الإيمان بالله ﷻ بشكلٍ صحيحٍ وواعٍ وفق المفهوم الذي بلغه الأنبياء والرسل، وتحركوا على أساسه، الإيمان الذي ثمرته الطاعة لله تعالى، ونظم شؤون هذه الحياة، والمسيرة العملية للإنسان، وفق هديه وتعليماته القيمة والمباركة، الإيمان الذي يحرر الإنسان من العبودية للطاغوت، ومن كل أشكال الاستعباد والاستغلال، ويصله بالعبودية لله رب العالمين، والإله الحق المبين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: الآية٣٦].

إن الإيمان بالله ﷻ لا يقتصر على مجرد الإقرار بأنه الخالق الرازق، والمحيي المميت، وأنه الصمد الذي نلجأ إليه عند الشدائد والكرب، ليغيثنا وينقذنا، هذا جانبٌ من جوانب الإيمان؛ **بل يجب** الإيمان بهدايته ﷻ ومنهجه الحق، باعتبار ذلك من مصاديق الإيمان بأنه ربنا وإلهنا الذي له حق الأمر والنهي فينا، والتشريع والطاعة علينا، وهو سبحانه المعني بأمرنا، كما أن مسيرة حياتنا والهدف من وجودنا مرتبطٌ بتدبيره ﷻ، فهو لم يخلقنا عبثا، ولم يتركنا سدى، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، ولذلك فالإيمان بالله ﷻ أساسٌ لمنظومةٍ من المبادئ والقيم والأخلاق والتعليمات التي أمرنا الله ﷻ بها؛ **لتستقيم** بها حياتنا، ويصلح بها واقعنا، وأي مخالفةٍ لها، ينتج عنها خللٌ في واقع الحياة نفسها، وتأثيرٌ سلبيٌ على

الإنسان في نفسه وفي حياته، وفي محيطه وواقعه، وكما أن الله ﷻ يجازي الإنسان وفقاً لهذا الأساس، فالإيمان والاستقامة والعمل الصالح، والالتزام بتوجيهات الله تعالى صلةٌ برحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، والانحراف والإساءة والعصيان سببٌ لخسارة الإنسان، وللعقوبة والعذاب، والعاقبة والجزاء الأوفى في مسيرة الإيمان هي الجنة والنعيم الأبدي في الآخرة، كما أن عاقبة الذين أساءوا السوأى والعقوبة الكبرى وهي جهنم والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: الآية ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، والله ﷻ قد أتم حجته على عباده برسله وأنبيائه، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٦٥].

إن رسالة الله تعالى بكل ما تضمنته من هداية للناس هي من منطلق رحمته ﷻ بعباده، ومن حكمته، وبعلمه، وهي منهجٌ للحياة، فكما أنه ﷻ خلقهم، وهيأ لهم متطلبات الحياة، وأصبغ عليهم نعمه المادية، وهيأ لهم الظروف الملائمة لوجودهم في هذه الأرض، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، فهو -أيضًا- قد قدم لهم المنهج القويم الحكيم، الذي به تستقيم حياتهم، وهداهم إلى الصراط المستقيم الذي يصل بهم إلى أرقى وأسمى الغايات في الدنيا والآخرة، وهي الحقيقة والرشد، وبها الصلاح والفلاح، ولن يستطيع البشر إنتاج بديلٍ عنها أقوم منها ولا مماثل لها، وما يقدمونه كبديل، حتى لو كان بحسن نية، هو قاصرٌ بقصورهم، وبجهلهم، وبحدود معرفتهم وخبرتهم، والفارق

هائلٌ **جداً** بينه وبين ما يقدمه الله من رحمته وحكمته وعلمه ﷻ.

ومع ذلك فإن أغلب ما يقدم من البدائل مصدره الطاغوت الظالم المستكبر، ومبنيٌ على ما يحقق له أهدافه السيئة، القائمة على أساس الاستغلال السيء، والاستعباد الظالم للمجتمعات البشرية، ويوضح القرآن الكريم الفارق بين الأمرين، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٧]، كما أن الرسل والأنبياء هم النماذج، الرواد العظماء، وهم صفوة الله في عباده، والذين وصلوا أسمى وأعلى مراتب الكمال الإنساني رشدًا، وبصيرةً، ورحمةً، وحكمةً، وأخلاقًا، وصلاحًا، وزكاءً، ونبلًا، فهم الأجدر بقيادة المجتمع البشري، وأن يكونوا هم القدوة والأسوة الذين يقتدي بهم الناس ويتبعونهم.

ولذلك فلا مبرر أبدًا للكافرين برسالة الله تعالى ورسله، ولا للمعرضين، ولا للمنحرفين، بل إن النتيجة لذلك كله هي الخسارة الكبيرة في الدنيا والآخرة، وقد قدَّم الله لنا في القرآن الكريم الشواهد على ذلك في قصص بعض الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم، كقوم نبي الله نوح عليه السلام، وعادٍ قوم نبي الله هود عليه السلام، وثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام، وقوم لوطٍ وقوم شعيب عليهما السلام، وغيرهم ممن كذبوا برسالة الله وكفروا برسله، وكيف كانت خسارتهم وهلاكهم، كما قدم الشواهد على حالة الانحراف والتحريف والإيمان ببعضٍ والكفر ببعض، مع الانتماء- في نفس الوقت- إلى الرسالة الإلهية، فيما عرضه لنا في القرآن الكريم عن اليهود والنصارى في تاريخهم الطويل الممتد، وفي حاضرهم ومستقبلهم.

أهل الكتاب والانحراف عن رسالة الله

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وفي الفترة الزمنية الطويلة، الممتدة ما بين بعثة نبي الله عيسى عليه السلام، إلى بعثة خاتم الأنبياء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، تعاظم مع الزمن الانحراف فيهم على مستوى الالتزام والعمل عن رسالة الله تعالى، في مبادئها، وقيمها، وأخلاقها، وتعاليمها، ثم مع ذلك تعاظم تحريفهم على المستوى الفكري والثقافي، وفيما يقدمونه باسم الكتب الإلهية وباسم الأنبياء، ويحسبونه على الله تعالى؛ **لشرعنة** الانحراف العملي، وللترويج للباطل، فتورطوا في جرائم رهيبة، وفي مقدمتها افتراء الكذب على الله تعالى، ولبس الحق بالباطل، والكتمان للحق، والتحريف لكلمات الله تعالى عن مواضعها، قال الله تعالى في القرآن الكريم مبيناً لحالهم ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: من الآية٧٥]، وقال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: الآية٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: الآية٧٨].

ولذلك فقد اندمجوا مع الطاغوت، وأصبحوا جزءًا من الواقع الجاهلي الذي طغت فيه الأهواء والمفاسد والرذائل والمظالم؛ **أما** ما بقي من الشعائر الدينية ونحوها فقد كانت مجرد طقوسٍ مجردةٍ من أثرها في الواقع، بعد تضييع الرسالة الإلهية كمنهجٍ للحياة، فكان البديل هو الجاهلية التي طغت بظلمها وظلامها، وأصبح الواقع البشري مأساوياً وكارثياً، والخطورة تزداد يوماً بعد يوم، وتهدد مستقبل الإنسانية التي اقتربت مسيرة حياتها على الأرض من النهاية؛ **لاقتراب** الساعة وأزوف القيامة، فأتت رحمة

الله ﷻ لإنقاذ وخلاص البشر بخاتم أنبيائه رسول الله محمد ﷺ.

تحقق الوعد الإلهي وبشارة الأنبياء

ولد رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، يتصل نسبه بنبي الله إسماعيل بن نبي الله إبراهيم عليهما السلام، ولد في عام الفيل، وهو العام الذي أهلك الله فيه أصحاب الفيل، وهم الجيش الذي اتجه إلى مكة بقيادة أبرهة، بهدف احتلالها، والسيطرة عليها، والحيلولة دون تحقق الوعد الإلهي بظهور وبعثة خاتم الأنبياء، بعد ظهور المؤشرات والعلامات التي تدل على قرب ذلك، مع هدفٍ آخر هو: تدمير بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة)، بكل ما لها من أهميةٍ دينية، وقداسةٍ ورمزية، فجعل الله كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل وأهلكهم، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: من الآية٢١]، وقد كان ذلك من أكبر وأعظم البشائر والارهاصات الممهدة والمهيأة، فقد ولد رسول الله ﷺ في ذلك العام، في شهر ربيعٍ الأول، وتحققت بشارة الأنبياء به، ومنها دعوة نبي الله وخليله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أثناء بناء البيت الحرام، التي ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: الآية١٢٩]، وبشارة نبي الله موسى، ونبي الله عيسى... وغيرهم من الأنبياء الذين بشروا به، وأعلنوا عن عظيم منزلته ورفيع درجته عند الله تعالى، ومن تلك البشارات التي وردت في كتابٍ من كتب الله المباركة، وهو التوراة، والتي تضمنت المواصفات الرئيسية البارزة للنبي، ولاتباعه الحقيقيين الصادقين، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ

رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ [الفتح: من الآية٢٩]، وبالتأمل في هذا النص القرآني المبارك عن هذه البشارة التي بلَّغ بها نبي الله موسى عليه السلام في التوراة، تتحدد معالم بارزة تبين المنهج الحقيقي لمسيرة الرسالة الإلهية، قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، أتى قبل ذلك قوله تعالى في الآية التي قبل هذا النص المبارك: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: الآية٢٨]، **فمحمدٌ هو رسول الله**، وأتى بالمشروع الإلهي الموعود من الله بالظهور، والمدعوم من قِبل الله سبحانه وتعالى، فهو امتدادٌ لرحمة الله تعالى وحكمته وعزته، وهو متصلٌ به، ولذلك لا يساويه أيُّ مشروعٍ آخر، ولا يمتلك من خصائص القوة والنجاح ما يمتلك هذا المشروع، فهو الهدى والنور، وما يعارضه ضلالٌ وظلماتٌ وجهالات، وهو الحق، وما يعارضه باطل.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، وأتى برسالة الله ونوره وهديه نقيًا وخالصًا، سليمًا لا تشوبه شائبة، ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: الآية٤٢]، وبلَّغ هذه الرسالة بأمانةٍ تامة، وبرعايةٍ عجيبةٍ من الله سبحانه وتعالى، ومن دون نقصٍ ولا زيادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣-٤]، **وحفظت هذه الرسالة في الوثيقة الخالدة المحفوظة وهي:** القرآن الكريم، الذي حفظه الله للأجيال المتعاقبة كاملًا دون نقصان، وسالمًا في نصه المبارك دون ضياعٍ ولا تحريف، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: الآية٩].

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، وتحرك برسالة الله تعالى مبلغًا، وهاديًا، ومجاهدًا، وصابرًا، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ

لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: الآية ١].

- ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، عظيمٌ بعظمة الرسالة الإلهية، ومتمسكٌ بها، ومنطلقٌ على أساسها، وملتزمٌ بها، ﴿ جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ [الزمر: من الآية ٣٣]، ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٨]، على خُلُقٍ عظيم، ﴿ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾.

من مواصفات الرسول الكريم وأتباعه الصادقين

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، في موقع الهداية والقيادة والقدوة والأسوة، حجةً لله على عباده.

﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾، **وتعني الأتباع الحقيقيين الصادقين**، الذين تتحقق في واقعهم هذه المواصفات، ويتميزون بها عن غيرهم من المنتمين والمدعين غير الصادقين، **(مَعَهُ)** إيمانًا واتباعًا، **(مَعَهُ)** في منهجه، **(مَعَهُ)** في موقفه وفي مسيرته، **وتشهد لهم هذه المواصفات:** ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾، الكفار هم المحاربون للرسالة الإلهية، الصادون عنها، والمعارضون لها، وهم جبهة الشر، ومنبع الفساد، وحركة الضلال، هم الطاغوت المستكبر الذي يحارب مبادئ الرسالة الإلهية، وقيمها، وأخلاقها، ومنهجها الحق، وعدلها الذي يحتاج إليه الناس، وهم أولياء الشيطان الذين عن طريقهم يسعى لتصفية حسابه مع بني آدم، إنهم على النقيض من المبادئ الإلهية، **ففي** مقابل أنَّ الرسالة الإلهية تحرر الإنسان، **فهم** يسعون إلى استعباده، **وفيما هي** تكرِّمه، **فهم** يهينونه، وينحطون به عن المرتبة الإنسانية، **وفيما هي** تزكيه وتصلحه، **هم** يعملون على إفساده بكل الوسائل ويدنسونه، **وفيما هي** تقدِّم له العدل في مبادئها وقيمها وتعليماتها ومنهجها، **فهم** يظلمونه ويقهرونه، إنهم يتحركون

في كل زمن، بكل ما أوتوا من قوة، وبكل إمكاناتهم، وبكل الوسائل ومختلف الأساليب لمنع الناس من الإتِّباع للأنبياء، وصدهم عن التمسك برسالة الله تعالى في تعاليمها ومبادئها القيِّمة، وبالذات فيما يخالف أهواءهم ورغباتهم ومطامعهم، ويحاولون بكل جهدهم تشويه الرسالة الإلهية وتحريفها.

والبدائل التي يقدِّمونها ويسعون لفرضها على الناس، هي بدائل ظلامية، ومضلة، وظالمة، وفاسدة، وهم على الدوام في موقع العدوان والتسلط والظلم؛ **ولذلك** فلا يتهيَّأ التمسك بالرسالة الإلهية، والالتزام بتعاليمها، والثبات على منهجها، **إلَّا** بالصمود في وجههم، والتصدي لعدوانهم وشرهم، ورفض إملاءاتهم، والتحرر من هيمنتهم، والامتناع من التبعية لهم.

وهم في موقع المعتدي، المحارب، المعاند، المستكبر، الساعي للسيطرة، والمحاول لفرض أهوائه بالجبروت، والخيارات تجاه سياساتهم ومؤامراتهم تنحصر بين القوة والعزة والثبات والشدة، أو الخنوع والذلة والاستكانة والتراجع، ولن تكون الذلة والدنية والخنوع خيارًا إيمانيًا، فالله تعالى يقول في هذا النص المبارك: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: من الآية ٢٩]، ويقول في آيةٍ أخرى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: من الآية ٨]، ويقول تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، إنَّ الشدة هذه تتجلى موقفًا قويًا صريحًا معلنًا لا ضبابية فيه، وتتجلى ثباتًا وتمسكًا وإباءً وصلابةً، وتتجلى جهادًا وتضحيةً وصمودًا مهما امتلك الطاغوت من وسائل الجبروت، وتتجلى تماسكًا واستمرارًا وعزمًا.

ثم يقول تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: من الآية ٢٩]، فهم رحماء؛ **لأن** شدتهم ليست عدوانيةً، ولا توحشًا، ولا نزعةً اجرامية؛ **إنما** هي حيث **يجب** أن تكون،

وبمقتضى الحكمة والحق، وضوابط الأخلاق والقيم، وهي نابعةٌ من قوة إيمانهم، ومحبتهم للخير، وللمبادئ الإلهية ومكارم الأخلاق، ومن مقتهم للظلم والشر والفساد والإجرام.

أمَّا فيما بينهم فهم رحماء، وتتجلى هذه الرحمة في إحسانهم ومعروفهم، وفي تعاملهم، وفي اهتماماتهم، وفي علاقاتهم، في كلامهم وفي أفعالهم، وهذه الرحمة فيما بينهم هي عاملٌ من عوامل وحدتهم، وإخائهم، وقوتهم، وتماسكهم، ونجد القرآن الكريم يقدِّم هذه المواصفات في آياتٍ أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: من الآية٥٤].

﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، فهم خاضعون لله تعالى، يعبدونه ويعبِّدون أنفسهم له، ويخلصون في أعمالهم، فليست تحت سقف الأطماع الدَّنية، ولا الأهداف الشخصية، ولا الاستغلال الرخيص، بل كما قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: من الآية٢٩]، فهم قد توجَّهوا بآمالهم وبكل رغباتهم فيما يسعون للحصول عليه، والوصول إليه، إلى الله تعالى في فضله العظيم، وفي رضوانه الأكبر، وما يندرج تحت هذا العنوان من التفاصيل الكثيرة، وهم الشامخون، العالية رؤوسهم، الأعظم صلابةً من الفولاذ والحديد في مواجهة الأعداء، والخاشعون، الخاضعون، الساجدون لله تعالى رب العزة، وقد ارتسمت هذه المواصفات جليةً واضحةً في مسيرة حياتهم ومواقفهم، كما ارتسمت معالم السجود لله تعالى، والخضوع له في وجوههم، هكذا كانت مسيرة رسول الله ﷺ وأتباعه الحقيقيين الصادقين، وهكذا انتصرت في بدايتها، وهكذا تبقى في امتدادها الصحيح والصادق والأصيل، وهي قبل ذلك مسيرة الرسالة الإلهية لكل الرسل والأنبياء، في عنوانها واسمها العظيم وهو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: من الآية١٩]، وكما قال عن

نبيه وخليله إبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٨].

طاغوت العصر امتداد للانحراف عن منهج الأنبياء

أمَّا طاغوت العصر المتمثل بأمريكا وإسرائيل، ومن يدور في فلكهم ويواليهم، فإنه امتدادٌ للاعوجاج عن الصراط المستقيم، وللانحراف عن الأنبياء ومنهجهم، وللتحريف للمبادئ والقيم والتعليمات الإلهية، إنها ولاية الطاغوت المستكبر، الذي يسعى للاستعباد لشعوب أمتنا، والسيطرة عليها، إنه الاعوجاج والانحراف والتحريف، الذي عمقه التاريخي هم المنحرفون عن نهج نبي الله موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وتراكمت ظلماتهم وانحرافاتهم لتنحرف بالكثير فيما بعد عن نهج نبي الله عيسى عليه السلام، ثم فيما بعد عن نهج رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، ويجتمع اليوم هؤلاء بكلهم تحت الراية الأمريكية، يسعون في الأرض فسادًا، وما [ماكرون] الرئيسي الفرنسي إلَّا دميةٌ من دمى الصهاينة اليهود، يدفعون به إلى الإساءة المعلنة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى الإسلام، ونظام الغرب الذي يستبيح الإساءة إلى الله تعالى، وإلى أنبيائه، ويمنع كشف حقائق اليهود الصهاينة، وفضح مؤامراتهم، ويعاقب على ذلك، ما ذلك كله إلَّا شاهدٌ واضحٌ على سيطرة اللوبي الصهيوني الكافر المنحرف المحرف على الأنظمة الغربية، والإعلام في الغرب، وتأثيره على الرأي العام في تلك المجتمعات إلى حدٍ كبير.

وإنَّ إعلان الموالين لأمريكا وإسرائيل عمَّا يسمونه بالتطبيع، وهو الخيانة والعمالة المعلنة، والاشتراك الواضح مع الأعداء في استهدافهم

الشامل للأمة الإسلامية في كل المجالات، هو انحرافٌ مكشوفٌ عن تلك المواصفات القرآنية، حيث برزوا أشداء وبكل وقاحةٍ على المسلمين في إعلامهم ومواقفهم، وفي سياساتهم، وفي أعمالهم، وظهروا في حالةٍ من الذلة، والهوان، والخنوع، والتبعية لأئمة الكفر أمريكا وإسرائيل، يتجلى هذا بكل وضوح في موقف النظام السعودي، الذي فتح أجواء بلاد الحرمين الشريفين لليهود الصهاينة، ويغلق أجواء يمن الإيمان، ويحاصر شعب اليمن، ويعتدي عليه مستبيحاً للدماء، ومهلكاً للحرث والنسل بإشرافٍ أمريكي مباشر، كما يتآمر على الشعب الفلسطيني، ويسجن ويظلم أحراره لا لشيء، إلَّا لموقفهم الحق ضد العدو الإسرائيلي، ويشترك مع الأمريكيين والإسرائيليين في مؤامراتهم على هذه الأمة في مختلف بلدانها، ومعه: النظام الإماراتي، وآل خليفة، وعسكر السودان، في خيانةٍ مكشوفة، وانحرافٍ واضح.

قضايا مهمة نؤكد عليها

وفي هذا اليوم المبارك، وبهذه المناسبة العزيزة نؤكِّد على ما يلي:

أولًا: الاستفادة من هذه المناسبة المباركة لتكون منطلقًا لترسيخ المبادئ الإلهية، والهوية الإيمانية، وما يعنيه الانتماء للإسلام في التزاماتنا العملية والسلوكية، ونهضتنا الحضارية، وفي موقفنا من أعداء الرسالة الإلهية، وفي ترسيخ الولاء لرسول الله ﷺ، وترسيخ مفهوم الإتِّباع له، والاقتداء والتأسي به، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية٢١]، وأن يكون ذلك ضمن الأولويات على المستوى التعليمي والتثقيفي والتوعوي في التصدي للهجمة الشيطانية الخطيرة التي تسمى بالحرب الناعمة، وتستهدف أبناء أمتنا الإسلامية وشبابها على المستوى الفكري

والثقافي والأخلاقي، بهدف السيطرة عليهم، وعلى بلدانهم ومقدراتهم.

ثانيًا: نؤكِّد ثباتنا على موقفنا المبدئي الديني في مناصرة الشعب الفلسطيني في قضيته العادلة، وحقه في الحرية والاستقلال، واستعادة المقدسات، وعلى رأسها الأقصى الشريف، وتحرير فلسطين كل فلسطين، وسائر الأراضي العربية المحتلة، وطرد العدو الإسرائيلي الغاصب الذي يشكِّل تهديداً للأمة الإسلامية، وللاستقرار والسلم على المستوى الإقليمي والدولي.

كما نؤكِّد ثباتنا على موقفنا ضد الطغيان الأمريكي، والسياسات الأمريكية الاستعمارية المعادية لأمتنا، والمتآمرة على شعوبنا، ونؤكِّد وقوفنا مع أحرار الأمة في محور المقاومة للتصدي لهذا الخطر الأمريكي والإسرائيلي، وتمسكنا بمبدأ الأخوة الإسلامية، ورفض كل مساعي التفرقة بين المسلمين، وإثارة الكراهية والبغضاء بينهم تحت العناوين الطائفية، والعرقية، والمناطقية، ورفض كل أشكال التطبيع والولاء لإسرائيل.

ثالثًا: نؤكِّد ثباتنا واستمرارنا في التصدي للعدوان الأمريكي السعودي الإماراتي على بلدنا، كواجبٍ دينيٍ وإنسانيٍ ووطني، حتى تحقيق النصر- بإذن الله تعالى- في دحر تحالف العدوان، وتحرير ما احتله من بلدنا، وتحقيق الاستقلال التام لشعبنا كحقٍ مشروع.

وفي هذا السياق أدعو شعبنا العزيز إلى مواصلة رفد الجبهات بالمال والرجال، والعناية بكل ما من شأنه الإسهام في قوة وتماسك الجبهة الداخلية، والعناية بالزراعة؛ **باعتبارها** العمود الفقري للاقتصاد الوطني، والتعاون بين الجانب الرسمي والشعب في كل ما يساعد على الصمود والتماسك الاقتصادي، والعناية بالتكافل الاجتماعي، والاهتمام بالفقراء.

كما أدعو كل روَّاد ورجال الجبهة التوعوية، من: العلماء، والمثقفين، والخطباء، والمعلمين، إلى مواصلة جهودهم في التصدي لكل مساعي الأعداء التضليلية والمثبطة، وحربهم الناعمة المفسدة، والعناية المستمرة بالأنشطة التوعوية والتعبوية والتعليمية.

وأدعو رجال الجبهة الأمنية في الأمن والمخابرات، ووزارة الداخلية، الذين حققوا الإنجازات المهمة بتوفيق الله تعالى لهم في هذه الجبهة، إلى تكثيف جهودهم، وتطوير أدائهم في التصدي لكل مساعي الأعداء الإجرامية والتخريبية، التي تستهدف شعبنا العزيز في أمنه واستقراره، والتي كان من آخر مستجداتها: استهداف تحالف العدوان بعملية اغتيالٍ وحشيةٍ غادرة لشهيد الوطن وزير الشباب والرياضية الأخ الشهيد حسن زيد -رحمة الله عليه-.

أيُّها الإخوة والأخوات: نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا وإيَّاكم للإتِّباع لنهجه الحق، والاقتداء بنبيه ﷺ، حتى تكون مسيرة حياتنا إلى حين لقاء الله تعالى مسيرةً إيمانية، غايتها رضوان الله وجنته، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة].

أشكر لكم هذا الحضور الكبير.

وأسأل الله أن يكتب أجركم، وأن يبارك فيكم.

والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

الفهرس

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الأولى ٧ ربيع الأول

دور الذكرى في تعزيز حضور مبادئ الأنبياء في واقعنا ٣

١. حاجة الأمة لاستحضار سيرة الأنبياء(ع) ٥

٢. تميز الشعب اليمني بالاحتفاء الكبير بذكرى المولد النبوي ٨

٣. اليمانيون والارتباط الوجداني بالرسول الكريم ٩

٤. ضرورة تعزيز الارتباط بالأنبياء على كل المستويات ١١

٥. كيف تكون علاقتنا برسول الله؟ ١٤

٦. واقعنا في العلاقة برسول الله.. العوامل والمؤثرات ١٧

٧. الحملة الوهابية ضد رسول الله ورموز الإسلام ١٩

٨. مع بعض المستجدات.. نقاط مهمة ٢٢

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الثانية ٨ ربيع الأول

حتمية العودة للرسالة الإلهية لإنقاذ البشرية ٢٧

١. الرسالة الإلهية وصلتها الأساسية بالوجود الإنساني ٢٩

٢. تسخير الحياة للإنسان بقدر المسؤولية المنوطة به ٣٠

٣. الرسالة الإلهية امتداد لملك الله وتجلٍّ لرحمته ٣١

٤. دور الرسل في توجيه وهداية البشرية ٣٣

٥. الإعداد الإلهي للرسل والأنبياء ٣٥

٦. التكامل والجاذبية في شخصيات الرسل والأنبياء .....
٣٧٠

٧. المهام الرئيسية لأنبياء الله ٣٨
٨. طاغوت العصر! ووسيلة التحرر من هيمنته ٤٠
٩. رغم عظمة الأنبياء.. الكثير من البشر واجهوهم وعاندوا! ٤٣
١٠. أخيراً.. توصيات مهمة ٤٦
١١. الوضع الاقتصادي وضرورة التعاون ٤٦
١٢. التكافل الاجتماعي ٤٩
١٣. الدفع بكل اهتمامنا أمام تصعيد العدوان ٤٩

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الثالثة ٩ ربيع الأول

إرسال الرسل لمواكبة مسيرة البشرية ٥١
١. هداية الله أوسع من الحياة ٥٤
٢. رعاية الله شملت متطلبات الإنسان دون تقصير ٥٥
٣. أهمية التزكية في صلاح الإنسان ٥٨
٤. وحدة مسيرة الأنبياء ٦٠
٥. إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الرحمن! ٦٢
٦. بنو إسرائيل.. ونهاية الدور ٦٤
٧. لماذا خاتم الأنبياء..؟ الدلالة والمعنى ٦٦

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الرابعة ١٠ ربيع الأول

حقبة ما قبل البعثة النبوية (الجاهلية الأولى) ٧١
١. الجاهلية.. ما ذا تعني؟ ٧٢
٢. من أبرز الانحرافات في العهد الجاهلي (الشرك بالله) ٧٦
٣. فئات الشرك كلها كانت تعترف بالله.. ولكن! ٧٩
٤. عقيدة الشرك.. تيه وضياع ٨٠

٥. كيف حدث الانحراف عن فطرة التوحيد؟ ٨٢
٦. حالة الشرك لا تزال قائمة! من المسؤول؟ ٨٤
٧. الجاهلية مجتمع متوحش ٨٦
٨. مجتمع منحط أخلاقياً ٨٧
٩. أم الخبائث ومفاسدها الكارثية ٨٨
١٠. منشأ القرارات الطائشة لدى الزعامات والقادة ٨٩
١١. مظاهر أخرى للانحطاط الجاهلي ٩١
١٢. مكانة قريش في الجاهلية ٩٣
١٣. من أسرة الطهر والشرف جاء محمد المصطفى ٩٤
١٤. حادثة الفيل وإرهاصات مولد النور ٩٦

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

المحاضرة الخامسة ١١ ربيع الأول

إطلالة على السيرة النبوية ٩٩
١.النبي الأكرم.. المولد والنشأة ١٠١
٢.الرعاية الإلهية تواكب النشأة المباركة ١٠٤
٣.وفاة عبد المطلب وتسليم الدور لأبي طالب ١٠٥
٤. التميز في النمو والرشد والسلوك ١٠٦
٥. الزواج الميمون ١٠٩
٦. البعثة المباركة وطريقة تلقي الوحي ١١٢
٧. أول ما نزل من القرآن الكريم ١١٤
٨. انطلاقة الدعوة الإسلامية ١١٥
٩. الدعوة تصطدم بمجتمع عنيد ١١٧
١٠. وينطلق موكب الدعوة رغم المعاناة ١١٨
١١. نهاية مرحلة العهد المكي ١٢٠

١٢. مرحلة ميلاد الأمة المسلمة (العهد المدني) ١٢١
١٣. مرحلة الصراع المسلح ١٢٢
١٤. النبي القائد الأعظم ١٢٣
١٥. وبأقل التكاليف.. نجاح الدعوة الإسلامية! ١٢٤
١٦. تنبيه في الختام ١٢٧

المولد النبوي الشريف ١٤٣٩هـ

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي

الرسالة والرسول.. رحمة للعالمين ١٣١
١. رغم المعاناة.. الشعب يعبر عن هويته الإيمانية ١٣٢
٢. الذكرى الكريمة فرصة لتقييم واقع الأمة ١٣٤
٣. النعمة العظمى برسول الهداية المنقذ ١٣٥
٤. الرسالة والرسول.. الرحمة المهداة ١٣٧
٥. هَلُمَّ إلى نبي الإسلام في رسالته وهديه ١٣٨
٦. شعب الإيمان في مواجهة قرن الشيطان! ١٤٠
٧. في الختام.. نقاط مهمة ١٤١

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

المحاضرة الأولى ٩ ربيع الأول

١. المنهج الإلهي لإصلاح الحياة ١٤٨
٢. السمة المهمة للمشروع الإلهي ١٥٠
٣. التجربة النبوية وأثرها في الواقع ١٥٢
٤. الجاهلية الأخرى وسبل الخلاص ١٥٥
٥. أهمية الرموز في الواقع البشري ١٥٦
٦. الإعداد الإلهي لحمَلة الرسالة ١٥٨

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

المحاضرة الثانية ١٠ ربيع الأول

١. صلة التدبير والرعاية الإلهية بالهداية ١٦٢
٢. حكمة الله في إعداد الرسل ١٦٥
٣. مميزات حركة الرسل ١٦٧
٤. آيات الله تحكم واقع حركة رسول الله في كل الجوانب ١٧٠
٥. الرؤية القرآنية هي الحل لكل مشاكل الحياة ١٧١
٦. ضرورة التوازن بين البناء المعرفي والتهذيب النفسي ١٧٣
٧. رسالة الله أعظم برنامج لتزكية النفس ١٧٥
٨. عملية التعليم في حركة الرسول الأكرم ١٧٧

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

المحاضرة الثالثة ١١ ربيع الأول

١. العناية الإلهية بالنص القرآني ١٨٢
٢. حركة الرسول بالقرآن الكريم ١٨٣
٣. الحكمة وموقعها في الدين الإسلامي ١٨٤
٤. الحكمة.. في حركة الرسول الأكرم ١٨٧
٥. التلازم التام بين الرسول والقرآن وخطورة الفصل بينها ١٨٨
٦. تجليات الحكمة ١٩٠
٧. أهمية التربية على الحكمة ١٩٢
٨. أهمية دراسة حركة الرسول لتغيير واقع أمة للاستفادة منها ١٩٢
٩. كيف تحرك النبي بهذا المشروع الإلهي؟ ١٩٥
١٠. الأمويون ومواجهتهم للدعوة الإسلامية ١٩٧

١١. الطريق لخلاص الأمة ١٩٩
١٢. دروس من تجربة بني إسرائيل ٢٠٠
١٣. أهمية تعلم كيفية الارتباط بكتاب الله ورسوله ٢٠٣
١٤. دعوة وتذكير ٢٠٤

المولد النبوي الشريف ١٤٤٠هـ

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي

١. بالقرآن والرسول أتم الله النعمة وأكمل الحجة ٢١٠
٢. ابتعاد الأمة عن منهج الرسالة جعلها أمام مفترق الطرق ٢١٢
٣. نداء لأحفاد الأنصار وأبطال الفتوحات ٢١٥
٤. في الختام.. نقاط مهمة ٢١٦

المولد النبوي الشريف ١٤٤١هـ

كلمة السيد خلال فعالية للجامعات اليمنية بمناسبة المولد النبوي ٢١٩
١. محطة لتعزيز الارتباط بالقرآن والرسول ٢٢٠
٢. تقدير لنعمة الهدى نحتفل ونظهر الفرح بالمناسبة ٢٢١
٣. الرسالة الإلهية هي المنقذ الوحيد للبشرية ٢٢٤
٤. ما الذي نركز عليه.. وكيف نستفيد من مناسبة المولد النبوي؟ ٢٢٦
٥. الحرب الناعمة.. المؤسس الأول والمستَهدَف الأول ٢٢٨
٦. كيف نتحصن من تأثيرات الحرب الناعمة؟ ٢٣١

المولد النبوي الشريف ١٤٤١هـ

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي

١. حالة البشرية قبل البعثة النبوية ٢٣٧
٢. من هو المنقذ؟ وكيف تتم عملية الإنقاذ؟ ٢٣٩
٣. النبي الخاتم.. لمحة عن المولد والنشأة ٢٤٢

٤. الأهمية الكبرى للاستفادة من السيرة النبوية ٢٤٣
٥. عوامل قوة الرسالة وسر نجاح الرسول ٢٤٤
٦. من نور المناسبة.. إضاءة على جوانب مهمة ٢٤٧

المولد النبوي الشريف ١٤٤٢هـ

كلمة السيد في افتتاح الفعاليات والأنشطة التحضيرية لمناسبة ذكرى المولد ٢٥٣
١. فضل الله ورحمته.. في مفهومهما الواسع والشامل ٢٥٦
٢. واقع العرب قبل بعثة الرسول الأكرم ٢٥٩
٣. لنستوعب نعمة الله العظمى بالرسالة والرسول ٢٦١
٤. واقع البشرية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية ٢٦٣
٥. ضرورة العمل الجاد لترسيخ هويتنا الإيمانية ٢٦٦
٦. هل الإسلام في أزمة كما يقول الرئيس الفرنسي؟ ٢٦٩

المولد النبوي الشريف ١٤٤٢هـ

خطاب السيد بمناسبة المولد النبوي

١. منشأ المشاكل الكبرى لأمة الإسلام وعموم البشرية ٢٧٥
٢. أهل الكتاب والانحراف عن رسالة الله ٢٧٩
٣. تحقق الوعد الإلهي وبشارة الأنبياء ٢٨٠
٤. من مواصفات الرسول الكريم وأتباعه الصادقين ٢٨٢
٥. طاغوت العصر امتداد للانحراف عن منهج الأنبياء ٢٨٥
٦. قضايا مهمة نؤكد عليها ٢٨٦

تم بحمد الله